الفرقة الناجية

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم
مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة
ومشيخة الطريقة العزمية
السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد
تليفون المكتبة / 002 022 3901030

فاتحة الكتاب

الحمد لله يهب الخير الحقيقى لمن اختصهم لذاته، وجمَّلهم بجماله، وواجههم بأنواره، وعمهم بفضله، وقربهم لجنابه، وخصهم بوصاله، سبحانه بيده الفضل يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والصلاة والسلام على النور المشرق فى القلوب التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، الرءوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نجاتهم، الروح التى سرت فى جميع الهياكل علواً وسفلاً، شمس الهداية، وبدر الدلالة، وآله أجمعين.. وبعد:

تقدم دار الكتاب الصوفى هذه الطبعة الجديدة من كتاب (الفرقة الناجية)، فى الذكرى العاشرة لمولد إمام من أئمة الفرقة الناجية وهو سماحة السيد عز الدين ماضى أبى العزائم عليه السلام. وقد تميزت هذه الطبعة عن الطبعات الثلاث السابقة بما يلى:

١- إضافة الجزء الثانى من هذا السفر الهام لأول مرة.

٢- تحقيق موضوعات الكتاب، ونسبة أقول السابقين التى أقرها الإمام أبو العزائم إلى أصحابها.

٣- تخريج الآيات والأحاديث، وشرح الكلمات الصعبة.

وقد تناول هذا الكتاب أربعة أبواب هى:

- الباب الأول: فى أنس وتخلق أهل الفرقة الناجية، و لم يـزورون روضـات أوليـاء الله الصالحين.

- الباب الثانى: فى صفات أهل الفرقة الناجية: التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الراكعون الساجدون، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والحافظون لحدود الله.

- الباب الثالث: فى آداب أهل الفرقة الناجيـة فى شـبابهم، ومسـاجدهم، وخلـواتهم، وسفرهم، ومجالسهم، ومع العمال، والأرحام، والوالدين، والزوجة.

- الباب الرابع: فى أخلاق أهل الفرقة الناجية، التى استمدوها مـن أخـلاق الله تعـالى، وأخلاق رسوله الكريم ﷺ وآله.

وأبتهل إلى الله تعالى أن يمدني بالتوفيق، ويلحظ عملي بعين القبـول.. إنـه حميد مجيد.

الطبعة الرابعة

٢٧ من المحرم ١٤٢٥هـ

١٨ من مارس ٢٠٠٤م

الخليفة الثالث

السيد علاء الدين ماضي أبو العزائم

مقدمة الطبعة الثالثة للجزء الأول

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

للخليفة الثانى

السيد عز الدين ماضى أبى العزائم عليه السلام

الحمد لله مجيب الدعوات، ورافع الدرجات، وولى الحسنات، وعالم الخفيات، ودافع البليات، وغافر الخطيئات، وقابل التوبات.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله، ونبيه وأمينه، وصفيه وحبيبه، وخيرته من خلقه، وعلى آله شجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومعدن الحكمة، وفصل الخطاب، وعلى صحابته الهادين المهديين، ورضى الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم، ونضر الله وجه خليفته الأول السيد أحمد ماضى أبى العزائم، آمين.

وبعد، فتقدم (دار المدينة المنورة) الطبعة الثالثة من كتاب (الفرقة الناجية) للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم، الذى يتناول فيه الإمام أبو العزائم عليه السلام: الفرقة الناجية، من الأمة الإسلامية التى افترقت ثلاثا وسبعين فرقة كما أنبأ عن ذلك نبينا الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه بقوله: (ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفرق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة، كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا: يا رسول الله، من الملة الواحدة التى لا تنقلب؟ قال: ما أنا عليه وأصحابى) (أخرجه الترمذى والسيوطى فى الجامع الصغير). وتلك من أعلام نبوته، وما أكثرها.

وأصول الفرقة الإسلامية التى إليها المرجع والمآل أربعة:

١- المرجئة:

فأساس الإرجاء هو تحديد معنى الإيمان وما يتبع ذلك من أبحاث، فالإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وإتيان بأنواع الأعمال من صلاة وصوم وزكاة وحج، فأى هذه هو الإيمان؟ أو هل هو كلها جميعا؟ على هذا البحث دار الإرجاء.

فكثير من المرجئة كانوا يرون أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو بعبارة أخرى: هو معرفة الله بالقلب ولا عبرة بالمظهر، ومن المرجئة من كان يرى أن الإيمان ركنان: تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وكان أشد خصوم المرجئة فى ذلك هم المعتزلة والخوارج، لأن هاتين الفرقتين اشترطوا فى الإيمان الإتيان بالطاعات واجتناب المعاصى، وجعلوا الأعمال جزءا من الإيمان، ومما فرعه المرجئة على تعريفهم للإيمان أن المؤمن مرتكب الكبيرة لا يخلد فى النار، لأنه لا يخلد فى النار إلا الكافر.

وفكر المرجئة يخدم السياسة- ولو من طريق غير مباشر- لأن هذا الفكر يجعل أصحابه محايدين، لا ضد الدولة ولا معها. فالمرجئة كانوا أميل إلى مسالمة الدولة الأموية والدولة العباسية، والمرجئة تنقسم إلى خمس فرق: الأولى: أتباع يونس بن عون، والثانية: الغسانية، والثالثة: اليومية، والرابعة الثوبانية، والخامسة: الخالدية.

٢- المعتزلة:

وهم الذين اعتزلوا حلقة الحسن البصرى، أمثال عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهما، فنبذوهم بهذا اللقب وسموا: معتزلة. ومن مبادئهم أن الله عز وجل شيء لا كالأشياء، وأنه خالق الأجسام والأعراض، وأنه خلق كل ما خلقه من لا شيء، وأن العباد يفعلون أعمالهم بالقدرة التى خلقها الله سبحانه وتعالى فيهم، وأن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر بلا توبة. والمعتزلة افترقت إلى خمس عشرة فرقة وهى: الغيلانية، والواصلية، والعمرية والهذيلية، والنظامية، والثمامية، والبشرية، والمزدارية، والهشامية، والجاحظية، والكعبية، والجبائية، والبهشمية، والأحشدية، والخياطية، والحسينية.

٣- الشيعة:

التشيع أساسه الاعتقاد بأن سيدنا عليا كرم الله وجهه وذريته عليهم السلام أحق الناس بالخلافة، وأن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ عهد له بها من بعده، وأما فرق الشيعة فهى ثلاث:

أ- الإمامية: وهم القائلون بإمامة الاثنى عشر، وولادة الثانى عشر ووجوده اليوم حيا، ويترقبون كل حين ظهوره، ويسمون أصحاب الانتظار.

ب- الزيدية: وهم الذين يرون إمامة زيد بن على بن الحسين عليهما السلام، وكل من قام بالسيف من بنى فاطمة، وكان جامعا للخصال الحميدة.

جـ- الإسماعيلية: وهم الذين يجعلون الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى ابنه إسماعيل دون موسى الكاظم وبنيه عليهم السلام.

٤- الخوارج:

وهم يقولون: إن العبد يصير كافرا بالذنب، ويكفرون عثمان وعليا رضى الله عنهما وطلحة والزبير وعائشة، ويعظمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، وهم إحدى وعشرون فرقة وهم:

١- المحكمية: هم الذين قالوا لسيدنا على عليه السلام - لما توقف عن القتال وقبل التحكيم-: إن كنت تعلم أنك الإمام حقا فلم أمرتنا بوقف الحرب انتظارا لنتيجة التحكيم؟ ثم انفصلوا عنه بهذا السبب، وكفروا سيدنا عليا ومعاوية.

٢- الأزارقة: ومن مذهبهم أن قتل من خالفهم جائز.

٣- النجدات: وهم يرون أن قتل من خالفهم واجب.

٤- البيهسية: ومن مذهبهم أن من لا يعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر.

٥- العجاردة.
٦-الصليتة.
٧-الميمونة.
٨-الحمزية.
٩- الخلفية
١٠- الأطرافية.
١١- الشعيبية.
١٢- الحازمية.
١٣- الثعلبية.
١٤- الأخنسية.
١٥- الرشيدية.
١٦- المعبدية.
١٧- المكرمية.
١٨- المعلومية والمجهولية.
١٩- الأباضية.
٢٠- الأصفرية.
٢١- الحفصية.

وهناك من الفرق غلاة الشيعة وهم خمس عشرة فرقة، وهم الكيسانية يقولون: إن الإمامة لمحمد بن الحنفية، وهم أربع فرق، والمشبهة وهم خمس فرق، والكرامية وهم أتباع ابن كرام من سجستان اغتروا بزهده، وهم سبع فرق، والجبرية وهم أربع فرق، ويقولون: إن العبد ليس خالقا لفعله.

ويتبين من استعرض هذه الفرق الإسلامية أنها أكثر من ثلاث وسبعين فرقة، مع أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يخبر بأكثر من ثلاث وسبعين، فكيف يكون ذلك؟.

والجواب عن هذا: أنه يجوز أن يكون مراده عليه الصلاة والسلام من ذكر الفرق، الفرق الكبار، وما ذكرناه من الفرق ليست من الفرق الكبيرة، ويجوز أيضا أنه أخبر صلوات الله وسلامه عليه أن الأمة الإسلامية ستفترق على ثلاث وسبعين ولم يجز أن يكون أقل، وأما إن كانت أكثر فلا يضر ذلك.

والفرقة الناجية هم السلف الصالح لا السلف الطالح الذى يأخذ بالمعنى الحرفى للقرآن - حتى فى الآيات التى توهم بالتجسيم- فيقولون باعتقاد الجهة لله قياسا للخالق على المخلوق. أما السلف الصالح فهم الذين ينزهون المولى سبحانه وتعالى عن مشابهات الحوادث.

والفرقة الناجية هى التى ترى أن التوحيد لون واحد، لا كما يخترع السلف الطالح بأن التوحيد توحيدان: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فزعموا أن جميع المسلمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، فزعموا أن هذا اعترف به المشركون، وبذلك يهجمون على قلوب كثير من المسلمين ويحكمون عليهم بالشرك.

والفرقة الناجية هم السلف الصالح الذى يوقر النبى ﴿ﷺ وآله﴾ ، ويشد الرحال لزيارة روضته الطاهرة، ويسودونه فى الصلاة، ويحتفلون بمولده، ويتوسلون ويستغيثون ويتشفعون به ﴿ﷺ وآله﴾.

والفرقة الناجية هم السلف الصالح، لا السلف الطالح الذى يعتقد أن مصطلحات القرآن الأساسية الإله والرب والعبادة والدين، والذين ينادون بأن أصول الإسلام تتغير عند المصلحة، وأن عصمة الأنبياء غير مستمرة، وأن أصول الدين الخلافة والحكومة فقط.

والفرقة الناجية هى التى تعتقد بإمامة الأئمة من أهل البيت، لأن أهل البيت هم المرجع الأصلى بعد النبى ﴿ﷺ وآله﴾ لأحكام الله المنزلة، فهم خزانة علمه ومعرفته، وتراجم وحيه، وأركان توحيده، كما قال ﴿ﷺ وآله﴾: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف) (رواه الطبرانى، والشبراوى، والحاكم، وبن حجر فى الصواعق). وكما قال عنهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (إنما مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق) (رواه أبو نعيم، والفيروز آبادى، والهيثمى، والطبرانى، والحاكم، والخطيب البغدادى). وكقوله: (وإنما أهل بيتى مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له) (رواه ابن أبى شيبة، والمتقى الهندى، والطبرانى).

وزيادة على وجوب التمسك بأهل البيت يجب على كل مسلم أن يدين بحبهم ومودهم، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[1] ولا شك أنه تعالى لم يفرض

---

(١) سورة الشورى آية ٢٣.

حبهم ومودتهم إلا لأنهم أهل الحب والوفاء لطهارتهم من كل ما يبعد عن دار كرامته، وساحة رضاه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1].

وكما شد الكتاب الناس إلى الذهاب إلى إمامة العترة من أهل البيت شدت السنة كذلك فى قوله ﴿ ﷺ وآله﴾: (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) (أخرجه مسلم، وأحمد، والترمذى، والحاكم، والطبرانى).

وهذا الخطاب يقصد به جميع الأمة، كل جيل وكل عصر، فأمر المصلح الأكبر صلوات الله وسلامه عليه بالتمسك بالثقلين، وهما الكتاب والعترة، لأن بهما الهداية والرشد- عمر الدنيا- ما استمسكت بهما، فلا مناص أن يكون الكتاب خليفة لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، غير أن مداركنا قاصرة عن الوصول إلى هذه الكلية الواسعة فى كتاب الله، فلابد أن يكون له قوم يعرفون مدى ما فيه ويعلمون ما حواه، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ.. ﴾[2].

ولو أهمل الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾ الإشارة والإرشاد إلى الراسخين فى العلم وأصحاب التأويل لساغ أن يزعم كل ناطق بضلالة أنه الراسخ فى العلم وصاحب التأويل، فأبان صلوات الله عليه فى هذا الحديث أن عترته هم المقصودون بالثقل الثانى، فالأئمة من أهل البيت هم الكتاب الناطق الكاشفون عن أسرار الكتاب الصامت.

وهذا الحديث- كما أرشدنا بدلالته إلى أن الهدى بعد الرسول صلوات الله وسلامه عليه بخليفتيه الكتاب والعترة- أرشدنا إلى استمرار ذلك الهدى مادام الإنسان ومادام كتاب وعترة، فإن خالف المرء سيرهما اجتيازا، أو تخلف عنهما نكوصا اعتصاما برأيه أو اتباعا لغيره لم يكن من المستمسكين، بل كان من المنحرفين الزائغين.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٢) سورة آل عمران آية ٧.

وقد فسر الإمام الشافعى ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾[1] أن حبل الله هو الولاء لأئمة أهل البيت فى الأبيات الآتية:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم فى أبحر الغى والجهل
ركبت على اسم الله فى سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل
إذا افترقت فى الدين سبعون فرقة ونيفا على ما جاء فى واضح النقل
ولم يك ناج منهم غير فرقة فقل لى بها يا ذا الرجاحة والعقل
أفى الفرقة الهلاك آل محمد؟ أم الفرقة اللاتى نجت منهمو؟ قل لى
فإن قلت فى الناجين فالقول واحد وإن قلت فى الهلاك حفت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فإننى رضيت بهم لازال فى ظلهم ظلى
رضيت عليا لى إماما ونسله وأنت من الباقين فى أوسع الحل

ولعلك تسأل: لم ذكر الإمام أبو العزائم ﷺ موضوع أضرحة الأنبياء والأولياء فى كتابه: (الفرقة الناجية)؟.

إن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الفرقة الناجية هى التى تعتقد أن أضرحة الأنبياء والأولياء من الشعائر الإسلامية، وجامعات للتربية والسلوك، ولذلك فإن الدروس المستفادة من زيارة أضرحة هؤلاء المجاهدين هى الجهاد فى سبيل الكمال، فنجاهد أنفسنا ضد الهوى والجشع والطمع والحقد والحسد والطغيان والجبروت والبطش حينما نتمثل هؤلاء المجاهدين فى حياتهم، فنأخذ منهم العزيمة التى لا تقهر، والإرادة التى لا تغلب، والشجاعة التى لا نحسب أن شجاعة فى الدنيا تعلوها، وإليك نماذج من الدروس المستفادة من زيارة هؤلاء المجاهدين:

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

١- كتب الإمام الغزالى إلى ابن تشفين ملك المغرب فقال له:

(إما أن تحمل سيفك فى سبيل الله ونجدة إخوانك فى الأندلس، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك).

٢- ويقول محى الدين بن عربى للملك الكامل حينما تخاذل فى قتال الصليبيين:

(إنك دنئ الهمة، والإسلام لن يعترف بأمثالك، فانهض للقتال أو نقاتلك كما نقاتلهم).

٣- ويطغى المماليك فى أرض مصر، فيثور العز بن عبد السلام، ويأمر بالقبض على المماليك، ويعلن أنه قد اعتزم بيعهم فى سوق الرقيق لأنهم خانوا الأمانة.

٤- ويقول عبد الملك بن مروان- الخليفة الأموى- لابن البيطار فى غطرسة الملك وغروره: (أنا عبد الملك، فارفع حوائجك إلىّ، فيقول له فى عزة المؤمن وكبرياء الصوفى: وأنا أيضا عبد الملك، فهلم نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان).

٥- ويقول الإمام الشعرانى: (من لبس جديدا، أو أكل هنيئا، أو ضحك فى نفسه، أو سعد فى بيته- والأمة الإسلامية فى كرب وشدة- فقد برئ منه الإسلام).

تلك هى المبادئ التى ندرسها، والتعاليم التى نسير على هديها عند زيارتنا لأضرحة الأئمة، وهى لاشك أنها صفوة مبادئ الإسلام وأسمى نواحيه.

فنحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتذكر عندها أن هؤلاء مؤمنون، اضطلعوا بوقائع مجتمعاتهم، وحقائق الرسالة المحمدية، فحملوها وأدوا ما تحملوه عبر حياتهم، فنقتدى بهم، ونتأسى بجهادهم.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنؤكد أن الذى لا يطلع على أحداث أمته، ولا يتحمل مسئوليات مجتمعه ولا يؤدى رسالته، ليشترى ثمنا قليلا من دينار أو ريال أو درهم ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً

﴿أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(1).

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتعلم أن هؤلاء رأوا الانحرافات فى عالمنا الإسلامى على مر العصور والدهور، فلم يواجهوها بالخطب المنبرية فحسب، بل بتأجيج نار الثورة على تلك الانتكاسات والردات فى حياة الأمة الإسلامية، حتى إذا ما لقوا الله على ذلك كان موتهم رعبا لأقسى الجلادين قلبا، وإسهاما فى بلورة الوعى الثورى لهدم الطغيان، وهم يرتلون قول إمام المجاهدين الحسين عليه السلام:

(من لحق بى فقد استشهد، ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح).

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنسجل أن وحدانية الدينار والريال والدرهم وثنية مشركة، وأن هؤلاء المجاهدين عملوا على إزالتها لتحقيق (لا إله..) وأن العدالة والحرية والأمن والمساواة كلمات لا معنى لها إلا فى ظل (........ إلا الله) ليعيش الناس فى المجتمع الإسلامى كأسنان المشط بعضهم أولياء بعض.

نحن نزور مراقد الأولياء لنتعلم أن هؤلاء خافوا على الإسلام و لم يخافوا من الإسلام، لأن الخوف من الإسلام يفضى إلى الهرب الذى بدايته الضياع ونهايته العار، أما الخوف على الإسلام يحتم الدفاع عن الإسلام والهجوم على أعدائه.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنقتدى بهم باعتبارهم شرعا محمديا، ولطفا إلهيا، لا مناص لمن ينشد الخير والسعادة إلا باتباع سيرتهم وعلومهم وجهادهم، إيمانا وعملا، مهما بلغ الثمن.

---

(1) سورة البقرة آية ١٧٤.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتأسى بهؤلاء الذين لم يتذوقوا من الحياة إلا مرارة ضياع القيم والموازين، فاقتحموا الساحة ليكونوا نماذج للمجاهدين، فنركل بأقدامنا حياة الذل والهوان. ونطبع على جبهة المجد غرة النصر، ونلبس إكليل الشهادة.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنقتدى بهؤلاء الذين أقدموا حين أحجم علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة، وفرسان كهانة التكفير والتشريك، ولنتأسى بهؤلاء الذين أعطوا حيث يمتنع الأسخياء فى المواعظ المتشدقون بالسلفية، ولنتأسى بهؤلاء الذين جاهدوا فى سبيل الله فى الوقت الذى قال عبيد الدينار والريال والدرهم: ﴿...... إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[1].

إن سر عظمة هؤلاء أن أرواحهم حملت قيمهم التى آمنوا بها، وضحوا من أجلها، فكان حقا على تلك القيم أن تحمل أرواحهم إلى آفاقها الرحبة، لتبقى الأرواح متألقة، تطل من سماواتها على زائريها من عشاق الجهاد.

ولا أحب أن أطيل على القارئ الكريم وقفته على الباب، ولأخلى بينه وبين الكتاب، سائلا المولى سبحانه وتعالى المزيد من الأجر، وأن يرزقنا شفاعة سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح. إنه تعالى ولى القصد والتوفيق.

---

(١) سورة المائدة آية ٢٤.

التماس الطبعة الأولى للجزء الأول

١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م

للخليفة الأول

السيد أحمد ماضى أبى العزائم

الحمد لله حمدا كثيرا يرضى الله، والشكر لله من عبد جمله الله بنعم لا تحصى، ووهب لنا من فضله العظيم، ما لا يعد ولا يستقصى.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، ورضى الله تبارك وتعالى عن حجة الإسلام والمسلمين الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم.

وبعد، فيقول أحمد ماضى أبو العزائم ﷺ: إنى لما رأيت تعدد الفرق الإسلامية – وخاصة فى زماننا هذا– وأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تنبأ بوجود هذه الفرق فقال: (ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفرق أمتى على ثلاث وسبعين ملة، تزيد عليهم ملة، كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا: يا رسول الله من الملة الواحدة التى لا تنقلب؟ قال: ما أنا عليه وأصحابى) (أخرجه الترمذى، والسيوطى فى الجامع الصغير).

لذلك التمست من والدى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم أن يكتب لنا فى الفرقة الناجية، فأملى ﷺ هذا الكتاب، بين فيه أنس وتخلق أهل الفرقة الناجية، ولم يزور أهل الفرقة الناجية قبور أولياء الله الصالحين؟ كما بين ﷺ صفات أهل الفرقة الناجية عامة بأنهم هم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم بجنته، فى قوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ

حَقاً فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾(١).

ونسأل: إن الله خالق الأنفس، ورازق الأموال، فكيف يشترى المالك ما هو ملك له؟! الجواب: ليس هذا بالشراء المعروف، وإنما حث وترغيب فى الطاعة، وعبر سبحانه عنه بالشراء لأمرين:

الأمر الأول: أن يثق المطيع بالجزاء والثواب على طاعته، تماما كما يثق البائع باستحقاقه الثمن بدلا عن سلعته.

والأمر الثانى: التنبيه إلى أن الإيمان ليس مجرد كلمات تمضغها الأفواه، وصور تمر بالأذهان، وعاطفة تحس بالقلوب، إنما هو بذل وتضحية بالنفس والمال رغبة فى ثواب الله الذى هو أغلى وأبقى، تماما كما يتنازل البائع عن ملكه مختارا طمعا فى الثمن الذى يراه أنفع وأجدى.

ثم حدد عليه السلام أهل الفرقة الناجية بأهم ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

والله سبحانه أسأل أن يتقبل عملى فى نشر هذا الكتاب، ويجعل أجرى عليه نفع المؤمنين وهدايتهم به.

---

(١) سورة التوبة آية ١١١.

(٢) سورة التوبة آية ١١٢.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ولى المؤمنين يخرجهم من الظلمات إلى النور، القائل سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] فما من حدث من الأحداث يحدث، أو بدعة من البدع تنشر، إلا وهو جل جلاله يجدد للأمة أمر دينها، بمن يقيمهم فى كل زمان لإقامة حججه، كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام: (اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة، إما ظاهرا مشهورا أو باطنا مستورا، لئلا تبطل حجج الله وبيناته).

والصلاة والسلام على من ختم الله به النبوة، وبعثه للناس كافة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة، وأسرج الله به ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله ﴾ سرجا كثيرة فى كل زمان ومكان، كما قال عليه الصلاة والسلام: (العلماء سرج الدنيا ومصابيح الآخرة) ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله ﴾ تسليما كثيرا، وبعد:

فيقول خديم الفقراء محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام: أسأل الله أن يقيمنى فى محابه ومراضيه، وأن يعيذنى سبحانه من الشيطان الرجيم، ومن خبث طبعى، وسوء أمَّارتى بالسوء، وشر جوارحى المجترحة، آمين.

إنى لما رأيت آثار سلفنا الصالح قد خفيت على أهل عصرى، لكثرة اشتغالهم بما صار ضروريا الآن- مما كان كماليا قبل هذا العصر- ورأيت السالكين فى هذا العصر قد طالت عليهم الشقة، واشتدت المشقة لشغل القلوب بما عليه أهل هذا الزمن من الميل إلى زخرف الحياة الدنيا وزينتها، وبما اعترى سواد الأمة من الاختلاط بغير المسلمين فى المعاملات، ومن

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

تقليد الناس لمن حصلوا العلم و لم يعملوا به، أو عملوا من غير علم، وعلم بلا عمل وبال، وعمل بلا علم ضلال.

وقد بين لنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أن الأمة تفترق إلى بضع وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، وهى التى تكون على ما كان عليه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه وبقية الفرق هالك.

دعانى واجب وقتى أن أكتب رسالة أسميها: (الفرقة الناجية) أجمع فيها ما كان عليه السلف الصالح فى تلاوة القرآن المجيد، وفى عبادة الله تعالى، وفى المعاملة، وفى الأخلاق، ولا أخليها من الإشارة إلى ما كانوا عليه من أعمال القلوب، وقد كتبت فيها تفسيرا مسهبا لآية من كتاب الله جامعة للمقامات التى ينالها المؤمن، وإنى أسأل الله تعالى أن يؤيدنى بروح منه، وأن ينفعنى بما أجمعه فيها من آثار سلفنا الصالح، وأن ينفع بها السالكين إلى الله تعالى.

وقد أمرت ولدى أحمد أن يطبع تلك الرسالة، لينفع الله أهل عصرى هذا بما كان لسلفهم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

الباب الأول

الفرقة الناجية

الفصل الأول

أنس وتخلق أهل الفرقة الناجية

أنسهم بالقرآن المجيد:

القرآن المجيد موردهم الروى، وروضهم الجنى، وحوضهم المورود، وكوثرهم المشهود، وميزان أحوالهم، ومرجع مقاماتهم. يسألونه قبل العمل فإن أذن سارعوا، وإن منع تركوا واستغفروا، فهو الإمام الناطق وإن صمت، لأنهم يسمعونه عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فهو الناطق لهم ﴿ﷺ وآله﴾ على ألسنتهم به، فتسمعه آذان قلوبهم حضورا ووجودا من حضرة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وإن كان التالى له إنسانا آخر.

مراتب الهداية:

ولا تعجب أيها السامع، فإن للرجال أعظم قسط من مراتب الهداية التى أشار الله تعالى إليها بقوله سبحانه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1] فإن مراتب الهداية- وإن جلت أنواعها عن الحصر- أصولها عشرة:

أولها كلام الله مشافهة للعبد[2]، كما حصل لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وكما حصل للكليم عليه الصلاة والسلام، ووحيه الذى يوحيه بنفسه لعبده[3]، ووحيه سبحانه وتعالى

(١) سورة الفاتحة آية ٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ سورة النساء آية ٦٤.

(٣)إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ سورة النجم آية ١٠.

بطريق الملك[1]، ثم التحدث لقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (إن منكم محدثين وإن عمر منهم) (أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى). ثم الإلهام بمراتبه، وأقلها الرؤيا الصادقة التى هى بعد مقام الإسماع والفراسة والفهم.

ولما كان لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من مراتب الهداية مقامات خصوا بها – على نبينا وعليهم الصلاة والسلام– واشترك الرجال معهم فى بقيتها، كان لأهل الفرقة الناجية قسطا وافراً من الوحى بملك الإلهام، ولا تترعج أيها السامع؟ فإن الله أوحى إلى أم موسى، وأوحى إلى النحل، وأوحى إلى الأرض، وهؤلاء يتجلى لهم الحق سبحانه فى كلامه فتسمعه قلوبهم عنه سبحانه، ويبلغ بهم القرب إلى فهمه كما ورد عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه حين سئل؟ فقال: أو فهم يعطاه عبد مؤمن فى كتاب الله.

فلتالى القرآن حق تلاوته، قسط وافر من مشاهد أسراره، وفهم حقائقه، وذوق معانيه، وأهل الفرقة الناجية هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[2].

وقفت بهم الهمة العلية على القرآن، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، لو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوها، أو بمفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها فرحين بالسمع والطاعة، تجلت لهم حقائق القرآن جلية، وانبلجت لهم أنواره العلية ظاهرة، فلم تبق لهم همة إلا فى القرآن، ولا رغبة إلا فيه، أحبوا القرآن حبا ينبئ عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه.

كاشفهم الله تعالى بمراده فى كلامه وبحكمته فى أحكامه، فكان سبحانه وتعالى أقرب إليهم من أنفسهم، وتجلى لهم سبحانه وتعالى فى كلامه العزيز، حتى كان الرجل منهم إذا سئل: لم تعمل هذا؟ يقول: أمرنى القرآن، و لم تترك هذا؟ يقول: نهانى القرآن، وإذا طلب منه أمر يقول: مه

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ سورة الشعراء آية ١٩٣-١٩٤.

(٢) سورة المجادلة آية ١١.

حتى استشير القرآن، فيقرأ القرآن المرة والمرتين حتى تتضح له حقيقة ماله، وسر قصده، فيسارع للتنفيذ أو للترك.

آنسهم الله بجماله، وجذبهم إليه سبحانه بعامل محبته، فكانوا مع الله وهم فى تلك الدار الدنيا، مع ما يحيط بهم من كثيف الحجب وظلمات الأهواء، فكيف بهم إذا فارقوها إلى دار القرب والشهود، ومنزلة الود والمواجهة؟.سبحان الله، هم الرجال حقا، وهم أئمة أهل الفرقة الناجية الذين بشر بهم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بقوله: (لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق حتى يأتى أمر الله وهم عليه لا يضرهم من خالفهم) (رواه مسلم والترمذى وأحمد بألفاظ مختلفة). وقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (أبقيت فيكم ثقلين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وأهل بيتى) (راجع الإتحاف بحب الأشراف للشبراوى). والمراد بأهل البيت حملة العلم بالله سبحانه وتعالى، الذين كاشفهم الله تعالى بظاهر القرآن وباطنه وحده ومطلعه، ممن جملهم الله بحقيقة النسب المحمدى الروحانى بدليل قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (سلمان منا آل البيت) (أخرجه الطبرى، وابن هشام، والسيرة الحلبية، والسيرة الشامية). وتبنيه ﴿ﷺ وآله﴾ زيدا رضي الله عنه، وقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (أدخل الإسلام بلالا فى نسبى).

وخير الناس من اصطفاهم الله تعالى فجملهم بالنسبين، واختارهم لأن يكونوا ورثة لخاتم رسله وأنبيائه صلى الله عليه وعليهم.

أهل القرآن ومنزلتهم:

فالفرقة الناجية هم أهل القرآن، وهم المعنيون بقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (أهل القرآن أهل الله) (رواه النسائى وابن ماجة). وهم أهل الله الصالحون الذين اتصل نسبهم بربهم باتصالهم بحبل الله المتين الذى هو القرآن المجيد، ومن ذاق حلاوة القرآن وصل إلى الله بأقوى سبب، وصلاً لا ينقطع بعده، فإن القرآن صفة من صفات الله، ومن اتصل بصفة من صفات الله تعالى اتصل بالله تعالى، لأنه بتلاوته لكلام الله- ملاحظا أنوار المتكلم عاملا بالقرآن- يتصف بالكلام، والله متصف بالكلام.

وأكمل ما يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى التخلق بأخلاقه، فإن الله سبحانه وتعالى يحب صفاته، ويحب مقتضياتها ظاهرة فى عبده، وأحب عبد لله من جمله الله بما يحب من صفاته سبحانه، وجعله مظهرا لإشراق أنوار مقتضياته.

وتالى القرآن جمَّله الله تعالى بصفة من صفاته العلية، والعامل بالقرآن كمَّله الله تعالى بأنوار مقتضيات صفاته، فالله سبحانه وتعالى المعبود، والمتمسك بالقرآن هو العابد، والله جل جلاله الهادى، والعبد هو المهتدى، والله سبحانه الموفَّق، والعبد هو الموفَّق.

فكأنه اتصف بالصفات المحبوبة لله تعالى (وهى الكلام) لتلاوته للفظه فهو متكلم فى مكانته، لأن الكلام لابد وأن يكون بصوت وحرف، وهناك جامعة تجمعه بربه ووصلة.

جمعتنا على حبيب القلوب سابقات الحسنى بسر الغيوب

فهو متصف بأجمل صفة يحبها الله سبحانه وتعالى، والمتصف بصفة يحبها الله تعالى يحبه الله تعالى، وبعمله بالقرآن يكون عاملا بعمل يحبه الله تعالى، والعامل بعمل يحبه الله تعالى محبوب لله تعالى.

فالقرآن طهور الحب، وحلل القرب، ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبته العناية واقتطعته المشيئة، واختطفته محبة الله السابقة له، وأهل الفرقة الناجية هم الذين يتعهدون القرآن الكريم حق تعهده، ويتلونه حق تلاوته، تبلغ بهم حالتهم فى تلاوتهم أنهم يكاشفون بأنوار مجالستهم للمتكلم سبحانه، سر قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (يقول الله تعالى: أنا جليس الذاكرين)، ولأجل أن تسارع يا أخى إلى التجمل بأحوالهم أُفصل لك ما كانوا عليه من تعهد القرآن المجيد، والقيام بتلاوته حق التلاوة.

تخلقهم ﷺ بالقرآن:

يقرأ المؤمن القرآن متدبراً، فيتحقق منه فى القسم الإلهى بالعلم النافع ذوقا وحالا، فإذا قرأ أخبار الرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام نظر بعين فكرته، وشهد ببصر عبرته ما أدى إلى غضب الله فاجتنبه، وما أدى إلى رضوان الله فجاهد نفسه أن يتخلق به، ثم نظر إلى ما كان

عليه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، من الصبر على ما لا تتحمله القوى البشرية، فيصبر عند المقتضيات على قدر مترلته، تشبها بهم صلوات الله وسلامه عليهم، وما كانوا عليه من الرحمة بالخلق والحرص والغضب لله عند مقتضاه، والغلظة على أعداء الله عند لزومها، فيجاهد نفسه أن يتشبه بهم عليهم أفضل الصلاة والسلام فيما يعتوره من الشؤون المناسبة لمكانته.

ثم يجتهد أن ينبه إخوته المؤمنين على الأعمال التى أوعد القرآن فاعليها بسوء العاقبة، بالحكمة والموعظة، وينشط العاملين إخوته بما مدحه القرآن من الأعمال، ويمدحهم مدحا يقوى به الإيمان فى قلوبهم ويشجعهم على ذلك، ثم يتدبر آياته فى الأحكام الشرعية، ويتحقق أن هذا الأمر من الله تعالى خاصا به دون غيره، فيسارع إلى تنفيذ ما أمر الله به عند الاستطاعة، غير ناظر إلى غيره- ولو أهمل وترك- فإن المرء المؤمن أشفق الناس على نفسه وأرحم الناس بها، فيرى أنه أولى بنيل الخير الأبدى من كل الخلق.

ما يجب على تالى القرآن:

فمتى فهم من القرآن أمرا بمعروف، أو تنبيها بفعل خير، أو ترغيبا فى عمل صالح سارع إليه كائنا ما كان وترك غيره، حتى إذا أعانه الله تعالى على فعل الخير واطمأن على نفسه بالقيام به حق القيام، فالأوْلى له بعد ذلك أن يرشد إخوته المؤمنين.

وإن أهمل القيام بما علم، وقام فنظر إلى إهمال الخلق و لم ينظر إلى عيوب نفسه وتقصيرها، كان ذلك سببا فى هلاك نفسه، وكان كالشمعة تضئ لغيرها وتحترق، وإنما يقرأ المؤمن القرآن ليتجمل بطيالسه، ويتجمل من طهوره المختوم، ويتجمل بجماله، ويتناول من شهيه قوتا لقلبه، وغذاء لروحه، وطعاما لنفسه.

ومن علامة الغفلة أن يقرأ الإنسان القرآن ثم يسخط على الناس، ويقول: هلك الناس.. وهو فى الحقيقة الهالك. أنت أيها القارئ للقرآن عليك أن تسارع إلى نجاة نفسك، وما عليك من غيرك، فإذا تجملت بجمال القرآن وأطاعتك نفسك كنت داعيا إلى الحق بعملك قبل قولك، وبقولك قبل مالك، وأشرقت منك أنوار القرآن على أهل القرآن، فكنت بينهم كالشمس المشرقة يهتدون بنورك، ويستضيئون بقولك وعملك.

الحضور الكلى لحاملى القرآن:

إذا سمعت ربك سبحانه يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فاستجب لربك وقل: لبيك ربى وسعديك، واصغ بأذن قلبك إلى ما يقوله ربك، فإن أمرك فسارع إلى السمع والطاعة، وانظر بعين بصيرتك إلى نفسك فأنت أرحم الناس بها، وقم فخلصها من خطاياها وهواها، وغض بصرك عن غيرك، فإنما أنت المنادى بنفسك من ربك، والمنادى هو الله لا أنت.

فاستجب لله أولا، ثم قم مناديا بنداء ربك، لأنك عملت بما أمر.

فإذا تلوت الآية التى فيها الثناء من الله والبشائر منه سبحانه، فتدبرها ببصر ناقد وقلب يفقه، وتمثل قدر الثناء من الله تعالى الذى تسارع إليه الأرواح الطاهرة، وجاهد نفسك كل المجاهدة أن تلتحق بمن أثنى الله عليهم، أو تتشبه بهم فتكون ممن أثنى الله عليهم وتشبه بهم. وأى مجد أعظم درجة من مجد من أثنى الله تعالى عليه.

ثم تأمل فى الأعمال التى بشر الله عليها عباده، ونافس فى أن تكون ممن بشرهم الله تعالى: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾(١) ثم تنبه عند تلاوة الآيات التى يذكر الله فيها النعيم الذى أعده لعباده المؤمنين، والخير الذى جعله عند ذكر الجنة ووصفها وبيان ما فيها مما تشتاق إليه النفوس، وتبذل لأجله كل نفيس وغال، فإذا قرأت تلك الآى فتمثل بخيالك تلك الملاذ الجسمانية النفسانية، والنعم العظمى التى لا نصب بعدها ولا زوال لها، وتدبر ما تناله فيها من مشاهدة وجه ربك جل جلاله، ونيل رضوانه، ومجاورة رسله الكرام وأهل محبته من صفوة عباده، واستسهل كل ما يوصل إليها فى نظرك، وانظر إليه حقيرا بالنسبة لها ولو كان فى ذلك بذل المهج– فضلا عن الأولاد والأموال – فإن نفسا فى الجنة خير من الدهر كله فى أكمل نعيم الدنيا.

---

(١) سورة المطففين آية ٢٦.

وكيف لا؟! ومهما كمل نعيم الدنيا فذكر الموت ينغص، وكل لذة تنقلب ألما إذا تذكر الإنسان سوء عاقبتها، وكل ما رغبت نفسك فيه فهو مشوب بالأوصاب والبلايا التى ينالها الإنسان فى جمعه، وما يقتضيه جمعه من ضرر الغير.

فشتان بين نعيم مقيم فى جوار رب العالمين وفى أمانه ورضوانه الأكبر، وبين ما لا ينال إلا بالمضار والأوصاب، ولا دوام له وعاقبته العذاب، لعلك إذا تخيلت تلك المعانى فى تلاوتك ظهرت لك الجنة جلية فشهدت ما فيها حتى كأنك على أبوابها، فقبحت فى عينك ملاذك، واسترذلت حظوظك، واستقبحت آمالك فى الدنيا، واستنكفت أن تبيع النعيم الأبدى ورضوان الرب العلى بإرادة عاجل كله وصب يزول عن طالبه أو يزول هو عنه.

وليس المؤمن بكامل الإيمان إن لم يتحقق أنه يمشى على الصراط الذى هو أَحَدُّ من السيف، وأدق من الشعرة، وأن الجنة فى نهايته فيسارع إليها، وأن الحطمة تحت قدميه فيخشى أن ينكب فيها، وأن أعماله فى الميزان فيحب أن يثقل بها.

ذلك لأن القرآن الشريف كرر تلك المعانى على المؤمن لتقوى الذكرى بها، فتكون ذكرا فلا تنسى، ثم يتصورها الخيال فتنطبع فيه بأكمل جمالاتها، فلا تغيب عن النفس طرفة عين، وقد سأل ﴿ﷺ وآله﴾ سيدنا عمران بن حصين فقال له: (كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت يا رسول الله كأنى أرى عرش ربى وكرسيه، فقال له ﴿ﷺ وآله﴾: عرفت فالزم).

فالمؤمن إذا قرأ آيات البشائر بالنعيم والرضوان بحث عن أهلها الذين يتفضل الله عليهم بهذا الفضل العظيم، وفتش عن صفاتهم التى أثنى الله بها عليهم، فسارع إليها، ومسارعته إليها هى مسارعة إلى المغفرة والجنة والرضوان، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ* وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ

أَجْرُ العَامِلِينَ﴾[1] فسارعوا إلى تلك الصفات التى ذكرها الله تعالى، مسارعة من يعلم قدر النعمة التى ينالها، والفضل العظيم الذى يفوز به، والخير العظيم الذى يحظى به من الله تعالى، ويكون فى عمله هذا كأنه فى أعلى الجنة تصديقا لوعد ربه، وتلذذا بتوفيق الله له للعمل بما يحبه، فيكون كأنه فى جنتين: جنة روحانية وهى بهجة نفسه بالتوفيق والعناية والهداية، وجنة جسمانية وهى تلذذه بطاعة ربه فى تلك الدار الدنيا، ويكون له جنتان يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾[2]، وهذا ما ينكشف لك يا أخى عند تلاوة آية البشائر والوعد.

فإذا أنت قرأت آيات الوعيد والعقاب، اقشعر جلدك، وظهرت لك جهنم بما فيها كما أخبر الله تعالى ظهورا يشيب لهوله الطفل، ونار الحجاب عن الله بسبب الأخلاق والعقائد الباطلة التى تكب المرء على أم رأسه فى نار الغضب، وهى أشد من نار جهنم لأنها المؤدية إليها.

وتخيلت أن من فعل تلك الأعمال، عذب بنارين: نار نفسانية ونار جسمانية. أما النار النفسانية فما يعلوه من الحزن والأسف، وأما النار الجسمانية فما ابتلى به من معصية الله، ويرى الجحيم أمامه مكاشفة، قال الله تعالى: ﴿ كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ {٥} لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾[3].

فتصور يا أخى أعاذنى الله وإياك من الأعمال التى توجب غضب الله وسخطه وأليم العذاب يوم القيامة الذى توعد به الله المخالفين لوصاياه، وارسمها على خيالك عند قراءة الآيات المقتضية لذلك، ثم ابحث عن الأعمال والصفات والعقائد والأحوال التى تؤدى إلى هذا العذاب الأليم، فاجعل بينها وبينك كما بين المشرق والمغرب، واجعل لك حصنا منيعا من سنة مولانا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، ووقاية من العمل بهدى السلف الصالح، وخشية من ربك جل جلاله يحفظك الله بها من الوقوع فى مخالفته جل جلاله.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٣-١٣٦.

(٢) سورة الرحمن آية ٤٦.

(٣) سورة التكاثر آية ٥-٦.

وكن يا أخى كالرجل الجائع الذى إذا ذكر له الطعام تنبهت شهوة الجوع فى معدته لتخيله طعمه وريحه، فإذا ذكرت آيات البشائر والنعيم تنبهت الرغبة فى قلبك، وتباعدت عما يوجب الحرمان منها.

كرر الله تعالى قصص الأنبياء وأخبار الجبابرة، وأحاديث المؤمنين فى كتابه، لتتجمل عند التلاوة بكل تلك الأخلاق النبوية، وتتباعد عن صفات الجبابرة الطغاة، وتتشبه بمن أثنى الله عليهم ووعدهم الخير المقيم.

كن أنت يا أخى فى التلاوة المأمور، والمنادى حتى تسمع كلام ربك من ربك جل جلاله، وتتلقاه من حضرة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فإذا قال ربك: ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ ﴾[1] قلت: لبيك وسعديك سمعا وطاعة لك يا ربى، وإذا قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2] انكشفت لك حقيقة نجاستها، وصارت أمامك أنتن من الجيفة، وأشد ألما من النار، وقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، أعنى اللهم على ترك ما تكره والعمل بما تحب، فتكون كأنك تخاطب ربك ويخاطبك، ويتكلم معك وتتكلم معه، ولا تقرأه كما ترجعه الآلة الحديدية، وكما ترجعه الأمكنة الخالية بصدى الصوت فيحرم القارئ مشاهدة أنوار كتاب الله تعالى، ويكون كأنه لم يقرأه أبدا.

ما أحب أن يكون عليه إخوانى فى التلاوة:

أحب أن تكون التلاوة فى المصحف- ولو لحافظ- ليكون عاملا بعينه ولسانه وقلبه وأذنه ويده، وأن يكون على طهارة، مستقبل القبلة، أحب أوقاته إلىَّ بعد ارتفاع الشمس وبعد العصر، وفى جوف الليل إلى الفجر الصادق، وأن يكون التالى مستحضرا أنه المخاطب بالأمر أو النهى، أو الموعظة والعبرة ملاحظا فى ذلك أن التالى آخر حسب منزلته من المراقبة إما أن يكون المرشد، أو رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، حتى يتحقق بمقام العبد الكامل، فيسمعه عن الحق جل جلاله، ويراقب فى تلاوته أن المطالب هو نفسه لا غيره، ويشهد ما شنع الله به على أعدائه

---

(١) سورة البقرة آية ٤٣.

(٢) سورة المائدة آية ٩٠.

فيتصور أن الله قد يشنع على من يعمل هذا العمل، وربما يكون حصل منه فينـــدم ويتـــوب، ويرجع إلى الله ويبدل تلك السيئة بحسنة، وإذا سمع الله يمدح قوما يثنى عليهم بصـــفاهم، فـــإن كان متصفا بتلك الصفات فرح، وسأل الله سبحانه أن يقبل منه تلك الأعمال غير ساكن إلى نفسه ولا إلى عمله، بل يشكر الله تعالى الذى وفقه لعمل ما يحبه.

وأحب أن تكون تلاوة القرآن ملاحظا فيها معان ثلاثة:

١- بهجة بتلاوة كلام ربه جل جلاله.

٢- والعزم الأكيد على التباعد عما نهى عنه القرآن، والمسارعة إلى عمل ما أقر به.

٣- المعنى الثالث: أن يشهد عظمة وجلال وكبرياء وعزة المتكلم ســـبحانه ظـــاهرة جلية لعيون سره، فيكون تاليا لكتاب الله متلقيا عنه سبحانه، متشرفا بمعيته جل جلاله.

ويلزم لتلك المعانى الثلاثة أصل هو أس تلك المعانى كلها، وهو أن يرتله مخلصا لوجه الله تعالى، لا لغرض لآخر إلا ابتغاء وجه الله العظيم، فإن كان له مطلب أو حاجة ســـأل الله تعالى بعد تلاوته حاجته، فإن الله تعالى أكرم من أن يتقرب إليه عبده بكلامه ويدعوه فيرده من غير أن يستجيب له، وكذلك كان أصحاب رسول الله وتابعوهم ﭫ أجمعين، ومـــن لم يجـــد فليتواجد.

ومدارسة القرآن الكريم مع أخ معين أحب إلىَّ، فإذا واجهك الله حال التلاوة بشىء من أسرار القرآن فسارع إلى العمل به، أو قيده بالكتابة، والله سبحانه أسأل أن يتجلى لنـــا فى كلامه المقدس حتى نكون من أهل القرآن العاملين به، إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أعمال الغافلين:

معلوم أن الجلوس لسماع القرآن من حافظ يتلوه من السنة، وقد سمعه ﴿ ﷺ وآله﴾ من أبى موسى الأشعرى ﭬ، وعجب أبو موسى عندما طلب منه رسول الله ﴿ ﷺ وآلـــه﴾، فقال: (أُسمِعُكَ يا رسول الله وعليك نزل؟ فقال ﴿ ﷺ وآله﴾: إنى أُحبُّ أن أسمَعَه من غيرى) (رواه البخارى ومسلم من رواية ابن مسعود). ولا إنكار على من اجتمعوا وبينـــهم حـــافظ

يسمعهم كلام الله تعالى، إذا استحضروا بقلوبهم أنهم يسمعون كلام الله جل جلاله، وأصغوا إليه إصغاء يليق بآداب من يسمع كلام الله تعالى، ملاحظين ما قدمته.

ولكن المنكر ما أبدعه أهل الغفلة من اجتماعهم على قارئ يسمعون صوته ويجهلون قدر الخطاب، فتراهم يسمعون آيات الوعيد للعصاة، والزجر عن أفعال الشر، والتشنيع على فاعل الفحشاء– مما تذوب له الأكباد وتقشعر له الجلود– فيصيحون مبتهجين بلذة النغم غافلين عن معنى الخطاب، وإذا قرأ القرآن أمامهم من لا يحسن التوقيع، أو كان ردىء الصوت، صرفوا وجوههم عنه، كأنهم لم يسمعوا كلام الله، وذلك من غفلة قلوبهم وجهلهم بقدر القرآن الشريف، وإن ذلك لمن أكبر المنكرات.

عمل الناس فى أحزانهم وأفراحهم:

لم يكن فى عهد السلف الصالح الاجتماع فى الأحزان على قارئ، ولا فى الأفراح، وهى بدعة، ولكن لابد لوضعها من سر، والغاية تبرر الوسيلة، فإن كان المراد بهذا العمل تنبيه القلب بكلام الله تعالى ليصبر المصاب، ويفوض أمره إلى الله، ويرضى بقضاء الله: فهى بدعة حسنة، والبدعة الحسنة فى حكم المرغب فيه، وقد تكون مؤكدة لمحو البدعة المضلة، فإن المصابين قد يجتمع عليهم الناس فيعملون أعمالا تغضب الله وتعذب الميت، فإذا سمعوا كلام الله لانت قلوبهم وخشعت من خشية الله، ورضوا عن الله، وكفى بالقرآن واعظا.

وكذلك فى الأفراح، فإن الناس يتغالون فى أفراحهم، وقد يرتكبون الآثام لما يعرو القلب عند نشوة الفرح، من الغفلة الموجبة للفخر والرياء والخروج عن الاعتدال، فإذا جلس بينهم قارئ للقرآن وأصغوا إليه اقشعرت جلودهم، وتحققوا أن الدنيا دار فانية، وأن اللذة الحقيقية فى الجنة، فامتنعوا عن الإفراط والتفريط.

هذا العمل إن كانت الغاية منه ما قررته، فهو– وإن لم يعمل به فى السلف الصالح– فهو فى زماننا هذا يكاد أن يكون مؤكدا، فإن كانت الغاية منه الفخر والرياء وسماع الأصوات والألحان، فهو المنكر حقا، ولا يليق بمؤمن أن يعمل منكرا فى أحزانه وأفراحه، فإن المؤمن فى

أحزانه مضطر إلى الله تعالى، وفى وقت أفراحه منعم عليه، يجب عليه أن يشكر الله ليـــديم لـــه الفرح، فإن عصى الله فى حزنه، وعصى الله فى فرحه، عرض نفسه للبلاء.

القراء فى الأفراح والأحزان:

إذا تحققوا بأن قراءتهم لتذكير عباد الله، ويقظة قلوبهم، وإعانتهم على الصـــبر عنـــد البلاء والشكر عند الرخاء، فهم دعاة إلى الخير، إلا أنه يجب عليهم أن ينووا بالقراءة التقـــرب إلى الله تعالى، فإذا أعطاهم الله رزقا على يد من دعاهم للقراءة قبلوه بصفة صدقة، حتى يكون لهم أجر، ولمن ساعدهم الله على يده أجر. فإن لم تكن لهم نية، أو نووا بذلك سرور النـــاس لسلب أموالهم، كانت بدعة منكرة يأثم بها التالى، والسامع الذى لم تكن له نية.

قراءة المولد والمدائح النبوية:

هؤلاء-وإن لم تكن لهم نية- فإن عملهم ذلك من المباح إلا إذا (شَوَّشَ) على معلم، أو أدى إلى ترك واجب شرعى، فإن سلم من هذا فهو مفيـــد جـــدا خصوصـــا فى الأفـــراح والأحزان، وفى المجتمعات خارج المساجد، ولا ينبغى أن يكون فى المســـاجد- خصوصـــا فى أوقات تأدية الصلوات أو دراسة العلم- فإن قراء المولد ومداح رســـول الله ﴿ﷺ وآلـــه﴾، يجددون للأمة شوقا إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وحبا فيه صلوات الله وسلامه عليـــه، وكـــم أحدث هؤلاء فى قلوب العامة أثرا حسنا أدى إلى الإقبال على الله والشوق إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، و لم ينتشر هذا الأمر فى الأمة إلا بعد أن اختفت ألسنة الحكمة وظهرت ألسنة الفســـاد من أهل الجدل والاختلاف، فكان قراء المولد الشريف كمجددين نشوة للقلوب، ولكن كانت ألسنة الحكمة فى زمن السلف الصالح وفى ظهور الأفراد المحبوبين لله تملأ القلوب يقينا ونـــورا، وتجذب النفوس إلى الحق.

ذكر معاملة العبد فى التلاوة ووصف التالين للقرآن[1]:

[يستحب للمريد أن يختم القرآن فى كل أسبوع ختمتين؛ ختمة بالنهار وأخرى بالليل، ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما، وختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما، ليستقبل بختمته أول النهار وأول الليل، فإن الملائكة تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح، وتصلى عليه إن كانت نهاراً حتى يمسى، فهذان الوقتان يستوعبان كلية الليل والنهار، وفى الخبر: (لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث) (أخرجه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذى).

وأمر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ عبد الله بن عمر أن يقرأ القرآن فى كل سبع، وكذلك جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة، عن يحيى بن الحارث الدينارى عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عثمان بن عفان ﷺ يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى طسم (القصص)، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى (ص)، وليلة الأربعاء (بتنزيل) إلى (الرحمن)، ويختم ليلة الخميس.

وكذلك كان زيد بن ثابت وأُبى يختمان القرآن فى كل سبع، وعن ابن مسعود أنه قرأ القرآن فى سبع ليال فكان يقرأ فى كل ليلة سُبعه، إلا أن ترتيب مصحفه على غير ترتيب مصحفنا هذا فلم يذكره، وجماعة يذكر عنهم ختم القرآن فى كل يوم وليلة] أ.هـ.

ليس كل قارىء للقرآن يكاشف بمشاهده وأسراره:

اعلم أنه لا يجد فهم القرآن - كفهم الذى يكاشف بمشاهدته، ويستظهر من الملكوت قدره - عبد فيه أدنى بدعة، أو مصر على ذنب، أو عبد فى قلبه كبر، أو مقارف لهوى قد استكن فى قلبه، أو محب للدنيا، أو عبد غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف اليقين، ولا من هو واقف عند مبناه غافل عن معناه، ولا عبد يتتبع حروفه وأخباره، ولا ناظر إلى قول

---

(١) راجع كتاب (قوت القلوب) لأبى طالب المكى جـ١ ص٤٤،٤٥، ط. مطبعة الأنوار المحمدية بالقاهرة ١٩٨٥م.

مفسر ساكن إلى علمه الظاهر، ولا راجع إلى معقوله، ولا قاض بمذاهب أهل العربية واللغة فى باطن الخطاب، أو فى سر (آلمر) وغيرها من رموز القرآن الشريف.

فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم، مردودون إلى ما فى علومهم، موقوفون مع ما تقرر فى عقولهم، مزيدهم على مقدار علومهم، وغرائز عقولهم، وهؤلاء مشركون بعقولهم وبعلومهم عند الموحدين، وهذا داخل فى الشرك الخفى، قال محمد بن على بن سنانة: إذا كان معقوله وعلمه عن عقل غير كامل، فإن العقل الكامل ما عقل عن الله عز وجل، وفهم حكمه وكلامه، وقد قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى صفة كمال العقل: (العاقل من عقل عن الله سبحانه وتعالى أمره ونهيه)، وفى الخبر: (أكثر منافقى أمتى قراؤها) (أخرجه أحمد). فهذا نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى والنظر إلى غيره – لا نفاق الشرك والإنكار لقدرة الله عز وجل – وهذا لا ينتقل عن التوحيد، ولكنه لا ينتقل إلى مقام المزيد.

صفات القارىء المكاشف بأسرار القرآن ومشاهده:

إذا كان العبد ملقياً السمع بين يدى سميعه، مصغياً إلى سر كلامه، شهيد القلب لمعانى صفات شهيده، ناظراً إلى قدرته، تاركاً لمعقوله ومعهود علمه، متبرئاً من حوله وقوته، معظماً للمتكلم، واقفاً على حضوره، مفتقراً إلى الفهم بحال مستقيم، وقلب سليم، وصفاء يقين، وقوة علم وتمكين، سمع فصل الخطاب، وشهد علم غيب الجواب.

وأفضل القراءة الترتيل، لأنه يجمع الأمر والندب، وفيه التدبير والتذكير، عن سيدنا علىّ كرم الله وجهه: (لا خير فى عبادة لا فقه فيها، ولا فى قراءة لا تدبر فيها) وعن ابن عباس رضى الله عنهما: (لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما؛ أحب إلىَّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة) وروى عنه أيضاً: (لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما؛ أحب إلىّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران هذراً).

وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى صلاة فكان قيامهما واحداً، إلا أن أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ القرآن كله، فقال: هما فى الأجر سواء لأن قيامهما كان واحداً، وأفضل الترتيل والتدبر فى القرآن ما كان فى صلاة، وقال بعضهم: إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر، وما قضيت.

الفصل الثانى

لم يزور أهل الفرقة الناجية قبور أولياء اللّه الصالحين؟

زيارة القبور:

تقرر أن زيارة القبور سنة، وكان قد نهى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عنها فى صدر الإسلام قبل أن تشرق أنوار الحق جلية على القلوب، وتقرير أصول الإسلام، فلما أن انعقدت كل القلوب على الحق، وظهر أن الخلق جميعاً عبيد مقهورون، وعباد مربوبون، وعلم كل مسلم أن كل مسلم فى حاجة إلى رحمة الله، وعفوه وفضله وكرمه، اتسع الأمر بعد التشديد، وأمرنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بزيارة القبور، وزارها صلوات الله وسلامه عليه، وكان فى كل سنة يزور شهداء بدر مرة أو مرتين، ويزور شهداء أحد فى كل جمعة، وصار أنس السالكين فى المقابر، فكان سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يأخذ المصحف ويخرج إلى القبور، فيجلس بينها، وصارت سنة أهل السلوك بعده، وهو إمامهم ﷺ فى هذا.

تفاوت سكان القبور:

لما كان سكان القبور يتفاوتون، فمنهم من هو فى حاجة إلى الاستغفار له، ومنهم من هو مقبول الشفاعة عند الله مرضى القول عنده كما قال الله: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾.[1].

ونحن لا اطلاع لنا على الغيب، ولكن الأحوال والأعمال وألسنة الخلق الأدلة على أن العبد مرضى القول عند الله، مقبول الشفاعة لديه سبحانه وتعالى، فإذا نحن زرنا المقابر فعلينا

---

(١) سورة طه آية ١٠٩.

أن نستغفر وندعو لمن نظن أنه فى حاجة إلى ذلك، ونسأل الله تعالى عند مــن نعتقــد أنهــم مقبولون عند الله قد رضى عنهم ورضى لهم قولاً.

والسنة أن نتذكر الموت عند زيــارة القبور، ونتذكر سكراته القويــة، وآلام نــزع الروح وجهل العاقبة، فتصغر فى عيوننا الدنيا، وتقبح لذتها، ويزول ما فى نفوسنا من اللقــس والرعــونات، فنعمل للموت، ونستعد للقائه، ونلتفت عن الطمع فى الدنيا والغرور بزينتــها الفانية.

زيارة قبور الأنبياء والأولياء والرد على منكريها:

شنع بعض من لا علم لهم بالسنة على زائرى قبور أولياء الله بلا حكمة، ولا قصــد لإزالة المنكر؛ بل بعناد أدى إلى ضياع الحق، وعناد المنكر والسامع، والحقيقة أن زيارة القبــور سنة، وأن الدعاء عند قبور الصالحين الذين يظن الإنسان فيهم أنهم ﷺ ورضوا عنــه ورضــى قولهم سنة عملية، دليل ذلك ما ورد فى حديث الإسراء، أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ نزل عند بيت لحم، وعند قبر سيدنا موسى عليه السلام، ووقف فصلى، أى: دعا، وزار ﴿ﷺ وآله﴾ القبور، وخرج لزيارة شهداء بدر ووقف فدعا، وورد أنه ﴿ﷺ وآله﴾ صلى على قــبر رجــل مــن الصحابة.

والدعاء المأثور لزيارة القبور هو: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شــاء الله بكم لاحقون، اللهم رب هذه الأرواح الباقية والأجساد البالية أدخل عليها روحاً منك وسلاما منى) هذا وإن الأرواح لتنتفع بزيارة أهل الصلاح والتقوى، وتنزل الرحمات على أهل القبــور، ويفوز الزائر بمغفرة الله إذا زار ولياً من أولياء الله تعالى فى قبره، فإن أولياء الله ليسوا موتى بــل هم أحياء عند ربهم يرزقون، لأنهم ماتوا بالله ولله قبل موتة عزرائيل، قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَــن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [1].

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢.

ومن أحياه الله لا يموت أبداً، وإنما ينتقل إلى دار البرزخ يـــرزق فيها بتجدد الأعمال الصالحات التي سنها فى حياته الدنيا، والخيرات التي يكتبها الله له بالعلم الذى أبقاه للمسلمين، والنعم التي تتوالى عليه من الله بما أجراه من الصدقات الباقية، فهذا حى عند ربه، له رزق بقدر أرزاق من يعمل بإرشاده، فقد يكونون أكثر المسلمين، فيكون - وهو ميت فى قبره - له أجر كأجر الأحياء جميعاً لا ينقص ذلك شيئاً من أجورهم، فهل مثل هذا ميت؟ ومن ظن غير ذلك فقد جهل، هذا حى عند ربه يرزق، ومن زاره فاز من الله بخير، وسمع الله دعاءه واستجاب له.

هذا إذا كان الزائر كامل الإيمان متحققاً بمشاهد التوحيد، أما إن كان جاهلاً فالأولى - بدل الإنكار عليه - أن نعلمه آداب الزيارة، ونفهمه أسرار التوحيد، ونترك التشنيع عليـــه لأنه مؤمن مسلم والمسلم قابل للعلم، إلا إذا كان ممن يعمل تلك الأعمال لعاجل الحياة الدنيا، وهم قطاع طريق الله ولا يخفون على المؤمنين.

زيارة قبور الأنبياء والأولياء مرغب فيها:

زيارة قبور أولياء الله الذين رضى لهم قولاً مرغب فيها، والـــدعاء عنـــد قبـــورهم مستجاب، والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وبالعمل بكتابه، والعمل بســـنة نبيـــه ﴿ ﷺ وآله﴾، وبرسوله﴿ ﷺ وآله﴾، وبأوليائه المقربين مما يدل على مزيد إيمان المـــؤمن وتواضـــعه، وسوء ظنه بنفسه واعتقاده أنه صغير فى نظره، وأن المقام الإلهى علىٌّ عن أن يكون مثل هـــذا الداعى مقبولاً لديه سبحانه، فيتشفع بغيره ممن اجتباهم الله وأحبهم واصطفاهم واختارهم، قال الله تعالى مخبراً عن ملائكته: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِـــمُ الوَسِـــيلَةَ﴾ (١) وقـــال سبحانه: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ﴾ (٢) وقال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾(٣).

وكم من حاجة قضاها الله تعالى، وكربة فرجها الله تعالى، وشدة أزالها الله تعـــالى، وفاقة أبدلها الله يسراً، ومرض أبدله بعافية بدعاء أوليائه، أو بزيارة قبورهم ودعاء الله فيها.

---

(١) سورة الإسراء آية ٥٧.

(٢) سورة المائدة آية ٣٥.

(٣) سورة الفرقان آية ٥٩.

أسباب إنكار الجاهلين بالسنة لزيارة القبور:

وإنما أنكر الجاهل بالسنة زيارة القبور، لجهله باليقين الحاصل فى قلوب عامة المسلمين من كمال التوحيد، واعتقاد أن الضار والنافع هو الله، ومتى انعقد القلب على كمال الإيمان، وحقيقة التوحيد؛ فالأمر واسع لا شبهة فيه، وهل يعتقد مسلم أن مسلماً يأكل ويشرب ويتغوط ويمرض ويموت ينفع أو يضر؟ ولكن لله رجالاً أحبهم وأحب لأجلهم من أحبهم، وقد أثنى الله تعالى على أنصار نبيه ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [1] فحب المؤمن للمؤمن دليل على كمال محبة الله، وعناية المؤمن بالمؤمن دليل على حسن الثقة بالله، فإذا كان المسلمون لا يحبون أولياء الله أحياء وأمواتاً، فمن يحبون؟ أيحبون الملوك والأغنياء؟ لعل المنكرين يحبون الملوك والأغنياء، فإذا ماتوا تركوهم، ويعتقدون أن ذلك هو الحق (لا).

ولكنا والحمد لله نحب أولياء الله، ونقتدى بهم فى حياتهم، ونبذل ما فى وسعنا لإكرامهم ابتغاء مرضاة الله، فإذا ماتوا دام حبنا، وكثر دعاؤنا لهم وزيارتنا لقبورهم.

الرسول وخلفاؤه يزورون قباء وشهداء أحد:

كان ﴿ﷺ وآله﴾ يزور مسجد قباء كل يوم سبت، ويزور شهداء أحد، وعمل بسنته بعده أبو بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم، وقد أمرنا الله تعالى بشكر الوالدين، وأمرنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالصلاة عليهما بعد موتهما فى حديث حسن، والعلماء أنفع من الوالدين، ومن برهم المسارعة لما فيه نفع المسلمين من أحياء ذكرهم ونشر علومهم وإدامة الدعاء لله أن يلحقنا بهم، أو يجعلنا من المتشبهين بهم، فإنما أحببناهم حباً لله ورسوله، ولما جملهم الله به من جمال حبه سبحانه، ومعرفته جل جلاله، والمحافظة على العمل بكتابه وسنة نبيه، وما وهب سبحانه لهم من الحكمة والبيان، فهم نور رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ المشرق على أمته، نحبهم أحياء وأمواتاً، ونفديهم بأنفسنا وأموالنا، ولا نصغى لما يقوله الجاهل لما تفضل الله به علينا على ألسنتهم وأيديهم رضي الله عنهم، ونفعنا بهم.

---

(١) سورة الحشر آية ٩.

هذا مذهبى، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور إخوتى المؤمنين للعمل بـه، حتى يكون أولياء الله محبوبين، ومتى كان أولياء الله محبوبين سارع المسلمون إلى الاقتداء بهديهم، والعمل بما كانوا عليه، وتلقى علومهم النافعة، فهم كما قال ﴿ﷺ وآله﴾: (سُرج الدنيا ومصابيح الآخرة) فتراهم – وهم أحياء بين الناس – مجهولين غرباء، فإذا انتقلوا إلى الدار الآخرة أحيا الله ذكرهم بين عباده الصالحين، وسارع عباد الله فى تأسيس المساجد، والصدقات، وأوقفوا الأعيان على مساجدهم كل ذلك من إكرام الله لهم فى الدنيا، فكيف يكون إكرام الله لهم فى الآخرة؟ وما من بلد من بلاد الإسلام إلا وبها مسجد باسمهم، أو زاوية بها فقراء المسلمين الذين أقعدهم الجهد يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون.

فهم ﷺ فى حياتهم نور وبركة للمسلمين، وبعد موتهم كنوز وخيرات لفقراء المسلمين، يزورهم منقبض الصدر فيشرح الله صدره، والعاجز عن التكسب فيرزقه الله، وكم من فقراء لا عمل لهم إلا ما يجريه الله لهم على أيدى أهل العقيدة الإيمانية من أغنياء المسلمين.

أكتب هذا، وأنا استغفر الله منه إن كان عن حظ وهوى، غير أنى – والحمد لله – أعتقد أنه مقصود به وجه الله تعالى، والخير لإخوتى المؤمنين جميعاً، وهو رأى رأيته أعتقد فى نفسى أنه الحق، اللهم إن كان حقاً فانفعنى به وانفع به إخوتى المؤمنين، وإن كان غير ذلك فأسألك أن تحفظنى وإخوتى المؤمنين من عجلتى الفطرية، وإعجابى برأيي، واتباع هواى، إنك غفور رحيم تواب كريم.

الباب الثانى

صفات أهل الفرقة الناجية

أجمل صفاتهم التى أثنى الله بها عليهم:

محصورة فى قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾[1] وهذه الآية الشريفة فصلت لنا إجمال ماكملهم الله تعالى به من المقامات والأحوال،ومجموع تلك الصفات كلها لكل واحد منهم.

فإن المؤمن الكامل الذى جمله الله بما كان عليه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ هو وأصحابه؛ لا يكون من أهل الفرقة الناجية إلا إذا جمع الله له تلك المعانى ويسرها له، وسهلها عليه، ولكل صفة من تلك الصفات جمل من العلم وتفصيل من الحكمة ومثل من البيان، ليكون مريد الله على بصيرة من أمره، ناهجاً على الصراط المستقيم، مهتدياً سبيل الله.

ورغبة فى نيلك الخير - أيها السالك المخلص - أشرح لك جملاً من معانى تلك الصفات التى أثنى الله بها على عباده المخلصين، مرتباً لها كما رتبها الله تعالى، وإن كان سبق لى أنى فصلت فى قسم علوم اليقين من كتاب: (أصول الوصول) مقامات أهل اليقين، وبينت بعض أحوالهم، ولكنى فى هذه الرسالة سأبين ما لاغنى للمريد عنه، مما لا يكون الإنسان من الفرقة الناجية إلا به، فأشرح أولاً التوبة فالتائبين، ثم العبادة فالعابدين، ثم الحمد فالحامدين، ثم السياحة فالسائحين، ثم الركوع فالراكعين، ثم السجود فالساجدين، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. ثم أبين البشائر التى أعدها الله تعالى للمؤمنين.

والله أسأل أن يشرح صدرى لما يحب من البيان النافع، والعلم الرافع، وأن يؤيدنا بروح منه، إنه مجيب الدعاء.

---

(١) سورة التوبة آية ١١٢.

الفصل الأول

أهل الفرقة الناجية هم التائبون

التوبة عند أهل الفرقة الناجية:

الإقلاع عـــن الباطل قولاً وعملاً واعتقاداً، والرجوع إلى الحق قولاً وعملاً واعتقاداً، ولا تقشعر الجلود ولا تميل القلوب للتوبة إلا بولاية من الله سبحانه وتعالى للعبد، وعلم يتفضل به عليه يكشف له به الستار عن الباطل وقبحه، وعن الحق والخير الذى ينال به الفوز، حتى تحل الرغبة فيه محل الرغبة عنه، والمسارعة إلى الخير محل المسارعة إلى الباطل، وعندها يتمثل للسالك قبح عمله، وسوء فعله، وما فاته من الخير العظيم فى زمان معصيته وما ارتكبه من الإثم العظيم وتعديه حدود ربه سبحانه وتعالى، ويتمثل ما كان يناله من الخير، وما اكتسبه مـــن الآثـــام، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، ويخرج بالعزم من عوائده ومألوفه، ومخالفة أمر ربه، وتضـــيق عليه نفسه، فيفر منها إلى الله تعالى بالحزن والندم الشديدين، حتى تهب عليه نســـمات وســـعة الفضل العظيم، وشامل الرحمة، ونور غافر الذنب وقابل التوب، فتتروح نفسه.

فالتوبة هى أولاً أن يتوب الله على العبد بما يرد عليه منه سبحانه وتعالى من نور العلم الذى يشعر قلبه بفضل الله عليه، وحسن عنايته به فى الدنيا والآخرة، ويشهده سوء صنيعه مع الله سبحانه وتعالى، وظلمه لنفسه بمخالفته أمره سبحانه، فيقبل تائباً على ربه بتوفيقـــه، وإذا لم تسبق التوبة من الله للعبد فضلاً منه وكرماً لم يستطع العبد أن يتوب، إذ لا حول ولا قـــوة إلا بالله، فالتوبة عن الكشف والوجد، دليل عناية الله بالعبد، وبرهان على إقباله سبحانه وتعـــالى عليه.

والتائبون قليلون لأن أهل محبة الله قليلون، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّـوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] ودليل ما قررت قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[2].

فقوله: ﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ دليل ما قررته أن فاعل السيئات جاهل ولو علم أنها ذنوب لجهله بعظمة من خالفه، وعقوبته عليها، ولا قبول لتوبته ما دام جاهلاً هذا الجهل، حتى يرد عليه العلم من الله الكاشف له حقيقة قبح عمله، وسوء مواجهته لربه.

وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أى: عند انكشاف الحق لقلوبهم بما ورد عليها من الله تعالى، وهذا لا ينافى ما قرره أهل التفسير فى قوله: ﴿ مِن قَرِيبٍ ﴾ أى: قبل الموت بزمن يسع التوبة متعلقين بها ﴿ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ وتوبة الله تعالى عليهم أن يورد عليهم هذا الوارد الربانى، ويوفقهم للاعتراف والندم والعزم على عدم العودة إلى المعصية، ويقبل منهم، ويبدل أعمالهم السيئة بأعمال حسنة بتوفيقه، وعقائدهم الباطلة بعقائد القرآن بعنايته، وأحوالهم الشريرة بأحوال الصديقين بحسب توجهاته، قال تعالى: ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[3]ولديها يكونون أبدالاً للصديقين، وأئمة للمتقين، يحبهم الله تعالى ويحبونه.

ما قاله أهل المعرفة فى التوبة:

وهنا أشرح لك جملاً من التوبة، وأورد عليك ما قاله أهل المعرفة فيها - لمزيد البيان - والله أسأل أن يوفقنى وإياك للتوبة النصوح الخالصة لذاته الأحدية من الذنوب التى توجب النقم، وتغير النعم، وتحبس غيث السماء، وتديل الأعداء، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4] عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب. ثم تلا:

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٢) سورة النساء آية ١٧.

(٣) سورة الفرقان آية ٧٠.

(٤) سورة النور آية ٣١.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] قيل: يا رسول الله وما علامة التوبة؟ قال: الندامة). عن أنس بن مالك أيضاً أن النبي ﴿ﷺ وآله﴾ قال: (ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب) (السيوطى فى الجامع الصغير). والتوبة أول منزلة من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين، وحقيقة التوبة الرجوع إلى الله، والندم على ما فات، قال النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (الندم توبة).

شروط التوبة الصحيحة:

أهل الأصول من أهل السنة قالوا: شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشياء:

١- الندم على ما عمل من المخالفات.

٢- وترك الزلة فى الحال.

٣- والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصى.

فهذه الأركان لا بد منها حتى تصح التوبة.

أقوال العلماء فى التوبة والتائبين[2]:

[سئل ذو النون المصرى عن التوبة فقال: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة. وكان عبد الله بن على بن محمد التميمى يقول: شتان ما بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات. وقال ذو النون: حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار، ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى فى كتابه بقوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[3] وقال ابن عطاء: التوبة توبتان: توبة الإنابة، وتوبة الاستجابة، فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفاً من عقوبته، وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرم الله تعالى. وقيل لأبى حفص: لم يبغض التائب الدنيا؟ قال: لأنها دار باشر فيها الذنوب، فقيل له أيضاً: هى دار أكرم الله فيها التائب بالتوبة، فقال: إنه من الذنب على يقين، ومن قبول توبته على خطر. وقال

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢.

(٢) راجع كتاب (قوت القلوب) لأبى طالب المكى جـ١ ص١٧٨ وما بعدها بتصرف.

(٣) سورة التوبة آية ١١٨.

رجل لرابعة: إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب عليّ؟ فقالت: لا، بل لو تاب عليك لتبتَ.

قال يحيى بن معاذ: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها.

وعن أبى عمرو الأنماطى: ركب على بن عيسى الوزير فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون: من هذا؟ من هذا؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق: إلى متى يقولون من هذا؟ من هذا؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون. فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله واستعفى من الوزارة وذهب إلى مكة، وجاور بها.

قال الله تعالى فى خطاب العموم: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ معناه: ارجعوا إليه من هوى نفوسكم، ومن وقوفكم مع شهواتكم، عسى أن تظفروا ببغيتكم فى المعاد، وكى تبقوا ببقاء الله عز وجل فى نعيم لا زوال له ولا نفاد، ولكى تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار، فهذا هو الفلاح.

وقال تعالى فى مخاطبة الخصوص: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾(١) فنصوحا معناها خالصة لله تعالى، وهى الاستقامة على الطاعة من غير روغان إلى معصية كما تروغ الثعالب، وأن لا يحدث نفسه بعود إلى ذنب متى قدر عليه، وأن يترك الذنب لأجل الله تعالى خالصاً لوجهه، كما ارتكبه لأجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته.

فمن أتى الله عز وجل بقلب سليم من الهوى، وعمل خالص مستقيم على السنة، فقد ختم له بحسن الخاتمة، فحينئذ أدركته الحسنى السابقة، وهذا هو التوبة النصوح، وهذا العبد هو التواب، المتطهر، الحبيب، وهذا إخبار عمن سبقت له من الله الحسنى، ومن تداركه ربه بتوبته

---

(١) سورة التحريم آية ٨.

رحمه بها من تلوث السوءى، وهو وصف لمن قصده بخطابه إذ يقول فى كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وكما قال ﴿ﷺ وآله﴾: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له).

وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال: هى ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود إليه. وقال أبو محمد سهل رحمه الله: ليس من الأشياء أوجب على هذا الخلق من التوبة، ولا عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة، وقال: من يقول: إن التوبة ليست بفرض؛ فهو كافر، ومن يرضى بقوله فهو كافر.

وقد جعل سيدنا علىّ كرم الله وجهه ترك التوبة مقاماً فى العمى، وقرنه باتباع الظن ونسيان الذكر، فقال فى الحديث الطويل: ومن عمى نسى الذكر، واتبع الظن، وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة.

ففرض التوبة الذى لا بد للتائب منه ولا يكون محباً صادقاً إلا به: الإقرار بالذنب، والاعتراف بالظلم، ومقت النفس على الهوى، وحل الإصرار الذى كان عقده على أعمال السيئات، وإطابة الغذاء بغاية ما يقدر عليه، ثم الندم على ما فات من الجنايات.

الخصال التى على العبد فى التوبة:

وجملة ما على العبد فى التوبة، وما تعلق بها عشر خصال؛ أولها: فرض عليه أن لا يعصى الله تعالى، والثانية: إن ابتلى بمعصية لا يصبر عليها، والخصلة الثالثة: التوبة إلى الله تعالى منها، والرابعة: الندم على ما فرط منه، والخامسة: عقد القلب على الاستقامة على الطاعة إلى الموت، والسادسة: خوف العقوبة، والسابعة: رجاء المغفرة، والثامنة: الاعتراف بالذنب، والتاسعة: اعتقاد أن الله تعالى قدر عليه ذلك، وأنه عدل منه، والعاشرة: المتابعة بالعمل الصالح ليعمل فى الكفارات؛ لقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) والمتصف بتلك الخصال كلها هو التائب حقاً، ومن قصر فى صفة منها كانت توبته بقدر مجاهدته لنفسه، وإذا لاحظت عناية الله عبداً يسر له جميعها؛ وتفضل عليه بمحبته سبحانه وتعالى له.

وقال بعض العارفين: إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه، يوجد ذلك بإلهام يلهمه؛ أحدهما إذا ولد وخرج من بطن أمه يقول له: عبدى قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نظيفاً، واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه، فانظر كيف تحفظ الأمانة، وانظر كيف تلقانى كما أخرجتك. وسر عند خروج روحه يقول: عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك؟ هل حفظتها حتى تلقانى على العهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء؟ أو أضعتها، فألقاك بالمطالبة والعقاب؟ فهذا داخل فى قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾(١) وفى قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾(٢).

فعمر العبد أمانة عنده، إن حفظه فقد أدى الأمانة، وإن ضيعه فقد خان الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾(٣). وفى خبر ابن عباس ﷺ: (من ضيع فرائض الله عز وجل خرج من أمانة الله). وسئل يحيى بن معاذ: كيف يصنع التائب؟ فقال: هو من عمره بين يومين: يوم مضى ويوم بقى، فيصلحهما بثلاث: أما ما مضى: فبالندم والاستغفار، وأما ما بقى: فبترك التخليط وأهله، ولزوم المريدين، ومجالسة الذاكرين، والثالثة: لزوم تصفية الغذاء والدأب على العمل.

من علامة صدق التوبة وتحققها:

من علامة صدق التوبة رقة القلب، وغزارة الدمع، وفى الخبر: (جالسوا التوابين، فإنهم أرق شىء أفئدة). ومن التحقق بالتوبة استعظام الذنوب، كما جاء فى الخبر: (المؤمن الذى يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق الذى يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطاره)، وقال بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت. أوحى الله إلى بعض أوليائه: لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظمة مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها. فإنما عظمت الذنوب لعظمة المواجه بها، وكبرت فى القلوب لمشاهدة ذى الكبرياء، ومخالفة أمره بمزاولتها، فلم يصغر ذنب عند ذلك، وكانت الصغائر عند الخائفين كبائر.

---

(١) سورة المؤمنون آية ٨.

(٢) سورة البقرة آية ٤٠.

(٣) سورة الأنفال آية ٥٨.

وقال بعض الصحابة للتابعين: إنكم لتعملون أعمالاً هى أدق فى أعينكم من الشعرة، كنا نعدها فى عهد النبى «ﷺ وآله» من الموبقات - ليسوا يعنون أن الكبائر التى كانت على عهد النبى «ﷺ وآله» صارت بعده صغائر، ولكن كانوا يستعظمون الصغائر، لعظمة الله تعالى فى قلوبهم لعظيم نور الإيمان، و لم يكن ذلك فى قلوب من بعدهم-.

وقال بعض العارفين: حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك، وقال آخر: حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك. وهذان طريقان لطائفتين، وحالان لأهل مقامين، فأما ذكر الذنوب فطريق المريدين، وحال الخائفين يستخرج منهم بتذكرها الحزن الدائم، والخوف اللازم، وأما نسيان الذنوب شغلاً عنها بالأذكار، وما يستقبل من مزيد الأعمال، فطريق العارفين، وحال المحبين، ووجهة هؤلاء شهادة التوحيد وهى مقام فى التعرف، ووجهة الأولين مشاهدة التوقيف والتحديد وهى مقام فى التعريف، ففى أى المقامين أقيم عبد قام بشهادة وجهته وعمل بحكم حالته، ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام مشاهدة التعريف، وإن كانت هذه أوسع وأكثر، إلا أنها فى أصحاب اليمين وفى عموم المقربين، وشهادة التوحيد أضيق وأقل، وأهلها أعلى وأفضل، وهى فى المقربين وخصوص العارفين.

وقال بعضهم: إن العبد إذا عصى أظلم قلبه ظلمة يثور على القلب منها دخان يشهده الإيمان فهو مكان حزن العبد الذى تسوءه سيئته، ويكون ذلك الدخان حجاباً له عن العلم والبيان، كما تحجب السحابة الشمس فلا تُرى، ويكون غلفاً يجده فى نفسه للخلق، فإذا تاب العبد وأصلح انكشف الحجاب فيظهر الإيمان فيأمر بالعلم كما تبرز الشمس من تحت الحجاب، ومن هذا قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] قالوا: هو الذنب على الذنب حتى يسّود القلب، ويصير الإيمان تحت الحجاب فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، وعندها ينكس أعلاه أسفله إذا استكمل سواده، فحينئذ يكون قد مرد على النفاق فاطمأن به وثبت، إلى أن ينظر الله تعالى إليه فيعطف بفضله عليه.

---

(١) سورة المطففين آية ١٤.

وقد جعل سيدنا علىّ كرم الله وجهه الغفلة إحدى مقامات الكفر، وقرنها بالعمى والشك، وأمال صاحبها عن الرشد، ووصفها بالحسرة فقال فى الحديث الذى يروى من طريق أهل البيت، فقام عمار بن ياسر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما بنى؟ فقال: (على أربع دعائم: على الجفاء، والعمى، والغفلة، والشك، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء، ومن عمى نسى الذكر، ومن غفل حاد عن الرشد، وغرته الأمانى فأخذته الحسرة والندامة، وبدا له من الله تعالى ما لم يكن يحتسب، ومن شك تاه فى الضلالة). وقد وصف الله تعالى المؤمنين بترك متابعة الذنوب، وترادف السيئة بالحسنة فى قوله تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾(١) وقد جعل هذا من وصف العاملين الذين صبروا فقال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾(٢)] أ.هـ.

هذا ما أحببت أن أورده عليك من أحكام التوبة ووصف التائبين، لتزن به أحوالك عند إنابتك إلى الله تعالى، ورجوعك إلى طاعته سبحانه، فإن وجدت ما أورده الله على التائبين من حلاوة الإقبال عليه، ولذة مواجهته تعالى بلا تكلف منك فقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِى لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾(٣)..

وإن لم تجد من نفسك هذا المشهد العلى، فتيقن أن ذلك من نزوع نفسك إلى حظ ترجوه عاجلاً، أو آجلاً، أو لتوبتك على غير مشهد من مشاهد التوحيد، أو لشوب فى إخلاصك، فسارع يا أخى إلى مجالسة التوابين، وسماع علومهم منهم، لتشرق على قلبك أنوار التوحيد، وتعرف قدر ما تفضل به عليك ذو الفضل العظيم، وعظيم ما اجترحته فى جانبه سبحانه وتعالى، حتى تنجذب نفسك بالكلية إلى الإنابة إلى الله، فتكون توبتك نصوحاً، وتوصف بأنك من التوابين، وتتلذذ بمحبة الله لك فتجدد التوبة لكل عمل تعمله لعلمك بقدر نفسك، وقدر عملك، ومعرفتك مقام ربك، ولو كان فى نظرك قربة، لما تشهده فيه من عجزك

---

(١) سورة الرعد آية ٢٢.

(٢) سورة القصص آية ٥٤.

(٣) سورة الأعراف آية ٤٣.

عن القيام بواجب شكر المنعم المتفضل، حتى تنبلج لك أنوار التوحيد، فيحصل البسط والأنس، فتنسى ذنبك، وتقبل على ربك بظاهرك وباطنك، وتكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١).

والعامة يجددون التوبة عند حدوث الذنب، والخاصة يجددون التوبة عند أعمال البر لشهودهم التقصير فيها، وخاصة الخاصة يجددون التوبة بعد عمل القربات لشهودهم العمل لأنفسهم لفهمهم التوحيد بالتوحيد، وهنا أمسك القلم عن توبة المحبوبين وإنابة المرادين، لعلو مشاهدهم وخفاء مواجيدهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٢) فإن العبارة لا تفى بمشاهدهم، والإشارة لا تبين مواهبهم التى تفضل الله بها عليهم، وإنما هو فضل الله العظيم يؤتيه من يشاء.

وقد كشفت لك الستار عما يمكن أن يبلغه مريد الحق إذا عمل بعلمه، وما يورثه الله تعالى للعاملين بعلمهم عليٌّ عن أن يسطر على الأوراق، قال الله تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾(٣) وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾(٤).

وكفى شرفاً بالتوبة إن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه يحب التوابين، ومن علم مقدار ما يتفضل الله به على من يحبه يعلم قدر التوبة، ويسارع إليها، ويفوز بالفضل العظيم، وإنى أنبهك أيها المريد السالك أن تلجأ إلى التوبة عند كل ذنب واثقاً بالله سبحانه وتعالى بوسعة رحمته، معتقداً أنك عبد مذنب، وأنه رب غفور عفو تواب كريم، ولا يهولنك عظم الذنب، فإن ذلك لجهلك بواسع مغفرة ربك، ولا حصوله منك بعد التوبة، فإن ذلك لجهلك بنفسك، بل سارع إلى التوبة عازماً على عدم الرجوع إلى الذنب بإخلاص وصدق؛ ولو أذنبت فى اليوم مائة مرة.

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٢.

(٢) سورة الإسراء آية ٨٥.

(٣) سورة الأنفال آية ٢٩.

(٤) سورة الطلاق آية ٥.

التائب المذنب بتوبته:

وإنما شنع العلماء على التائب العاجز عن عمل الذنب، فإذا قدر عاد للذنب لأنـه لم يتب لله مخلصاً، وعلى من تاب بعد الوقوع فى الذنب إذا أصابته بلية باقتراف الذنب فيتوب منتظراً زوال البلية، وذموا من تاب عازماً على العودة، وهؤلاء لم يكونوا من التائبين عندنا، ولكنهم لاعبون، وهم مذنبون بتوبتهم، ويجب أن يتوبوا من تلك التوبة، لأنها ليست توبة حقاً، ولكنها ذنب آخر يضاف إلى ذنوبه، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ* آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾(1) وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(2) وأمثال هؤلاء يجب عليهم قبل التوبة أن يسارعوا إلى مجالس العلماء الربانيين، ويستفتوهم فى التوبة حتى يعلموا مم يتوبون، ولمن يتوبون، وكيف يتوبون، لأن أمثال هؤلاء من الغافلين الذين لا ترفع أعمالهم لجهلهم وغفلتهم فى العمل، والجاهل لا يقبل الله منه قليل العمل ولا كثيره.

وكان الناس يبكون بعد الأعمال الصالحة خشية أن ترد عليهم، حتى قال بعضهم: التوبة من التوبة. وإن ظهر لبعض من لا معرفة لهم بأسرار التوحيد خطأ قائل هذه الكلمة، ولكنهم لو كوشفوا بمراده لتابوا من توبتهم، فإن التائب إلى الله إذا شهد عمله فى توبته، واعتقد أنه أورد هذا العمل على الله بحوله وقوته، فهو مشرك شركاً خفياً فمثله يتوب - لا من التوبة - ولكن من ذنب آخر هو شهوده عمله فيه، لأن التوبة - كما قررت آنفاً - فضل من الله يتفضل الله به على من يحبهم من عباده، فهو وارد من الحق على الخلق، وهو لأهل مشاهد التوحيد، فالرجوع إلى الله بالتوبة فضل الله على العبد فى الحقيقة، وإقبال منه عليه، فإذا شهد العمل لنفسه واطمأن قلبه به فقد جهل فضل ربه عليه بتوبته، ونسى نعم المنعم عليه برجوعه، فيكون بعد عن الله بما يظن أنه قرب إليه به، فيتوب من هذا الذنب الخفى إلا على أهل مشاهد التوحيد. فقوله: تاب من التوبة، أى: تاب من ذنب ارتكبه فى التوبة، ولأهل الفرقة الناجية

---

(1) سورة يونس آية ٩٠،٩١.

(2) سورة النساء آية ١٨.

مشاهد فى قرباهم، وأذواق راقية فى عباراهم، أسأل الله تعالى أن يمنحنا فضله العظيم، وأن يجعلنا من التوابين المتطهرين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التوبة عمل من أعمال القلوب والجوارح:

من هنا يظهر أن التوبة عمل من أعمال القلوب: وهو مكاشفة عظمة الله، واستبانة أحوال نفسه، والعزم على استبدال قبائح الأعمال بمحاسنها، والإخلاص فى الرجوع إلى الله، والصدق فى العمل له، وملاحظة التوحيد الخالص عند القيام بهذا العمل القلبى.

وعمل بالجوارح: وهو القيام بالفرائض، وملازمة سنن رسول الله، وترك ما كان يعمل التائب من قبيح العمل، والمسارعة إلى عمل الواجب والمندوب، ليستبدل كل قبيح عمله بعمل حسن يعمله، وبكل خصومة صلحاً، وبكل أذية آذاها للخلق إحساناً يحسن إليهم لوجه الله تعالى، وتشبها برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾.

ليس بتائب من أهمل عمل القلب وسارع إلى عمل الجوارح، ولا من أهمل عمل الجوارح وسارع إلى عمل القلب، لأنه يتوب من عمل عمله بقلبه وجوارحه، وكل من القلب والجوارح مطالب بالتوبة حتى يتفضل الله عليه بمحبته حقاً، لأن النعيم فى الدار الآخرة للروح والجسم، والشقاء فى الدار الآخرة للنفس والجسم، ومتى زكت النفس أفلح الجسم والنفس، وسمى مجموعهما مؤمناً، فإن كلمة الإيمان مدلولها عمل القلب، وعمل الجسم، وليس بمؤمن مَن اعتقد وترك الأعمال الظاهرة فإنه كافر عند العلماء، ولا من عمل بالجوارح وترك الأعمال القلبية فإنه منافق عند العلماء، إنما المؤمن حقاً من جمله الله باليقين الحق ووفقه للأركان والمندوبات. إذن فالتوبة لا بد أن تكون بالقلب والجوارح.

المفرقون للأمة:

إن كثيراً من أهل الجهالة يتكلفون الأعمال الصالحة أمام الخلق وقلوهم قلوب الشياطين، وهم يحسبون أهم يحسنون صنعاً، ومن أهل الجهالة من يتكلف الخفاء بالأعمال عند الناس، وهمته متوجهة إلى الشهرة والظهور، فتكون الأبدان متقلبة فى الطاعات، والقلوب مظلمة بالغفلات، ومنهم من يتكلف الخروج عن الاعتدال ظناً أن ذلك تزكية للنفوس وتهذيب

لها، كما فعل بعض الأفراد الذين خرجوا إلى الغابات فراراً إلى الله تعالى فيتشبهون بهم فى أعمالهم البدنية، ويجهلون مشاهدهم العلية، فتكون لهم بعد ذلك شهرة بين الناس ومترلة، فيقبلون على الدنيا كالذئاب، ومنهم من يحفظ كلام القوم ويلقيه أمام العامة ليجذب قلوبهم إليه، ويسلب أموالهم منهم، وهم فى عملهم هذا يروغون روغان الثعالب.

ومنهم من ينظر إلى أهل زمانه نظر ازدراء فيمقتهم، ويبحث عن عيوبهم، ويحفظ ما ورد فى ذم الأعمال السيئة والبدع المضلة، جاهلاً بحقائقها غافلاً عن سر مدلولها، وعمن قيلت فيهم، فيقوم مشنعاً على العامة فى أعمال ليست من البدع ولا من الضلالة، فيكون آلة للشيطان، يفرق جماعة المسلمين فيشغلهم عن الموارد الهنية، والمشاهد العلية، ويظن أنه مجدد السنة، وهو مغرور محجوب مبعود عن الله، ومنهم من يشتغل بالتفضيل فيفضل زيداً على عمرو، حتى يشغل المسلمين عن سنى الأحوال، ومقبول الأعمال - كما فعل الرافضة ومن غالى من الشيعة، وكما فعل جهلاء المتكلمين - كل ذلك من الجهل بالله ومن الجهل بالنفس.

والأولى بهؤلاء أن يفتشوا عن مرشد كامل يتلقون عنه الحكمة والمعرفة، ويتركون شأن العامة فإنهم على خير، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: اللهم إيماناً كإيمان العجائز. وكما قال بعض العارفين: اللهم إيماناً كإيمان الأميين. وقد بينت فى كتاب: (تذكرة المرشدين والمسترشدين) ما ينبغى أن يكون عليه العالم والمتعلم والمرشد والمسترشد، والله أسأل أن يحفظ جماعة المسلمين من الأمراض المنتشرة من هؤلاء، وهم الذين فرقوا الأمة إلى بضع وسبعين فرقة، أعاذنا الله من شرهم. وقد بينت فى باب تراجم أفراد الصحابة وأئمة السلف؛ نماذج فى الصراط المستقيم لطالب الله تعالى يهتدى بها فى سيره، وتستنير بها سريرته، لأنهم أئمة الهدى، والذين أمرنا الله أن نسأله الهداية لطريقهم فى كل يوم أربعين مرة لقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[1] فهم الذين أنعم الله عليهم، أعاننا الله على انتهاج سبيلهم، ووفقنا للعمل الذى يحبه ويرضاه آمين.

---

(١) سورة الفاتحة آية ٦،٧.

وإذا أردت تفصيل علوم التوبة فراجع ذلك فى كتاب: (أصول الوصول) فى قسم: (علوم اليقين) وإنما بينت لك هنا حقيقة التوبة عند أئمة الفرقة الناجية الذين هم على ما كان عليه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه.

حرصهم على مشابهة الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه:

كتبت لك نموذجاً مما عليه أهل الفرقة الناجية فى قيامهم بالفرائض والمندوبات اليومية، وكيف اجتهدوا أن يوقعوا كل عمل من الأعمال طبق ما كان عليه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى آناته، ملاحظين فى ذلك الحركات والأقوال والأعمال القلبية بقدر الاستطاعة، باذلين الجهد أن لا يضيع منهم نفس من غير أن يكونوا متشبهين به ﴿ﷺ وآله﴾، وفى تلك المشابهة مشاهد ومقامات أشير إلى شئ منها:

المشهد الأول:

أن يكونوا مستحضرين حقيقة الاقتداء به ﴿ﷺ وآله﴾، استحضارا يجعل القلب يطمئن بالعمل.

المشهد الثانى:

أنهم باستحضارهم هذا تتجلى للخيال أنوار ذاته ﴿ﷺ وآله﴾ فى قيامه بالأعمال، فيشهد الخيال بسر المثال هيكله النورانى ﴿ﷺ وآله﴾، شهودا تنكشف به لجوهر النفس حكمة تلك الأعمال، والمراد منها.

المشهد الثالث:

يتجلى لجوهر النفس نور مواجهة الموفق الهادى المعين من فيض سر التشبه به ﴿ﷺ وآله﴾، فيصفو جوهر النفس بمشاهد التوحيد التى انبلجت له فى العمل، بعد شهود أنه الفاعل فى افتتاح العمل.

المشهد الرابع:

كشف الحجاب بين العبد وربه حتى يسمع كلام الله من الله، ويرى جمعه على ربه سبحانه وتعالى، وقربه منه، حتى تحصل المناجاة.

وهناك مشاهد فوق هذه نمسك عنها اللسان والقلم، كل هذا بفضل مجاهدتهم رضي الله عنهم لأنفسهم، حتى تكون على ما كان عليه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه.

المقامات:

أما المقامات فمنها مقام المحبة: فإن المتشبه برسول الله فى عمله وقوله- عند قيامه بالفرائض والمندوبات- لا يمكنه أن يحسن ذلك إلا بالعلم، والعلم كما قررت فى كتاب: (معارج المقربين) تصور النفس رسوم المعلوم حتى ينتقش على جوهر النفس الصافى، ومتى انبلجت أنوار المعلوم لجوهر النفس بعلمه اشتد شوقها إليه، فسارعت إلى مرضاته بالتشبه بأحب عباده إليه، والعمل بسنة أكرمهم عليه ﴿ﷺ وآله﴾، والمتشبه بالمحبوب محبوب، والعامل بسنة الكريم على الله كريم على الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[(١)] فكان مجرد اتباعه ﴿ﷺ وآله﴾ ينيل محبة الله- فضلا من الله- فكيف بالمحافظة على التشبه به ﴿ﷺ وآله﴾ والمسارعة إلى العمل بسنته؟.

ومنها التوكل على الله: فإن مشاهدة الحق ومناجاته تقتضى معرفته، ومعرفته تقتضى حقيقة التوكل عليه.

ونمسك القلم عن بقية المقامات، وكل ذلك بفضل الاقتداء برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وحسن اتباعه، وقد شرحت جملا من المقامات فى قسم التصوف فى كتاب: (أصول الوصول). هذا، وإن الله سبحانه وتعالى قد يكرم المعاصرين بالتشبه برسول الله إكراما له، فكيف يكون إكرام الله لمن جمله بتلك المعانى فى نفسه؟.

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١.

ومريد الحق إذا بلغه من الصادق عمل كان يعمله رسول الله، أو قول كـــان يقولــه سارع إليه وبحث عن كيفيته، حتى كان بعض الصحابة يحب أن يعلم كيفية أعماله الشخصية ﴿ﷺ وآله﴾ مما يستتر فيها عن الناس، ليكون تشبهه به أكمل وأتم، حرصا علــى أن يكــون شبيها برسول الله فى كل الأعمال والأقوال والأحوال، شرعيها وعاديها، حتى يفوز بأن يكون معه ﴿ﷺ وآله﴾ معية لا حجاب بعدها، ومجموعا عليه ﴿ﷺ وآله﴾ جمعية لا تفرقة بعــدها، وإنما هى أنوار أعمال، وأسرار أحوال، متى استحضرها السالك حضر مع رســول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وامتزج حبه ﴿ﷺ وآله﴾ بدمه ولحمه ومخه ولبه، حتى لا يتحرك ولا يسكن إلا وهو مشاهد أن ذلك كفعله ﴿ﷺ وآله﴾، والله سبحانه وتعالى يجملنا بحقيقة الاقتــداء بــه ﴿ﷺ وآله﴾، ويخلقنا بأخلاقه الطاهرة المحمدية، ويجمعنا عليه جامعة يجعلنا بها من أهل معيتــه ﴿ﷺ وآله﴾، إنه مجيب الدعاء.

الفصل الثانى

أهل الفرقة الناجية هم العابدون

العبادة عند أهل الفرقة الناجية:

هى اعتقاد عند أهل التسليم، وشهود عند أهل الكشف أن للمعبود سبحانه قوة غيبية فوق الأسباب يقدر بها على النفع والضر، مع غاية الحب ونهاية الذل والخضوع، ففى اللغة: التعبد: الخضوع والتذلل. فمن أحببته و لم تكن ذليلا خاضعا له لم تكن عابدا له، ومن خضعت له و لم تكن محبا له لم تكن عابدا له، حتى تكون محباً ذليلا خاضعا. والمنكرون محبة العباد لربهم منكرون حقيقة العبادة، فإن العابد فى نهاية الحب وغاية الذل والخضوع لمن يعبد، وفى كمال الاعتقاد أن له قوة غيبية فوق الأسباب الظاهرة يقدر بها على النفع والضر، وقد شرحنا مقام المحبة فى قسم اليقين فى كتاب: (أصول الوصول) شرحا وافيا فى تفصيل علوم المحبة وأحوال أهلها لا نريد الإطالة بها هنا.

ومن أنكر أن الله محبوب للعباد- بل أنه غاية بغيتهم، ووجهه العلى نهاية مقصدهم- فقد أنكر أنه إله يعبد، إذ العبادة- كما قررنا- نهاية الحب وغاية الذل، ومن لا حب له لا عبادة له، والخاضع الذليل بلا حب ليس بعابد، والعاشق بلا خضوع ولا اعتقاد ليس بعابد، إذاً فالعابد بلغ نهاية المحبة لله وغاية الخضوع والذلة لجنابه، واعتقد بقوته الغيبية وسلطته القهرمانية التى هى فوق الأسباب، فيكون بتلك المعانى كلها عابدا، وبترك معنى منها ليس بعابد.

وأهل الفرقة الناجية هم العباد حقا المتحققون بكمال الحب لله، الحب الذى حقر فى أعينهم الكونين، وأنساهم ما سوى الله فذكروه كثيرا، وتلذذوا بكمال الذل لعظمته، وكمال الخشوع لعزته، لذلك فإنه سبحانه وتعالى قدم قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[1] على قوله: ﴿ وإِيَّاكَ

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥.

نَسْتَعِينُ ﴾[1] لأن العبادة غاية القصد، والاستعانة وسائل لها، والمقاصد تقدم على الوسائل للتعظيم، ثم ذكر اسمه قبل ﴿ نَعْبُدُ ﴾ بقوله ﴿إِيَّاكَ﴾ إشارة إلى أن العابد لا يكون عابدا إذا لم يكن محق الحب من قلبه كل غير، وسلب الذل لله كل من سواه.

والعبادة هى المقصد الأسمى للخلق أجمعين التى لأجلها خلق العرش والكرسى، والإنس، والجن، والملائكة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ {٥٦} مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾[2].

فالمتهاون بالعبادة متهاون بالمقصود الأعظم، والمتساهل فيها متساهل بالحكمة التى لأجلها خلق، وكل عابد لله متحقق بمعونة الله، وليس كل مستعين بالله متحققا بعبادة الله، لأن العبد قد يستعين بالله فيما ليس عبادة.

إذا تقرر ذلك فالعبادة كلمة جامعة لأنواع الخير كلها، إذ العابد محب لله، خاضع لله، عامل بأحكام الله، محافظ على سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، قائم بتأدية جميع شعب الإيمان، من بر وصلة، وعفو وإحسان، وإكرام وتواضع، وتوبة وإنابة، ويقين وتوكل وتفويض، وغير ذلك من المعانى التى يحبها الله، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى، عند ثنائه ومدحه لطائفة من عباده يصفهم بالعباد، فعندما أراد سبحانه وتعالى أن يثنى على الملائكة قال: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[3] وعند ثنائه على عباده بما جملهم به من الصفات قال: ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾[4] وقال: ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾[5] وقال: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾[6] ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[7].

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥.

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦،٥٧.

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٦.

(٤) سورة الفرقان آية ٦٣.

(٥) سورة الأنبياء آية ٧٣.

(٦) سورة الزمر آية ٥٣.

(٧) سورة الزمر آية ١٦.

ولما كان أخص معانى العبادة كمال الذل مع الخضوع والحب قال ﴿ ﷺ وآلـــه﴾: (الدعاء مخ العبادة).

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[1] والعبادة فى الحقيقـــة هـــى أكمل أعمال القلوب والجوارح معا، لأن المحبة والذل والاعتقاد والمشاهدة فيها مـــن أعمـــال القلوب، والحركات البدنية- من صلاة وزكاة وصيام وحج ونطق بالتوحيـــد ومســـارعة إلى الخير- من أعمال الجوارح، فالعبادة مع كونها المقصد الأعلى فى الحقيقة ونفس الأمـــر، هـــى حقيقة الشكر على سوابغ نعمائه وعميم آلائه، قال تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيـــلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[2] فجعل سبحانه وتعالى الشكر عملا، وجعـــل الشـــاكرين قلـــيلين، فالعابدون على التحقيق قليلون.

وقد فصلت مشاهد الأعمال عند كل نوع من أنواع العبادة فى كتـــاب: (معـــارج المقربين) فراجعه إن أحببت أن تكون منهم، لأن رسالتى هذه خاصة ببيان ما عليه أهل الفرقـــة الناجية بالاختصار.

وليست العبادة عندهم- ﷺ- مجرد أعمال تؤدى بحركات وسكنات، أو تكاليف يقـــوم بهـــا العابد فى آنات مخصوصة ولحظات، فإن تلك الأعمال ليست هى المقصـــودة بالـــذات، بـــل المقصود روحها، وسرها، وحكمتها، قال الله تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى ﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] وقـــال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾[5] وقال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِـــنْ أَمْـــوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[6] فالمصلى المشـــاهد روح

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٠.

(٢) سورة سبأ آية ١٣.

(٣) سورة الحج آية ٣٧.

(٤) سورة البقرة آية ١٨٤.

(٥) سورة العنكبوت آية ٤٥.

(٦) سورة التوبة آية ١٠٣.

الصلاة لا يقع فى فحشاء ولا منكر، والصائم تارك ملاذه وشهواته، المتألم بالجوع والعطش، هو فى خير لذة بما يتألم به غيره، وباذل الأموال- مع كونها خرجت من ملكه، ونقصت ماله حسا- تزكت نفسه بها وتطهرت.

فلمشاهدى روح العبادة مشرب طهور لا يمازجه شئ لكمال توحيدهم الخالص من الشوب، فإن أكثر العمال يشوب إخلاصهم فى عملهم كدر بعض البواعث على العمل: كالرغبة فى الجنة، ونيل الملاذ الباقية. ولكن العباد المخلصين، صفت سريرتهم من شوب الشرك الخفى والأخفى، فسقاهم ربهم شرابا طهورا صافيا، مما يكون مزاجا لشراب غيرهم، يطيب بقطرة منه شراب غيرهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً {٥} عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾(١) فبين سبحانه وتعالى أن شراب الأبرار يتناول لهم فى كأس، وهذا الشراب ممزوج بطهور العين الذى هو خالص شراب عباد الله المخلصين فى توحيده، فهذه العين- التى يفجرها عباد الله تفجيرا- إنما تجلى لسرهم من حقيقة التوحيد بالتوحيد، حتى تراءت له أنوار معنى الصفات والأسماء، بسر اتحاد التوحيد عن تترل المزيد، فهم- مع خالص توحيدهم- تتراءى لهم معانى الأسماء والصفات بمعانى واحد، وأنوار أحد، هذا الذى جعل العباد فى مقامات المحبوبين لله تعالى، لمحبتهم له سبحانه وتعالى، هذا ما يمكن أن يسطر من معانى العبادة على صفحات الأوراق.

ولولا أن كشف سر الربوبية كفر لألمعتُ إلى شيء من غوامض أسرار العبادة ولطائف حكمة قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢) والله يهبك - أيها الأخ- مواهب أهل القرب من العباد، ويوردك مواردهم بمحافظتك على العمل بما علمت، إنه مجيب الدعاء.

العابدون من أهل الفرقة الناجية:

شرحت لك حقيقة العبادة قبل التكلم على العابدين، حتى إذا فهمت ما هى العبادة أمكنك أن تتجمل بحقيقتها، فتكون عند الله تعالى وعند رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ من العابدين، وتكون عند العلماء ممن أثنى الله تعالى عليهم، ومدحهم وشكرهم فى كتابه، ولما كان إثبات

(١) سورة الإنسان آية ٥، ٦.

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦.

صفة العبادة لا يتحقق للعبد إلا بمعنيين لابد منهما، وبدونهما لا يكون العابد عابدا إلا عند نفسه، وهما:

١- شهود أنه عبد له وجود بالله تعالى، وعليه حقوق لله سبحانه وتعالى.

٢- وشهود المنة عليه بتوفيق الله له بالقيام بما افترضه عليه، وما ندبه إليه، حتى يكون عبدا عاملا بمقتضى العبودية، موحداً متزها الحق جل جلاله عن الشرك فى وحدة الأفعال، فإن جهل حقيقته فى وجوده بالله تعالى وعبد الله ألف سنة، غير مشاهد منة الله عليه ونعمته العظمى الواصلة إليه بتوفيقه إليه بما كلفه به وطلبه منه؛ كان عمله ممزوجاً بالشرك، محجوباً عن مكاشفة أنوار التوحيد، وإن استغرق فى شهود قيومية الحق - فجمعته جمعاً غير شرعى حتى أفنى الأحكام والرسوم فلم يقم لله بما كلفه به - كان فى فرق بمخالفته للأمر، وإن كان مجموعاً على الحقيقة بالمشاهد التى انبلجت له بكمال اعتقاده.

اللهم إلا إذا غلب الشهود فسلب قوة التكليف بجمع شرعى سابق، ولديها لو شهد محو الوجود الكونى بمشاهدة قيومية وقدرة، وإرادة ومشيئة الحق وغيبته عن شهود الحكمة؛ كان ذلك ذوقاً له قبول عندنا ولكننا نعتبره ناقصاً لا يكمل فى نظرنا إلا بأن يكون جامعاً فارقاً، وإن كانت لأهل الفرقة الناجية إشارات عالية، وعبارات سامية، تشير إلى الجمع على الحقيقة؛ فإنهم ﷺ وأرضاهم - وهم فى أرقى مراتب جمعهم - أسرع الناس إلى القيام بالأمر، والتقرب إلى الله بما يحب، والعمل بما رغب فيه، فهم فى جمعهم فى فرق، وفى فرقهم فى جمع، فإذا وقف الرجل منهم فى الصلاة استحضر أنه عبد مكلف، وشهد منة الله عليه بالتوفيق والمعونة، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وواجه بسره وروحه وقلبه قدس الجبروت الأعلى، وبجسمه بيت الله الحرام، فكان جامعاً فارقاً، وما عملوا عملاً من القربات أو الواجبات إلا وهم على هذا الكمال الذى كان عليه أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ممن بلغ بهم الكشف مبلغاً لا يبلغه أحد بعدهم من العابدين.

وليس بعد أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أئمة يقتدى بهم، فإنهم ﷺ وأرضاهم عنه، كان أصغرهم فى جمع الجمع مع فرق الفرق فى آن واحد، وسأكتب رسالة أبين فيها

مذهب الحق للسادة الصوفية أشرح فيها مبدأهم الشرعى، ومآخذهم الحقة، والحقيقة أنه لا جمع إلا بعلم لدنى، ولا علم لدنى إلا بعلم شرعى يكون العامل فيه عاملاً عن علم بالأحكام وفهم للحكمة سر قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

وإنما الجمع الذى يعنونه ﷺ هو ذوق أسرار التوحيد، بعد استحضار معانى الصفات والأسماء، ثم مشاهدة آيات الواحد سبحانه دالة على أنه القادر الحكيم الظاهر الباطن المريد الفاعل المختار، وإن كان أنكر بعض الناس الجمع فلهم العذر لأنهم شهدوا بعض من يدعونه تائهين فى بيداء الجهالة بحكمة الله، جاهلين بسر الأمر والنهى، قد أسقطوا الأحكام والأعمال، وفارقوا الأئمة والجماعة، فظن المنكرون أنهم أئمة هذا الطريق، فشنعوا على الطريق وأهله.

ولو أن الله سبحانه وتعالى نبههم إلى أن يبحثوا عن عالم بالطريق وتربية النفوس والرقى إلى مشاهد الآيات الربانية منبلجة فى الكائنات، حتى يبلغ بهم إلى أن يهجم بهم العلم على عين يقين، وتقلص أفياء الأوهام، وتذوب ثلوج الحظوظ والأهواء، لعلموا أنه لا بد من الجمع، ومن لا جمع له فى الدنيا لا جمع له على الرحمن الرحيم المنعم المتفضل الرءوف اللطيف الودود يوم القيامة، وإلا فالعابد الذى يرى أنه يعمل لله غافلاً عن شهود منة الله عليه فى العمل بالعمل، وأنه سبحانه هو الفاعل المختار لا شريك له فى عمل ما، وأنه سبحانه يضل من يشاء، ويهدى من يشاء، وأن أحداً ما لا يمكنه إيجاد حركة ولا سكون إلا بإرادته وتقديره، ومعونته وتدبيره، لا يكون عابداً ولا تقبل عبادته، وإن صام النهار، وقام الليل.

وفى هذا الموضوع كم زلقت أقدام رجال، وكم هوى فى هاويته عمال، وكم انتقل إلى الباطل بسببه مدعون، فمنهم من يعمل معتقداً أنه العامل، ويرى عمله عظيماً وهو مشرك بالله، فمتى يقبل عمله؟ كما قال ﴿ﷺ وآله﴾ لأبى بكر: (الشرك أخفى من دبيب النمل يا أبا بكر، فقال: وكيف الخلاص منه يا رسول الله؟ قال: قل: اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم) وإن عصاة المسلمين ربما يدعوهم إلى التوبة والإنابة إلى الحق اعتقادهم بأنهم مذنبون، وهؤلاء لا يتوبون – من شركهم – لحسن ظنهم بأنفسهم وتعظيمهم أعمالهم، ولو علموا منة الله عليهم بالتوفيق والمعونة؛ وتبين لهم مقام من يتقربون إليه بالعمل

ويرفعونه؛ لصغر فى أعينهم العمل، ولغابوا بشهود المنة وذوق مشاهد التوحيد عن أنفسهم، فجمعهم سبحانه على الحق.

ومنهم من يذوق بعض مبادئ أسرار التوحيد فيسقط الأمر والتكليف، ويرى أن هذا مبادئ الجمع حقاً!! ومتى يجمع الله عليه من خالف أمره وأسقط حكمه وحكمته؟.

نعم هو حال لا بد منه للسالك المخلص حتى ينتشل من أوحال التوحيد، ويخرج من حيطة الظلمة والتقييد إلى فسيح التتريه والتفريد، وروض الجمع بلا لبس من خلق جديد، وليس هو بفهم وتعقل أو بعلم ونقل، ولكنه ذوق لمشاهد علية، وإشراق أنوار ربانية، ومشاهدة آيات علية، تلوح أسراره، وتتوالى أنواره، فينتج منها الحال القاهر، والوجد الظاهر، وتكون تلك المشاهد أكمل وأجمل بالقيام بالتكاليف، حتى يحلو الجمع ويطيب الأنس، ولا أطيل عليك، فإنى بمشيئة الله تعالى سأوفى هذا الموضوع حقه فى موضعه، ولكن الحال اقتضت أن أبين ما كان عليه الرجال العاملون بما كان عليه أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

ولما كان القرآن المجيد صراطهم المستقيم؛ ومنهجهم القويم؛ وكان عمل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ هو الحقيقة التى يجاهدون أنفسهم ليتشبهوا بها تشبها يجعلهم صورة طبق الأصل على قدر استطاعهم؛ فأورد عليك الآيات التى أسسوا عليها طريقهم فى العبادة، وأحسن الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى سيدنا ومولانا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، ثم أذكر لك بعض ما ورد عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى هذا الموضوع، والله أسأل أن يمن علىَّ وعليك وعلى إخوتى جميعاً بالمسارعة إلى العمل بما كان عليه أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.. إنه مجيب الدعاء.

الآيات التى أسسوا عليها طريقهم فى العبادة(١):

[قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً﴾(١) وقال عز وجل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ

---

(١) راجع كتاب (قوت القلوب) لأبى طالب المكى جـ١ ص ٤ وما بعدها بتصرف.

حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[2] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾[3] وقال جلت قدرته: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[4] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾[5] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾[6] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[7] وقال جل شأنه: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[8] وقال سبحانه وتعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[9] وقال جلت قدرته: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[10].

الآيات التى أخذوا منها أورادهم بالليل والنهار:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾[11] وقال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾[12] ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾[13] وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ

---

(١) سورة الإسراء آية ١٩.

(٢) سورة الشورى آية ٢٠.

(٣) سورة النجم آية ٣٩ – ٤١.

(٤) سورة الحاقة آية ٢٤.

(٥) سورة الأنعام آية ١٣٢.

(٦) سورة سبأ آية ٣٧.

(٧) سورة الأعراف آية ٤٣.

(٨) سورة السجدة آية ١٧.

(٩) سورة العنكبوت آية ٥٨، ٥٩.

(١٠) سورة الأنعام آية ١٢٧.

(١١) سورة الفرقان آية ٦٢.

(١٢) سورة المزمل آية ٧.

(١٣) سورة الإنسان آية ٢٥ ، ٢٦.

تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾(٣) وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾(٥) وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾(٦) وقال وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٧) وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾(٨) وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَىِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾(٩) وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾(١٠).

---

(١) سورة الطور آية ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة المزمل آية ٦.

(٣) سورة طه آية ١٣٠.

(٤) سورة الزمر آية ٩.

(٥) سورة السجدة آية ١٦.

(٦) سورة الفرقان آية ٦٤.

(٧) سورة الذاريات آية ١٧ ، ١٨.

(٨) سورة الإسراء آية ٧٨ ، ٧٩.

(٩) سورة هود آية ١١٤.

(١٠) سورة الروم آية ١٧ ، ١٨.

بعض ما ورد من الأحاديث فى هذا الموضوع:

١- قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (أخرجه البخارى).

٢- وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

٣- وقال عليه الصلاة والسلام: (من قام رمضان إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (أخرجه البخارى ومسلم).

٤- وقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) (أخرجه البخارى ومسلم).

عباداتهم التى استنبطوها فى اليوم والليلة:

يستحب عند طلوع الفجر - وهو البياض المشتق من سواد الليل المعترض فى قطر السماء الشرقى عند إدبار النجوم، وإدبارها افتراقها وذهاب ضوئها لغلبة ضوء الفجر عليها، وهو الوقت الذى أمر الله تعالى فيه بذكره إذ يقول تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ - فليصل العبد ركعتى الفجر، يقرأ فيهما ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (رواه الترمذى). فهو أكثر ما روى عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فإن شاء خافت، وإن شاء جهر، فقد روى حديثان أحدهما يدل على المخافتة، فإن شاء خافت وهو حديث عائشة رضى الله عنها قالت: (كان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يخفف ركعتى الفجر حتى أقول: قرأ فيهما بفاتحة الكتاب أم لا) والآخر يدل على الجهر، وهو حديث ابن عمر: (رمقت النبى ﴿ﷺ وآله﴾ عشرين يوماً فسمعته يقرأ فى ركعتى الفجر:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (رواه الترمذى).

وفى حديث أبى هريرة وابن عباس: (أنه قرأ ﴿ﷺ وآله﴾ فى الركعة الأولى الآية التى فى سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾[1] إلى

(١) سورة البقرة آية ١٣٦.

آخرها، وفى الركعة الثانية: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[1] (أخرجه مسلم). فليقرأ بذلك أحياناً، ثم يستغفر الله سبعين مرة يقول فى كل مرة: أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم. ويسأله التوبة، ثم يسبح الله ويهلله - مائة مرة - بالكلمات الأربع الجامعات المختصرات التى هى فى القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وأستغفر الله وتبارك الله - مرة واحدة - وليدع بهذا الدعاء، فإن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ كان يدعو به بعد ركعتى الفجر.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (بعثنى العباس إلى رسول الله -﴿ﷺ وآله﴾ وعلى آله- فأتيته ممسياً وهو فى بيت خالتى ميمونة، فقام يصلى من الليل، فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال: اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى، وتجمع بها شملى، وتلم بها شعثى، وترد بها إلفتى، وتصلح بها علانيتى، وتقضى بها دينى، وتحفظ بها غائبى، وترفع بها شاهدى، وتزكى بها عملى، وتبيض بها وجهى، وتلقنى بها رشدى، وتعصمنى بها من كل سوء.

اللهم أعطنى إيماناً صادقاً، ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة.

اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء.

اللهم إنى أنزل بك حاجتى - وإن قصر رأيى وضعف عملى، وافتقرت إلى رحمتك - فأسألك يا قاضى الأمور، ويا شافى الصدور - كما تجير بين البحور - أن تجيرنى من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور، اللهم ما قصر عنه رأيى، وضعف عنه عملى، و لم تبلغه نيتى وأمنيتى - من خير وعدته أحداً من خلقك، أو خير أنت معطيه أحداً من عبادك - فإنى أرغب إليك فيه، وأسألك يا رب العالمين.

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٣.

اللهم اجعلنا هادين مهديين، غير ضالين ولا مضلين، حرباً على أعـدائك، وسـلماً لأوليائك، نحب بحبك الناس، ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك.

اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، فإنا لله وإنـا إليـه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله ذى الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمـن يـوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، والركع السجود، والموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، أنت تفعل ما تريد.

سبحان الذى تعطف بالعز وقال به، سبحان الذى لبس المجد وتكرم بـه، سـبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له، سبحان ذى الفضل والنعم، سبحان ذى القدرة والكرم، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه.

اللهم اجعل لى نوراً فى قلبى، ونوراً فى قبرى، ونوراً فى سمعى، ونـوراً فى بصـرى، ونوراً فى شعرى، ونوراً فى بشرى، ونوراً فى لحمى، ونوراً فى دمى، ونوراً فى عظامى، ونـوراً بين يدى، ونوراً من خلفى، ونوراً عن يمينى، ونوراً عن شمالى، ونوراً من فوقى، ونوراً من تحتى، اللهم زدنى نوراً، وأعطنى نوراً، واجعل لى نوراً) (رواه الترمذى والبيهقى والطبرانى فى الكبير).

فليدع العبد بهذا الدعاء بعد ركعتى الفجر، لكن يقدم على دعائه المسألة لله تبـارك وتعالى فى الصلاة على سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾ فيستجيب سبحانه وتعالى دعوته ولا يـرده لقول الرسول ﴿ ﷺ وآله﴾: (إذا سألتم الله تعالى فى حاجة فابدءوا بالصلاة علىَّ فإن الله تعالى أكرم من أن يُسأل فى حاجتين فيعطى إحداهما ويرد الأخرى) ثم ليصل العبد صلاة الغـداة فى جماعة، ليكون فى ذمة الله تعالى وجواره، وفى الحديث: (صلاة الغداة فى جماعة أفضل من قيام ليلة، وصلاة العشاء الآخرة فى جماعة أفضل من قيام نصف ليلة) (أخرجه مسـلم وأبـو داود والترمذى). وليكن قائماً فى صلاته بإلقاء سمع، وشهود قلب، وحضور عقل، وجمـع هـم، وصحة تيقظ، وحسن إقبال، وتدبر للكلام، وترتيل وتفهم بالتماس غرائب التتريل، فإذا سـلم من صلاته قال ما يستحب من الذكر.

أذكارهم بعد صلاة الصبح:

اللهم صل على محمد وآله، اللهم أنت السلام ومنك السلام، وإليك يعود السلام، فحينا ربنا بالسلام، وأدخلنا دار السلام، تباركت ياذا الجلال والإكرام؛ ثم ليقل: سبحان الله العظيم وبحمده (ثلاثاً)، ثم يستغفر الله (ثلاثاً)، ثم يقول: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. ثم ليقل - وهو ثان رجله من قبل أن يتكلم - هذه الكلمات عشر مرات: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير كله، وهو على كل شيء قدير، ثم ليقرأ وهو كذلك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشراً ويقول: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[1] عشر مرات - وليقل: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2] إلى آخر السورة، ثلاث مرات، وليقل: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[3] إلى آخر الثلاث آيات، ثلاث مرات، ثم يسبح ثلاثاً وثلاثين مرة، ويحمد كذلك، ويكبر أربعاً وثلاثين، فتلك مائة مرة.

وقال قبيصة بن مخارق للنبي ﴿ﷺ وآله﴾: علمني كلمات ينفعني الله بها وأوجز، فقد كبر سني وعجزت عن أشياء كنت أعملها، فقال: (أما لدنياك فإذا صليت الغداة - فقل ثلاث مرات: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنك إذا قلتهن أمنت من عمى وجذام وبرص وفالج.

وأما لآخرتك فقل: اللهم صل على محمد وآل محمد، واهدني من عندك، وأفض عليّ من فضلك، وانشر عليّ من رحمتك، وأنزل عليّ من بركاتك) ثم قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (أما أنه إذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء).

---

(١) سورة المؤمنون آية ٩٧ ، ٩٨.

(٢) سورة الصافات آية ١٨٠.

(٣) سورة الروم آية ١٧.

أدعيتهم المختارة بعد صلاة الصبح:

روى أن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ كان إذا افتتح دعاء افتتحه بقوله: (سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب) وأنه كان يقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) وقال ﴿ﷺ وآله﴾ لعائشة رضى الله عنها: (عليك بالجوامع الكوامل، قولى: اللهم إنى أسألك الصلاة على محمد وآله، وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك به عبدك ورسولك محمد ﴿ﷺ وآله﴾، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﴿ﷺ وآله﴾، وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين) (رواه البخارى فى الأدب المفرد).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (يا فاطمة، ما يمنعك ان تسمعى ما أوصيك به، أن تقولى: يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث فأغثنى، ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله). وعلم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أبا بكر الصديق ﷺ هذا الدعاء فقال: (قل: اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك، وإبراهيم خليلك، وموسى نجيك وكليمك، وعيسى روحك وكلمتك، وبكلام موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وفرقان محمد ﴿ﷺ وآله﴾، وكل وحى أوحيته، أو قضاء قضيته، أو سائل أعطيته، أو غنى أقنيته، أو فقير أغنيته، أو ضال هديته، وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى، وأسألك باسمك الذى ثبت به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذى وضعته على الأرض فاستقرت، وأسألك باسمك الذى وضعته على السماوات فاستقلت، وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فأرست، وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك، وأسألك باسمك المطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المترل فى كتابك من لدنك من النور المبين، وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار، وعلى الليل فأظلم، وبعظمتك وكبريائك، وبنور وجهك أن تصلى على محمد نبيك وعلى آله، وأن ترزقنى

القرآن والعلم، وتخلطه بلحمى ودمى وسمعى وبصرى، وتستعمل به جسدى بحولك وقوتــك، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين).

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن جبريل الْعَلَيْهِ السلام أتى النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ فعلمــه هذا الدعاء: (يا نور السماوات والأرض، يا جمال السماوات والأرض، يا عماد الســماوات والأرض، يا بديع السماوات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا صريخ المستصرخين، يا غوث المستغيثين، يا منتهى رغبة الراغبين، والمفرج عن المكروبين، والمروح عن المغمــومين، ومجيــب دعوة المضطرين، وكاشف السوء، وأرحم الراحمين، وإله العالمين، مترول بك كل حاجــة يــا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين) (أخرجه البزار والسيوطى فى الصغير).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لم يكن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ يدع أن يدعو بهؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسى: (اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة، وأسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وفى أهلى ومالى، اللهم استر عوراتى، وآمن روعاتى وأقل عثراتــى، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى، وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى، وأعوذ بك أن أغتال من تحتى).

وقال بريد الأسلمى: قال لى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (يا بريد، ألا أعلمك كلمات من أراد الله عز وجل به خيراً علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبداً، قال: قلت: بلى يا رسول الله صلى الله عليك، قال: قل: اللهم إنى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى، وخذ إلى الخير بناصــيتى، واجعل الإسلام منتهى رضاى، اللهم إنى ضعيف فقونى، وإنى ذليل فأعزنى، وإنى فقير فــأغننى، برحمتك يا أرحم الراحمين).

وعن أبى مالك الأشجعى قال: حدثنى أبى قال: كنا نغدو إلى الــنبى ﴿ ﷺ وآلــه﴾ فيجىء الرجل - أو تجىء المرأة - فيقول: كيف أقول يا رسول الله إذا أصبحت؟ قال: (تقول: اللهم صل على محمد وآله، واغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى واجبرنى، فقد جمعن لك خير دنياك وآخرتك).

وعن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبيد الله قال: أتى أبو الدرداء فقيل له: احترقت دارك، فقال: ما كان الله عز وجل ليفعل. ثم أتاه آت فقال: يا أبا الدرداء إن النار حيث دنت من دارك طفئت، فقال: قد علمت، فقيل له: ما ندرى أى قوليك أعجب؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول: من قال هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهى: (اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ما شاء الله عز وجل ربى كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربى على صراط مستقيم).

أعمالهم بعد صلاة الغداة:

وهو أن يأخذ فى تلاوة القرآن وفى أنواع الذكر من التسبيح والحمد والثناء، وفى التفكر فى عظمة الله سبحانه وتعالى وآلائه، وفى تواتر إحسانه ونعمائه من حيث يحتسب العبد ومن حيث لا يحتسب، وفيما يعلم العبد وفيما لا يعلم، ويتفكر فى تقصيره عن الشكر فى ظواهر النعم وبواطنها، وعجزه عن القيام بما أمره من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة، أو يتفكر فيما عليه من الأوامر والنوادب فيما يستقبل، أو يتفكر فى كثيف ستر الله تبارك وتعالى عليه، ولطيف صنعه به، وخفى لطفه له، وفيما اقترف وفرط فيه من الزلل، وفى فوت الأوقات الخالية من صالح العمل.

أو يتفكر فى حكم الله تعالى فى الملك، وقدرته فى الملكوت، وآياته وآلائه فيهما، أو يتفكر فى عقوبات الله عز وجل وبلائه الظاهرة والباطنة فيها، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾(١) قيل: بنعمته، وقيل: بعقوباته، ومنه قوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢) ومثله: ﴿فَبِأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(١) أى: بأى نعمة تكذبان ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾(٢) وهما الثقلان.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٥.

(٢) سورة الأعراف آية ٦٩.

ففى أى نوع من هذه المعانى أخذ فيه فهو ذكر، والذكر عبادة، وهو يخرج إلى الفكر، والفكر يدخل فى الخوف والرجاء، والذكر إذا قوى صار مشاهدة كما قال عز وجل: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً﴾ ثم قال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣] ولا يكون مشاهدة إلا عن يقين، واليقين روح الإيمان ومزيده وغنى المؤمن، وقال بعض العلماء فى تفسير قوله ﴿ ﷺ وآله﴾: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) وهو التفكر الذى ينقل من المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى القناعة والزهد، وقيل: هو التفكر الذى يظهر مشاهدة وتقوى، ويحدث ذكراً وهدى؛ كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٤] وكقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾[٥] ومثله ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ* فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[٦] أى: يفعلون لما يبقى، ويرغبون فيما يدوم، ويزهدون فيما يفنى.

وقد جعل الله عز وجل البيان يعلمنا اقتضاء الشكر عليه فقال: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٧] وكما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٨].

وقد وصف أعداءه بعد ذلك فقال: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾[٩] وقالت أم الدرداء: كانت أكثر عبادة أبى الدراء التفكر، وقد كان يقول: ما يسرنى أن أربح فى

(١) سورة الرحمن آية ١٣.

(٢) سورة الرحمن آية ٣٣.

(٣) سورة آل عمران آية ١٩١.

(٤) سورة الأعراف آية١٧١.

(٥) سورة طــــه آية ١١٣.

(٦) سورة البقرة آية ٢١٩ ، ٢٢٠.

(٧) سورة المائدة آية ٨٩.

(٨) سورة البقرة آية ٦٣.

(٩) سورة الكهف آية ١٠١.

كل يوم ثلاثمائة دينار أنفقها فى سبيل الله عز وجل، قيل: ولم ذلك؟ قال: يشغلنى ذلك عـــن التفكر.

أو يعتقد حسن النيات، وينوى جميل الطويات فيما بينه وبين الخالق تعالى، وفيما بينه وبين الخلق، أو يستغفر الله تعالى ويجدد التوبة لما مضى من عمره، ولما يتأتى من مســـتقبله، أو يخلص الدعاء بمسكنة وتضرع، وتملق وتخشع، ووجل وإخبات، إلى أن يعصمه من جميع المنهى، وأن يوفقه لصالح الأعمال، ويتفضل عليه برغائب الإفضال، وهو فى ذلك فارغ القلب مجـــرد الهم، موقن بالإجابة، راض بالقسم، أو يتكلم بمعروف وخير ويدعو به إلى الله تعالى وينفع بـــه أخاه، ويعلم من هو دونه فى العلم، فهذه كانت أذكار المتقدمين وأفكار السالفين.

وقد كان الذكر والفكر من أفضل عبادة العابدين، وهـــو طريـــق مختصـــر إلى رب العالمين، ففى أى هذه المعانى أخذ؛ فهو ذاكر الله عز وجل، فلا يزال كذلك وهو فى جميع ذلك مستقبل القبلة فى مصلاه. وقد كانوا يكرهون الكلام بغير معروف وتقوى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومنهم من يشدد فى ذم الكلام من الفجر إلى صلاة الغداة بغير ذكر وبر، وهذه سنة قد خملت، فمن عمل بها فقد ذكرها.

ذكر أورادهم النهارية

وهى سبعة أوراد

وهذا هو الورد الأول من النهار - وفى النهار سبعة أوراد-.

الورد الأول:

أولها من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس، وهو الوقت الذى أقسم الله عز وجل به فقال: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[1] فتنفسه من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس، وهو الظل الذى أمده الله تعالى لعباده، ثم قبضه إليه ببسطه الشمس عليه، وأظهر من آياته وجعله كشفاً له ودليلاً عليه، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ يعنى بسطه ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً﴾ يعنى مقيماً على حاله لا يتحول ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾[2] دَلِيلاً﴾[2] يقول: كشفناه بها، ففيه أن الدليل هو الذى يكشف المشكل، ويرفع المشتبه: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾[3] يعنى أن الظل من تحت الشمس قبض قبضاً يسيراً، أى: خفيفاً لا يفطن له ولا يرى فاندرج الظل فى الشمس بقدرته، اندراج الظلمة فى النور إذا دخل عليها بحكمته.

وهو الإصباح والفلق الذى يمدح الله عز وجل بفلقه، وأمرنا بالتتريه له عنده، والاستعاذة من شر ما خلق فيه فقال عز وجل: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾[4] وقال: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ

(١) سورة التكوير آية ١٨.

(٢) سورة الفرقان آية ٤٥.

(٣) سورة الفرقان آية ٤٦.

(٤) سورة الأنعام آية ٩٦.

حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾[1] أى: فسبحوه بالصلاة عندهما، وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾[2] يعنى فلق الصبح.

فإذا أمن العبد الفتنة والكلام فيما لا يعنيه، والاستماع إلى شبهة من القول، وأمن النظر إلى ما يكره أو يشغله عن الذكر، أو يذكره الدنيا، أمن من دخول الآفة عليه من التزين والتصنع للناس، ورزق الشغل بمولاه، والإخلاص له بالإعراض عمن سواه، فقال ما ذكرناه من الذكر فى مصلاه، أو فى مسجد للجماعة فهو أفضل.

وإن لم يأمن الفتنة، وخشى دخول الآفة عليه من لقاء من يكره، ومن يلجئه إلى تقية ومداراة، أو خاف الكلام فيما لا يعنيه، أو الاستماع إلى ما لا يندب إليه، انصرف إذا صلى الغداة إلى منزله، أو إلى موضع خلوة، بعد أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شئ قدير- عشر مرات فى مصلاه- وهو ثان رجله قبل أن يقوم، ويقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ -عشرا- قبل أن يتكلم، فقد اشترط ترك الكلام فى هذين الحديثين اللذين وردا فيهما.

ثم أتى ببقية ورده فى بيته، أو فى خلوته، وهو فى ذلك مستقبل القبلة وهذا حينئذ أفضل له، وأجمع لقلبه، ولا يقدم على التسبيح لله عز وجل والذكر له بعد صلاة الغداة وقبل طلوع الشمس إلا أحد معنيين، معاونة على بر وتقوى فرض عليه، أو ندب إليه ما يختص به لنفسه، أو يعود نفعه على غيره، ويكون ذلك أيضا مما يخاف فوته بفوت وقته.

والمعنى الآخر يكون إلى تعلم علم، أو استماعه مما يقربه إلى الله تعالى فى دينه وآخرته، ويزهده فى الدنيا، والمسارعة إلى العلماء بالله عز وجل والموثوق بعلمهم، وهم علماء الآخرة أولو اليقين والهدى الزاهدون فى فضول الدنيا، ويكون فى طريقه ذاكرا الله عز وجل، أو متفكرا فى أفكار العقلاء عن الله عز وجل. فإن اتفق له هذان فالغدو إليهما أفضل من جلوسه

---

(١) سورة الروم آية ١٧.

(٢) سورة الفلق آية ١،٢.

فى مصلاه، لأنها ذكر لله تعالى وعمل له وطريق إليه على وصف مخصوص ومندوب إليه، قال الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(١) وقال النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (من غدا من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) (أخرجه الترمذى وابن ماجة). وقال ابن مسعود ﷺ: (اغد عالما أو متعلما أو مستمعا، ولا تكن الرابع فتهلك).

والغدو والغداة تكون قبل طلوع الشمس، وفى الخبر: (من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله عز وجل حتى يرجع، ومن خرج من مترله يلتمس علما وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما صنع، واستغفر له دواب الأرض وملائكة السماء وطير الهواء وحيتان الماء) (أخرجه أبو داود وابن ماجة وابن حبان). وفى حديث أبى ذر الغفارى: (حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة، وأفضل من شهود ألف جنازة، أو من عيادة ألف مريض، قيل: ومن قراءة القرآن؟ فقال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بعلم) (رواه الغزالى فى الإحياء). فإن لم يتفق له أحد هذين المعنيين فقعوده فى مصلاه، أو فى مسجد جماعته، أو فى بيته، أو فى خلوته، ذاكرا الله تعالى بأنواع الأذكار، أو متفكرا فيما فتح له بمشاهدة هذه الأفكار فى مثل هذه الساعة أفضل له مما سواهما. وقال عليه الصلاة والسلام: (لأن أقعد فى مسجد أذكر الله عز وجل فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أعتق أربع رقاب)، وعن الحسن ﷺ أن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يذكر من رحمة ربه أنه قال: (يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة، وبعد صلاة العصر ساعة، أكفك ما بينهما) (رواه أبو نعيم فى الحلية، والسيوطى فى الصغير).

الورد الثانى:

فإذا ارتفعت الشمس وابيضت صلى الضحى ثمان ركعات، وهذا الوقت الذى ذكره الله عز وجل فى قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾(٢) ثم ينظر؛ فإن علم مريضا عاده، وإن حضرت جنازة شيعها، وإن كانت معونة على بر وتقوى سعى فيها، وإن كانت

(١) سورة الأنعام آية ٥٢.

(٢) سورة ص آية ١٨.

حاجة لأخ من إخوانه قضاها، وإن كانت فرضا يلزمه القيام به سارع إليه، وإن لاح له فضل ندب إليه انتهزه قبل فوته.

فهذا أفضل شئ يعمله بعد الأذكار والأفكار من بعد طلوع الشمس، هذا هو الورد الثانى من النهار، وهو الضحى الأعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال: ﴿ وَالضُّحَى ﴾(١) أى: إذا أضحت الأقدام بحر الشمس.

وإذا كان العبد على ذلك فقد اتبع ما أنزل من ربه عز وجل وقد سمع قوله تعالى: ﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٢) لأنه قال: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾(٣) ثم قال: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾(٤) وكما قال تعالى: ﴿ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(٥) وصلاة الضحى فى هذا الوقت أفضل- وهو حقيقة وقتها لوجود اسمها- وقد خرج على أصحابه عليه الصلاة والسلام وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته: (ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال) (رواه مسلم). وقوله: (الأوابين) يعنى التوابين فى كل وقت.

الورد الثالث:

ليأخذ العبد بعد ذلك فيما ندب إليه وأبيح له- من التصرف فى معاش إن كان من تجارة بصدق، أو صناعة بنصح- إن أحوج إلى ذلك، وأدنى أحواله الصمت والنوم، فيهما سلامة من الآثام ومخالطة الأنام، فقد جاء فى العلم: يأتى على الناس زمان يكون أفضل أعمالهم الصمت وأفضل أعمالهم النوم. ومن الناس من يكون أحسن أحواله النوم، وليت العبد يكون فى اليقظة كالنوم، إذ فى نومه السلامة، والسلامة متعذرة فى يقظته، وإنما الفضائل للأفاضل

(١) سورة الضحى آية ١.

(٢) سورة الأعراف آية ٣.

(٣) سورة النمل آية ٩١.

(٤) سورة النمل آية ٩٢.

(٥) سورة العنكبوت آية ٤٥.

الذين زادوا على السلامة والعدل بالإحسان والفضل، هذا لوجود الآفات فى الأحوال، وخروج الإخلاص من الأعمال، وهذا هو الورد الثالث من النهار.

الورد الرابع:

ثم يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها، وهو من المحافظة عليها، والإقامة لها، فإن حصلت كفايته فى يومه وقوته فى وقت من النهار، ترك السوق ودخل بيته، أو قعد فى بيت مولاه تعالى، واشتغل بخدمته متزودا لعاقبته، وقد كان الصالحون كذلك يفعلون.

وقال بعضهم: لا يوجد المؤمن إلا فى ثلاثة مواطن: مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لابد له منها. فإذا زالت الشمس فإن أبواب السماء تفتح للمصلين، والذاكرين، ويستجاب الدعاء للمؤمنين. وهذا هو الورد الرابع من النهار، فليصل الزوال أربع ركعات يطيل فيها القراءة ويحسنها، ولا يفصل بينهما بتسليم- هذه الصلاة وحدها من بين صلاة النهار أربع ركعات بتسليمة واحدة- وهذا الورد هو الإظهار الذى ذكر الله عز وجل الحمد فيه فقال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾[1] وليتق العبد الصلاة عند استواء الشمس فى كبد السماء، وهو قبل الزوال عند تقلص الظل، وقيام ظل كل شئ تحته، فإذا زال الظل فقد زالت، وقد خفى استواؤها فى الشتاء لقصر النهار، ولعدول الشمس فى سيرها عن وسط الفلك فتقطع عرضا، فيكون أقرب لغروبها فليقدر ذلك تقريبا، ومقدار استوائها قبل زوالها نحو أربع ركعات بجزء من القرآن أو قدر جزء، وهو آخر الورد الثالث، وإنما فيه ورد القراءة والتسبيح والتفكير، وهو أحد الأوقات الخمسة التى نهى النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ عن الصلاة فيها، والأربعة الآخر:

عند طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمحين فى عين الناظر، وعند تدليها للغروب حتى تحتجب، وبعد صلاة الصبح، وبعد صلاة العصر.

وأحب له الإحياء ما بين الأذان والإقامة بالركوع لأنها ساعة مستجاب فيها الدعاء، وتفتح فيها أبواب السماء، وتزكو فيها الأعمال، وأفضل أوقات النهار أوقات الفرائض، فإن لم

---

(١) سورة الروم آية ١٨.

يقرأ بين الأذانين من درسه فاستحب له أن يقرأ فى تنفله الآى التى فيها الدعاء، مثل آخر سورة البقرة، وآخر سورة آل عمران، ومن تضاعيف السور الاثنين والثلاث مثل قوله تعالى: ﴿ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾(١) ومثل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾(٣)، وإن قرأ الآية التى فيها التعظيم والتسبيح والأسماء الحسنى فحسن، مثل أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر، ومثل آية الكرسى، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ليكون بذلك جامعا بين التلاوة والدعاء، وبين الصلاة والتعظيم والمدح بالأسماء.

ثم يصلى الظهر فى جماعة، ولا يدع أن يصلى قبلها أربعا، وبعدها أربعا ركعتين بعد ركعتين، وهذا آخر الورد الرابع من النهار، وهو أقصر الأوراد وأفضلها.

الورد الخامس:

فإن كان قد رقد قبل الزوال فلا يرقد فى هذا الورد فإنه يكره له نومتان فى يوم، كما يكره له نوم النهار من غير سهر الليل، وعن بعض العلماء: ثلاث يمقت الله عليها: الضحك من غير عجب، والأكل من غير جوع، ونوم النهار من غير سهر الليل.

وإن لم يكن قد رقد، فأحب أن ينام بين الظهر والعصر ليتقوى بذلك على قيام الليل، فلينم فإن نومه بعد الظهر لليلة المستقبلة، ونومه قبل الظهر لليلة الماضية، فإن دام سهره بالليل واتصلت أوراده بالنهار حسن أن ينام قبل الظهر لما سلف من ليله، وينام بعد الظهر لما غبر من الأخرى، إلا أنه لا يستحب أن يزيد فى اليوم والليلة أكثر من نوم ثمانى ساعات، ومن الناس من يقول: إنه إن نقص من نوم هذا المقدار فى اليوم والليلة اضطرب بدنه، لأن النوم قوة الجسم وراحته، قال الله سبحانه تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً ﴾(٤) أى: راحة، كما قال

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٥.

(٢) سورة آل عمران آية ٨.

(٣) سورة الممتحنة آية ٤.

(٤) سورة النبأ آية ٩.

سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾[1] إلا أن يكون السهر عادة، فإن العادة قد تعمل عمل الطبع وتنقل عن العرف فلا يقاس عليها.

وإحياء ما بين الظهر والعصر- وهو صلاة الغفلة- وهو يشبه بقيام الليل، ويستحب العكوف فى المسجد بين الأولى والعصر للصلاة والذكر، ليجمع بين الاعتكاف والانتظار للصلاة، فقد كان ذلك من سنة السلف، فكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة.

إلا أن يكون بيته أسلم لدينه وأجمع لقلبه، فالأسلم هو الأفضل، وكذلك إحياء الورد الثالث الذى هو بين الضحى الأعلى إلى زوال الشمس فوق هذا الفضل يدرك به العبد فوت قيام الليل، لأن الناس فى هذين الوقتين مشغولون بطلب الدنيا، وخدمة الهوى، والقلب المتيقظ لربه عز وجل يفرغ فى هذين الوقتين، ويسكن، أو يجد العامل للعمل حلاوة، وللإقبال والتفرغ لذة، ويكون لفراغه من الخلق وشغله بالخالق مزيد وبركة، وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾[2] أى: جعلهما خلفين يتعاقبان فى الفضل، فيخلف أحدهما الآخر، فمن فاته شئ من الليل قضاه فى هذين الوردين من النهار، أحدهما من الضحى الأعلى إلى الزوال، والثانى ما بين الأولى والعصر. والوجه الثانى أن النهار كله خلفة من الليل، فمن فاته شئ من عمل الليل قضاه بالنهار فكان منه بدلا، ومن فاته شئ من أوراد النهار كان الليل خلفا، إذ كل واحد منهما خلف من صاحبه ففيه درك ما فات، وخلف ما سلف من الذكر والشكر.
والذكر اسم جامع لأعمال القلوب كلها من مقامات اليقين، ومشاهدة العلوم من الغيب، والشكر أيضا يستعمل على جعل أعمال الجوارح من شرائع الإسلام، وهذان جملة عمل العبد، وكنه خدمته، وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما الكليم للجليل فى قوله تعالى: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً {٣٣} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ﴾[3] انتظم التسبيح والذكر فى جمل تصرف الجسم،

---

(١) سورة النبأ آية ١١.

(٢) سورة الفرقان آية ٦٢.

(٣) سورة طه آية ٣٣.

وتصرف القلب، وهذا هو الورد الخامس الذى هو ما بين العصرين، وهو أصيل النهار، وأحد الآصال التى ذكر الله عز وجل فيه سجود كل شئ وقرنه بالغدو فقال: ﴿ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[1] فما أقبح أن تكون الأشياء الموات لربما ساجدات ذاكرات، والمؤمن الحى عن ربه معرض ذو غفلات.

ثم ليصل قبل صلاة العصر أربعا، ويغتنم الصلاة بين الأذان والإقامة كما ذكرنا آنفا، فإنها ساعة مرجوة فيها الإجابة.

الورد السادس:

فإذا دخل وقت العصر دخل العبد فى الورد السادس من النهار، وقد أقسم الله عز وجل به فى قوله: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾[2] وهذا أحد المعنيين فى الآية، وهو أحد الوجهين من الوقت فى الآصال الذى ذكره الله عز وجل، وهو العشى الذى ذكر الله عز وجل التسبيح فيه والتنزيه والحمد له. فقال: ﴿ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ وقال: ﴿ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾[3] وليس فى هذا الورد صلاة إلا ما كان بين الأذانين، ثم ينتقل بعد العصر فيما شاء من ذكر أو فكر، من أعمال القلوب والجوارح فيما فرض عليه، أو ندب إليه، وأفضل ذلك تلاوة القرآن بتدبر وترتيل، وتفهم وحسن تأويل.

الورد السابع:

فإذا اصفرت الشمس، ومات حرها، وارتفعت إلى أطراف الجدر ورؤوس الشجر، فكانت مثلها حين تطلع، دخل فى الورد السابع من النهار، فهذا للتسبيح والذكر والتلاوة والاستغفار إلى غروب الشمس، ومن أفضل ما قيل فى هذا الوقت وفى مثله من أول النهار أن يقول العبد: استغفر الله لذنبى، وسبحان الله بحمد ربى.

---

(١) سورة الرعد آية ١٦.

(٢) سورة العصر آية١.

(٣) سورة ص آية ١٨.

لجمعه بين الاستغفار والتسبيح لقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾(١) والأفضل الاستغفار على الأسماء كما فى القرآن، مثل أن يقول: استغفر الله إنه كان غفارا، أستغفر الله إنه كان توابا، أستغفر الله إن الله غفور رحيم، استغفر الله التواب الرحيم، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، وهذا الورد فى الفضل مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وهو المساء الذى ذكر الله تعالى التتريه فيه قال: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾(٢) وهو الطرف الثانى من النهار الذى أمر الله تعالى فيه بالتسبيح بقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾(٣).

ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾(٤) ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾(٥) والمعوذتين، وأن تغرب الشمس عليه وهو فى الاستغفار، فذلك مما أمر به فى هذا الوقت من الأذكار، وكل ما يستحب من التسبيح والحمد والدعاء والذكر فى أول النهار قبل طلوع الشمس، فإنه يستحب فى هذا الورد قبل غروب الشمس، لأن الله تعالى قرنهما فى الذكر فقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾(٦) وقال تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾(٧) وقال تعالى: ﴿ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾(٨).

وليقل عند أذان المغرب: اللهم هذا إقبال ليلك، وإدبار نهارك، وأصوات دعاتك، وحضور صلاتك، وشهود ملائكتك، صل على محمد وعلى آله، وأعطه الوسيلة والفضيلة، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته. ثم ليقل: رضيت بالله تعالى ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ

---

(١) سورة غافر آية ٥٥.

(٢) سورة الروم آية ١٧.

(٣) سورة طه آية ١٣٠.

(٤) سورة الشمس آية ١.

(٥) سورة الليل آية ١.

(٦) سورة ق آية ٣٩.

(٧) سورة طه آية ١٧.

(٨) سورة آل عمران آية ٤١.

وآله﴾ نبيا- ثلاثا- وليقل مثله إذا سمع أذان الفجر، إلا أنه يقول: اللهم هذا إدبار ليلك وإقبال نهارك، والنص بهذا فى صلاة المغرب.

وكان الحسن البصرى يقول: كانوا أشد تعظيما لليل منهم لأول النهار، وقال بعض السلف: كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة.

فإذا توارت بالحجاب انقضت أوراد النهار السبعة.

فانظر أيها المسكين ماذا انقضى لك معها، وماذا تقضى منك عندها، وماذا قضى عليك فيها، فقد قطعت من عمرك مرحلة، ونقصت من أيامك يوما فماذا قطعت فى سفرك بقطع مرحلتك؟ وماذا ازددت فى غدك بما نقصت من يومك؟ قال النبى ﴿ ﷺ وآله﴾: (الناس غاديان، فعاد لنفسه فمعتقها، أو راهن نفسه فموبقها)، وقد قال تعالى فى تصديق قول رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾[1] وقال سبحانه فى معناه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ {٣٨} إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾[2] وفى الخبر: لا بورك لى فى يوم لا أزداد فيه خيرا. وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾: (إن الله عز وجل يبغض كل جعظرى جواظ- أى سمين كثير الأكل- صخاب بالأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة).

(١) سورة الليل آية ٤.

(٢) سورة المدثر آية ٣٨،٣٩.

ذكر أورادهم الليلية
وهى خمسة أوراد

الورد الأول:

أن يصلى بعد المغرب ست ركعات، ويستحب ذلك قبل أن يكلم أحدا، يقرأ فى الأوليين ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وليسرع بهما فى صلاة المغرب قبل أن يتكلم ويشتغل بشىء، وفى الخبر: (أسرعوا بركعتين بعد المغرب فإنهما يرفعان معها) فإن كان مترله قريبا من مسجده فلا بأس أن يركعهما فى بيته وليطل الأربعة الأخر، وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يستحب أن يصليهما الرجل فى بيته- وكذلك كان يفعل- ويقول: هو سنة، لأنه روى أن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يصليهما فى بيته. ولكن بيت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ كان فى مؤخر المسجد، وقد صلاهما فى المسجد، ثم ليصل بين العشاءين ما تيسر إلى أن يغيب الشفق الثانى- وهو البياض الذى يكون بعد ذهاب الحمرة وبعد غسق الليل وظلمته، لأنه آخر ما بقى من شعاع الشمس فى القطر الغربى إذا قطعت الأرض العليا، ودارت من تحت الطبقة السفلى من الأرض بالنسبة لنا مصعدة تطلب المشرق- فهذا هو الوقت المستحب لصلاة العشاء الآخرة، وهذا آخر الورد الأول من أوراد الليل، والصلاة فيه ناشئة- أى: ساعاته- لأنه أول نشو ساعاته، وهو من الآناء التى ذكرها الله عز وجل فى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾[1] فالآناء جمع آن، أى وقت منه فصل، وقيل: ناشئة الليل قيام الليل، وهذا وافق لسان الحبشة الذى يقول: نشا، إذا قام. وقد أقسم الله تعالى به فقال: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾[2] والشفق ما بين العشاءين.

وهى صلاة الأوابين، ويقال أيضا: صلاة الغفلة، قال يونس بن عبيد عن الحسن فى

---

(١) سورة طه آية ١٣٠.

(٢) سورة الانشقاق آية ١٦.

قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾[1] قال: الصلاة بين العشاءين، حتى قال أنس بن مالك ﷺ– وقد سئل عمن نام بين المغرب والعشاء– فقال: لا تفعل، فإنها الساعة التى وصف الله عز وجل المؤمنين بالقيام فيها فقال عز وجل: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ (رواه أبو داود)، يعنى الصلاة بين المغرب والعشاء، وقد سئل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ عن قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ قال: (الصلاة فيما بين العشاءين) ثم قال: (عليكم بالصلاة فيما بين العشاءين فإنها تذهب بملاغاة أول النهار وتهذيب آخره) (رواه الديلمى) والملاغاة جمع ملغاة من اللغو، أى: تسقط اللغو.

ويستحب العكوف فى المسجد بين العشاءين للصلاة وتلاوة القرآن، فقد روى فضل ذلك، إلا أن يكون بيته أسلم له لدخول آفة عليه، فما سلم فيه أفضل له.

الورد الثانى:

ثم ليصل قبل العشاء الآخرة أربعا، وبعدها ركعتين ثم أربعا– وكان ﴿ ﷺ وآله﴾ يصليهن فى بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس– فإن صلى بعد الأربع ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر إن أحب، فإن هذا العدد أكثر ما روى أن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ صلى به فى الليل، إلا فى خبر مقطوع– وهو سبع عشرة ركعة– والمشهور أنه كان يصلى إحدى عشرة ركعة، وثلاث عشرة ركعة.

فإذا فعل ذلك لم يكتب من الغافلين، ودخل فى أحوال العابدين، فقد قيل: إن الأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل، والأقوياء يأخذون أورادهم من آخر الليل.

روى عنه ﴿ ﷺ وآله﴾ فى السور التى لم يكن يدعها فى كل ليلة أحاديث أشهرها: (أنه لم يكن ينام حتى يقرأ المسبحات فى كل ليلة) وفى الخبر كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يحب ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ فهذا يدل على أنه كان يكثر قراءتها، ولا يدع أن يقرأ هذه الأربع سور فى كل ليلة: سورة يس، وسورة لقمان، وسورة الدخان، وتبارك الملك. فإن لم يكن

---

(١) سورة السجدة آية ١٦.

مـــن عادته القيام من الليل قدم الوتر بنية الخبر المروى عن أبى هريرة ﷺ قال: (أوصانى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن لا أنام إلا على وتر) (رواه أبو يعلى والسيوطى فى الصغير).

وإن كان معتادا لصلاة الليل فالأفضل تأخير الوتر إلى آخر صلاته من تهجده، أو إلى السحر على حديث ابن عمر ﷺ: (صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فـــأوتر بركعـــة) (أخرجه البخارى ومسلم).

وفى حديث عن عائشة رضى الله عنها: (أوتر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من أول الليل، ومن أوسطه، ومن آخره، وانتهى وتـــره إلى السحر) فإن نام على وتر، ورزق القيام لم يـــوتر بعده، وكفاه وتره الأول لقوله ﴿ ﷺ وآله﴾: (لا وتران فى ليلة) (رواه أحمد). وقـــال بعـــض العلماء: يصلى ركعة واحدة يشفع بها وتره من أول الليل، ثم يصلى صلاته من الليل، ويـــوتر آخر صلاته (رواه الديلمى فى مسند الفردوس، والسيوطى فى الصغير). وقد روى فى هذا أثـــر عن سيدنا عثمان، وسيدنا على رضى الله عنهما، وإن كان قد صلى ركعتين من جلوس بعـــد وتره الأول ثم استيقظ للصلاة شفعتا وتره لأنهما بمنزلة ركعة واحدة يشفع بها ركعة الوتر التى صلاها قبلها، ثم ليصل من الليل مستأنفا ما بدا له، ثم يوتره بركعة واحدة فى آخـــر صـــلاته، فيكون له فى ذلك ثلاثة أعمال: قصد الأمل، وتحصيل الوتر، والوتر من آخر الليل، وكـــذلك كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يصلى ركعتين جالسا بعد وتره يقرأ فيهما جالسا (سورة الزلزلة) وسورة (ألهاكم التكاثر) فقد جاء ذلك فى حديثين أن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يقـــرأ فيهمـــا بذلك، لما فى الزلزلة من التخويف والوعظ، وفى رواية: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ لما فيها من التتريه من عبادة سوى المعبود، وإفراد العبادة لله سبحانه فيها بالتوحيد، وكان ﴿ ﷺ وآلـــه﴾ يقرأها عند النوم، وأوصى رجلا بقراءتها عند منامه.

وتقديم الوتر مستحب لمن لم يكن عادته قيام الليل، ولمن كان الأغلب عليه النـــوم، وتأخير الوتر يكون لمن أخر صلاته قبل طلوع الفجر أفضل، وليقل بعد التسليم مـــن الـــوتر: سبحان الملك القدوس، رب الملائكة والروح، ملكت السموات والأرض بالعظمة والجبروت، وتعززت بالقدرة، وقهرت العباد بالموت.

يقول هذا ثلاث مرات، وهذا هو الورد الثانى من الليل- أعنى الصلاة بعد العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس- فقد أقسم الله عز وجل به فى قوله: ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾[1] أى: وما جمع من ظلمته، وذكره الله عز وجل فى قوله تعالى: ﴿ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾[2] ثم ينام إن أحب وهو على طهارة وعن ذكر.

وقد كان الصالحون لا ينامون إلا عن غلبة، ويكرهون المتعمد للنوم وهو التهيؤ للعادة، وقد كان منهم من يمهد لنفسه بالنوم ليتقوى بذلك على صلاة أوسط الليل، وآخره، للفضل فى ذلك. ومن غلبه النوم حتى شغله عن الصلاة والذكر فإن السنة أن ينام حتى يعقل ما يقول وينشط فى خدمته، والخبر: (لا تكابدوا الليل) وقيل لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (إن فلانة تصلى من الليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل، فنهى عن ذلك وقال: (ليصل أحدكم من الليل ما تيسر، فإذا غلبه النوم فليرقد) (أخرجه البخارى ومسلم). وقال: (اكفلوا من العمل ما تطيقون، فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا) (أخرجه البخارى ومسلم).

وقيل له: إن فلانا يصلى الليل لا ينام، ويصوم الدهر لا يفطر، فقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (خير هذا الدين أيسره، ثم قال: لكنى أصلى وأنام، وأصوم وأفطر، فهذه سنتى، فمن رغب عن سنتى فليس منى) (أخرجه البخارى ومسلم). وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (لا تشادوا هذا الدين، فإنه متين، فمن يشاده يغلبه، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله عز وجل).

الورد الثالث:

والورد الثالث أن يكون بعد نومة الناس، وهو التهجد الذى ذكره الله تعالى فى قوله: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[3] وتلك النومة هى الهجوع الذى ذكره الله تعالى فقال:﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾[4] فالهجوع: النوم، والتهجع: القيام، فهذا أوسط الأوراد، وقد

---

(١) سورة الانشقاق آية١٧.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨.

(٣) سورة الإسراء آية ٧٩.

(٤) سورة الذاريات آية ١٧.

أقسم الله عز وجل به فى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾[1] وسئل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: أى الليل أسمع؟ فقال: (جوف الليل الغابر).

الورد الرابع:

والورد الرابع يكون بين الفجرين، أحدهما الفجر الأول وهو بدو سلطان شعاع الشمس- وهو فى اصطلاح الرجال أول ثلث الليل الآخر، قبل طلوع الفجر الأول على اصطلاح الفقهاء.

وإنما هذا الفجر شعاع الشمس عند مرورها على السمت مقابل الأرض السفلى، وانحرافها عنه إلى القسم الشرقى بالنسبة لنا، فتسطع أشعة سلطان الشمس فى هذا الوقت حتى يحصل نور كنورها بعد غيبة الشفق الأحمر ووجود الشفق الأبيض، ثم يحصل بعده فحمة الليل عند انحدار الشمس إلينا، فالفجر الأول بعده- المصطلح عليه عند الفقهاء الذى يعبرون عنه بأنه شعاع كذيل السرحان (الذئب)، ثم يمتد من الشرق إلى الغرب فى الأفق فيكون هو الفجر الصادق- وهذا هو الورد الرابع الذى يعتبر من نصف الليل إلى وقت السحر الأول المعبر عنه بالفجر الأول عندها.

الورد الخامس:

ثم يدخل السحر الأخير- وهو اشتداد فحمة الليل- وفيه يكون الورد الخامس، وفيه يستحب السحور، فمن لم يتسحر فى أوله بغته الفجر، وهو قبل طلوع الفجر الثانى بمقدار قراءة جزء من القرآن، وفى هذا الورد الخامس الاستغفار، وقراءة القرآن، وقد ذكره الله عز وجل فى قوله: ﴿قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾[2] قيل: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، لتوسط هذا الورد بينهما، فهذا الورد هو أقصر الأوراد ومن أفضلها، وهو من السحر الأول إلى طلوع الفجر الثانى، ويصلح فى هذا الورد الخامس من السحر الأخير الصلاة لمن استيقظ من ساعته، أو لمن تمم به صلاته، فالصلاة فيه لها فضل عظيم، ولأن معنى قوله عز وجل عند

---

(١) سورة الضحى آية ٢.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٨.

بعض المفسرين: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1] أى: يصلون، وكذلك قوله عـز وجـل: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ يعنى الصلاة، فكنى بذلك القرآن والاستغفار عن الصلاة، لأنهما وصـفان منها، وقد أمر بها سلمان أخاه أبا الدرداء ليلة أن زاره فى حديث طويل رواه البخارى قال فى آخره: فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له: نم، فنام، ثم ذهب ليقوم فقال لـه: نم، فنام، فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن، فقاما وصليا، فقال: إن لنفسـك عليـك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، وإن لضيفك عليك حقا، فأعط كل ذى حق حقه. وذلك أن امرأة أبى الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل، قال: فأتيا الـنبى ﴿ﷺ وآله﴾ فذكر ذلك له فقال: (صدق سلمان).

وهذا فى الورد الخامس يشبه الورد السابع من النـهار قبـل الغـروب- فى فضـل وقتيهما- وهذا قبل الفجر الثانى، والفجر الثانى انشقاق شفق الشمس، وهو بدو بياضها الذى تحته الحمرة وهو الشفق الثانى على ضد غروبها، لأن شفقها الأول من العشاء وهو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض، وهو الشفق الثانى من أول الليل، وهو آخر سـلطان الشـمس، وبعد البياض سواد الليل وغسقه، ثم ينقلب ذلك إلى الضد فيكون بدو طلوعها الشفق الأول، وهو البياض، وبعده الحمرة وهو شفقها الثانى وبعده طلوع قرص الشمس.

فإذا طلع الفجر فقد انقطعت أوراد الليل الخمسة، ودخلت أوراد النهار، فانظر هـل دخلت فى دخوله عليك فى جملة العابدين؟ أم خرج عنك وأنت فيه من الغافلين؟.

وأفضل ما عمل العبد فى ورد من أوراد الليل والنهار- بعد القيام بفرض يلزمـه، أو قضاء حاجة لأخيه المؤمن يعينه- الصلاة بتدبر الخطاب، ومشاهدة المخاطب، فإن ذلك يجمـع العبادة كلها، ثم بعد ذلك التلاوة بتيقظ عقل وفراغ هم، ثم أى عمل فتح له فيه من فكـر أو ذكر برقة قلب، وخشوع جوارح، ومشاهدة غيب، فإن ذلك أفضل أعماله فى وقته.

---

(١) سورة الذاريات آية ١٨.

ذكر وقت الفجر وحكم ركعتيه وحكم الوتر:

وفى الشهر ليلتان يعتبر بهما وقت الفجر، إحداهما يطلع القمر فيها عند طلوع الفجر الأول- وهى ليلة ست وعشرين- والأخرى يغيب القمر فيها عند طلوع الفجر- وهى ليلة اثنى عشرة من الشهر- وهذا الورد الأول من النهار، ووقت الأداء للوتر من بعد صلاة العشاء الآخرة إلى طلوع الفجر الثانى. فإذا طلع الفجر الثانى فقد ذهب وقت الأداء- وهو وقت القضاء للوتر- فليصل الوتر حينئذ من لم يكن أداه إلى قبل صلاة الصبح، فإذا صلى الصبح ذهب وقت قضاء الوتر أيضا، ووقت الأداء لركعتى الفجر. إذا طلع الفجر الثانى فالمستحب له أن يصليهما فى مترله، وقبل صلاة الغداة، والسنة أن يخففهما، فإذا صلى الصبح و لم يكن صلاهما فقد ذهب وقت الأداء وبقى له وقت القضاء، فليمهل حتى تطلع الشمس وتحل الصلاة، وهذا وقت القضاء لركعتى الفجر إلى صلاة الظهر، فإذا صلى الظهر و لم يكن صلاهما فقد ذهب وقت قضائهما أيضا.

ومن فاته ورد من الأوراد، فاستحب له فعل مثله فى وقته، أو قبله إذا ذكره- لا على وجه القضاء فإنه لا يقضى إلا الفرائض- ولكن على وجه التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزائم كى لا يعتاد التراخى والرخص، ولأجل الخبر المأثور: (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) (رواه البخارى ومسلم) وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أنه قال: (من عبد الله تعالى عبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى) وقالت: (كان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إذا غلبه النوم أو عاقه مرض فلم يقم فى تلك الليلة صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة) (رواه مسلم)، ومن دخل المسجد لصلاة الصبح، و لم يكن صلى ركعتى الفجر فى مترله صلاهما وأجزأتا عنه تحية المسجد، ومن كان قد صلاهما فى بيته نظر: فإن كان دخوله المسجد بغلس عند طلوع الفجر واشتباك النجوم صلى ركعتين تحية المسجد، وإن كان دخوله عند انمحاق النجوم ومسفرا عند الإقامة قعد و لم يصل ركعتين، لئلا يكون جامعا بين صلاة الصبح وبين صلاة قبلها. ولا يصلى بعد طلوع الفجر الثانى شيئا إلا ركعتى الفجر فقط.

ومن دخل المسجد و لم يكن صلى ركعتى الفجر، فإن كان قبل الإقامة صلاهما، وإن دخل وقت الإقامة وافتتح الإمام الصلاة فلا يصليهما، وليدخل فى الصلاة المكتوبة فإنه أفضل،

والنهى فيه روى عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة) (رواه مسلم). وليقل من قعد فى المسجد من غير صلاة ركعتين تحية المسجد: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر- أربع مرات- فإنها عـــدل ركعتين فى الفضل] أ. هـــ.

الفصل الثالث

أهل الفرقة الناجية هم الحامدون

الحمد عند أهل الفرقة الناجية:

الحمد هو وصف المحمود سبحانه بصفات كماله التي تملأ القلب رهبة وذلا، وصفات جلاله التي يكون العبد بها خائفا من مقام ربه، خاضعا لجنابه العلي، وصفات جماله التي تجذب الأرواح بخالص المحبة، وصحيح الرضا عن الله سبحانه وتعالى، ولذلك فقد عرف العلماء الحمد بأنه الثناء على الجميل الاختيارى، وخصه بعضهم بأن لا يكون إلا باللسان، بخلاف الشكر، فإنه ثناء على نعم، فالحمد على كمال وجمال وجلال ذاتى، والشكر على نعم تفاض، ولذلك فلا يحمد فى الحقيقة إلا الله تعالى، لأن كل أحد سوى الله تعالى لا كمال له ولا جمال له ولا جلال له من ذاته، وكل كمال وجمال وجلال ينسب إلى غير الله فهو من الله سبحانه وتعالى إيجادا وإمدادا، وهو- وإن كان فى نظر الخلق يعتبر شيئا يثنى به على من اتصف بحقيقته- إلا أنه فى الحقيقة ونفس الأمر ناقص وزائل، ولكن كمالات الله لا تتناهى ولا بداية لها، وحمده سبحانه وتعالى بقدر صفات كماله التي لا تحصى ولا تعد.

قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) (رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة) وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (لك الحمد اللهم ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد) (رواه مسلم) وفى قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] الإشارة إلى كلمة ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هى حقيقة التوحيد، ولب العبودة لله سبحانه، ومفتاح كنز العطايا الإلهية، لأن قول (الحمد لله رب العالمين) الذى هو افتتاح سورة الفاتحة- التي هى السبع المثانى، والقرآن العظيم، وحقيقة الصلاة التي نصفها لله تعالى ونصفها لنا- دليل على أن هذه الكلمة هى روح التوحيد، والسر الذى لأجله خلق الله السموات والأرض، بل وخلق لأجله كل

---

(١) سورة غافر آية ٦٥.

شيء، لأنها حقيقة العبادة المرادة لجنابه العلي في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

التوحيد الحقى ولبه:

إن التوحيد لا يكمل حقا، ولا تنكشف أسراره الخفية إلا بالتوحيد العلمى، الذى ينحصر فى إثبات الكمال والجلال والجمال، ونفى الشبيه والضد والند، وتتريه الجناب المقدس عن النقائص والعيوب، وهذا هو لب التوحيد، الذى بعلمه تنكشف مقامات التوحيد، وتشرق أنواره لعيون القلوب، وتلوح غوامضه لعيون الأرواح، وتحصل المواجهة للسر، وهذه المقامات العلية التى تتفاوت فيها منازل كمل الصديقين، قد تجلت مجملة فى كلمة واحدة ومفصلة فى أسماء الله الحسنى، فالكلمة التى أجملت فيها تلك المقامات كلها هى (الحمد لله) لأن مدلولها الثناء على الله بالكمالات الذاتية، والجلال والجمال الذاتيين.

وبقدر شهود العبد لتلك المعانى يكون حمده لله تعالى، فلا يقول العبد الكامل: الحمد لله، إلا وقد واجهه الحق بالكمالات التى تملأ القلب رهبة وذلا وخشوعا، وانكسارا، والجلال الذى يذيبه خوفا من مقام ربه وخضوعا لأمره، والجمال الذى يجذب روحه بالمحبة الخالصة والرضا عنه سبحانه.

فهى حرف ولكنها كتر محيط، إذا تجلت أنواره تجمل قائلها المكاشف بمعانيه بمقامات القرب بعد الحب، والمؤانسة بعد الخوف، والفضل العظيم بعد الخشية، وتروح بروح محبة الله له، وريحان وده سبحانه وتعالى، وهى الكلمة التى يقولها أهل الجنة بعد أن يحل عليهم سبحانه رضوانه الأكبر، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

ولو سأل سائل: كيف يتضمن الحمد كل تلك المعانى؟ فأقول: إن الحمد يتضمن مدح المحمود- كما قدمت فى التعريف- بكماله وجماله وجلاله، مع خالص المحبة والرضا عنه، فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمود تعالى، ولا من أعرض عن محبته سبحانه، ولا من

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٢) سورة يونس آية ١٠.

خالف أمره عز وجل، فإن جاحد صفات المحمود كافر، والمعرض عن محبته جاهل به، والمخالف لأمره متهاون بجلاله.

كل تلك المعانى التى شنع الله تعالى بها على من لم يحمدوه دليل على أنهم لم يوحدوه توحيدا حقا، وإلا لو أنهم وحدوه حقا لحمدوه كثيرا طيبا مباركا كما حمده عباده المخلصون، ولما كان سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ سيد رسل الله- وكان الحمد كما قررت هو أكمل ما أثنى الله به على نفسه، وأمر به عباده المؤمنين- كان ﴿ﷺ وآله﴾ حاملا لواء الحمد يوم القيامة، تحته كل رسل الله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام وأمته ﴿ﷺ وآله﴾، كما ورد فى الحديث الصحيح.

وقد ورد وصفنا- أهل الإسلام- فى التوراة بأننا الحامدون، وحقا، لأن الله تفضل علينا فجعلنا نحمده فى السراء والضراء، فنحمده فى السراء لشهود جماله العلى، ونحمده فى الضراء لتحققنا بشهود جلاله الربانى، فله الحمد فى الشدة والرخاء، والشكر فى الدنيا والآخرة.

وحمد الله سبحانه وتعالى حقا لا يحصيه إلا الله تعالى، لعلمه بكماله سبحانه، وبجماله وجلاله تنزه وتعالى. ولما كان الإنسان -كائنا من كان- لا يحصى كمالات الله تعالى، كان حمده بقدر مشهده، ولذلك يقول ﴿ﷺ وآله﴾: (سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) (رواه مسلم) وهو أعلم الخلق جميعا بالله سبحانه وتعالى.

قررت أن الحمد مجمل التوحيد، وأنه حقيقة التوحيد العلمى وتفصيله علم الأسماء كلها، ولا يكون التوحيد العلمى إلا بالأخبار والمعرفة، وأما التوحيد الإرادى فإنه يكون بالقصد والإرادة، وعندى: أنه النور الذى يجعله الله فى قلب المؤمن ينجذب به إلى طلب الله تعالى، والبحث عن العارف الذى يتلقى عنه العلم بالله وبأحكامه وبأيامه، مع التسليم بعد التبصرة.

ومن تدبر فى آيات القرآن التى ذم الله بها آلهة الكفار يظهر له جليا أن الذم محصور فى إثبات نقائص الأصنام وسلب صفات الكمال عنهم، انظر إلى قول الخليل على نبينا وعليه أفضل

الصلاة والسلام فيما أخبر الله عنه بقوله: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ ﴾[2] فذمهم الله بأهم اتخذوا إلها ناقصا لم يتصف بصفات الكمال والجمال ولا الجلال، مع أهم متصفون بما لم يتصف به هو، فالعاقل لا يتخذ إلها دونه فى الكمال، بل لابد وأن يبحث عن الإله المعبود بحق، المتصف بالكمال والجمال والجلال حقا.

ولولا أنى قررت العقيدة فيما سبق لى من الكتب مبينة بقدر السالك فى كل مقام بحسب مترلته من السلوك، وقوته من العقل والإدراك، وقررها فى أول كتابى هذا مناسبة لمقام أهل اليقين، لبينت ما يؤخذ من قول (الحمد لله) من حقيقة التوحيد وغوامض أسراره، والله سبحانه وتعالى يمنحنى وإخوانى جميعا روح اليقين الحق، وريحان الحب الخالص لله تعالى ولرسوله ﴿ ﷺ وآله﴾، حتى تتجلى لنا حقائق التوحيد مشرقة فى لطائف قلوبنا فنكون من الحامدين، إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

الحامدون من أهل الفرقة الناجية:

قبل أن نتكلم عن مقاماتهم، نقدم لك مقدمة تكون كسراج تستضيء به فى فهم ما سأورده عليك، ولا تترعج يا أخى من قولى: سأورده عليك، و لم أقل: ما أورده الله على، لأنى أحقر من أن أدعى هذا المقام، ولكنه اجتهادى، فإن كان حقا فهو وارد من الله تعالى، وله الحمد والشكر، وإن لم يكن حقا فهو من عجلتى ومن عجلة الشيطان بى، أسأل الله أن يغفر لى عجلتى، ويرزقنى وإياك الأدب مع جنابه العلى، والخشية من جلاله تعالى.

معلوم أن الحمد أعم من الشكر، لأن الحمد قول باللسان عن شهود للكمالات، فهو شكر لأنه عمل بجارحة، وثناء على جميل، والشكر أخص منه من حيث أنه ثناء بعمل الجوارح على نعم، ولما كان الحمد هو خالص الشكر، ولب لبابه، لأن الشاكر على النعمة لا يكون شاكرا حقا

---

(١) سورة مريم آية ٤٢.

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٨.

عند الله تعالى إلا إذا كان شكره للمنعم عن شهود معنى الوصف المتجلى، لا للفرح بما آتاه الله بدليل قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[1] وبدليل قوله تعالى: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾[2] - فالحمد يدل على الشكر التزاما أو تضمنا، والشكر لا يدل على الحمد، لأن مورد الحمد اللسان، واللسان واحد والمحمود سبحانه واحد، ومصدر الشكر الجوارح، وهى كثيرة.

ولذلك صح للعبد المؤمن أن يشكر غير الله تعالى، وحرم عليه أن يحمد غير الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ﴾[5] فجعل سبحانه الحمد خاصا لذاته دون غيره، فحمد نفسه سبحانه بنفسه، وأمر خلقه بحمده، ثم سمى نفسه الشكور، وشكر عباده المخلصين بنص قوله ﴿ ﷺ وآله﴾: (شكر الله له) فى الحديث الطويل.

وفى قول أم المؤمنين رضى الله عنها عندما أمرها الصديق رضي الله عنه بقوله: احمدى رسول الله، قالت:لا أحمد إلا الله. فأقرها رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ على ذلك، ورضيه منها، دليل لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

فالشكر لا يكون شكرا إلا بعد الحمد الذى هو عن شهود، أو علم أن الكمال والجمال والجلال خاص لله تعالى، وأنه لا افتتاح لأوليته ولا نهاية له، ولذلك يحسن الشكر بعد التحقق بالتوحيد العلمى، فيكون الشاكر عابدا لله تعالى كما قدمت فى شرح قوله تعالى: ﴿العابدون﴾ فالحمد خالص التوحيد، والشكر العمل بمشهد التوحيد، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى أثنى على كمل عباده بقوله: ﴿الحامدون﴾.

---

(١) سورة الأنعام آية ٤٤.

(٢) سورة سبأ آية ١٣.

(٣) سورة لقمان آية ١٤.

(٤) سورة الروم آية ١٨.

(٥) سورة سبأ آية ١.

إذا تقرر ذلك، فالحامد حقا من تجلت له معانى كمالات المحمود سبحانه، وظهرت له أسرار جماله وجلاله، حتى بلغ به العلم مبلغا وقع به على عين اليقين، فتحقق أن الحمد حقا لا يكون إلا لله تعالى فقال: (الحمد لله) عن شهود ووجود، وبعد تحققه بحقيقة التوحيد القصدى الذى به تتجلى له معانى صفات الرب جل جلاله مفصلة مشرقة أنوارها فى الآيات، ظاهرة مقتضياتها فى الكائنات، ولديها يكون حامدا شاكرا، متجملا بخالص محبة الله، متحليا بكمال الرضا عن الله، عاملا مخلصا من كمل عمال الله، صورة كاملة محمدية ظاهرا وباطنا، مخصوصا بأن يكون تحت لواء الحمد مع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، ومع من تحته من أولى العزم عليه وعليهم الصلاة والسلام، والرسل الكرام والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيكون ممن بشرهم الله تعالى بقوله: ﴿ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ ﴾(١) كل ذلك لم يكن إلا بما تفضل الله تعالى به عليه من قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ ﴾ قولا باللسان بلفظ مجمل، وشهودا بالجنان لمعان تفصيلية، فيكون بقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ ﴾ كأنه شهد معانى صفات الله الحسنى شهودا يجعله يتحقق بمقام التوحيد، ويتحلى بحلى التنزيه والتفريد.

فهى كلمة خفيفة على اللسان، ولكنها ثقيلة فى الميزان لما تضمنته من إثبات صفات الكمال والجمال والجلال، ونفى أضدادها، والحامد اتصل نسبه بربه، لأنه تخلق بخلق من أخلاق الله تعالى، وذلك الخلق هو اتصافه بأنه حامد، فإن الله متصف بالحمد لحمده لنفسه، والحامد لله متصف بما اتصف به الله تعالى.

وتقدم لى أن الله يحب صفاته ويحب من اتصف بها، فيكون الحامد متصفا بأخلاق الله محبوبا لله، قال ﴿ ﷺ وآله﴾: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) (رواه البخارى ومسلم) فإذا كانت هاتان الكلمتان حبيبتين إلى الرحمن فإن قائلهما حبيب إلى الرحمن لأنه وفقه لما يحب من القول، ولا يوفق سبحانه لما يحب من القول إلا من يحبه سبحانه، فالحامدون لم يوصفوا بهذا المقام العلى إلا بعد أن تحققوا بكمال التوحيد علما وإرادة، وبكمال العبادة شكرا وإنابة.

---

(١) سورة النساء آية ٦٩.

وأنت أيها الأخ- ودنى الله وإياك بروح منه وجعلنى وإياك من الحامدين- إذا تحققت بتلك المعانى كلها يمكنك أن تعلم مقدار ما تفضل الله به عليك من عظيم النعمة، وعميم المنة، فترى نفسك عاجزا عن شكره بقولك: الحمد لله، لأن قولك: الحمد لله، أعظم نعمائه وأفضل آلائه، إذا قلتها عن علم يقين- كما قررت- أو عين يقين- كما صرحت- أو حق يقين- كما أشرت- فإنها بشرى من الله لك بأنك محبوب حضرته ومراد جنابه العلى، ومخصوص منه بحقيقة الولاية والعناية والإقبال، وإذا تحققت بذلك فافرح يا أخى بفضله ورحمته، فرحا عن رهبة من عظمته وخشية من جلاله، ورغبة فى المزيد من فضله، حتى يكون فرحك ممزوجا بالرهبة والخشية، تدعو إليه الرغبة فيكون القلب منكسرا خشية ورهبة، والفؤاد منبسطا رغبة وفرحا، والبدن مسارعا إلى الشكر، معتقدا العجز عن القيام بشكر بعض النعمة، ولديها تكون عند الله من الحامدين، وعند رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وعند العلماء الربانيين.

وإذا كان العبد لا يحمد ربه ولا يشكره إلا على نعمة مطعم ومشرب ومنكح، فقد جهل كمالات ربه وجلاله وجماله، وعميت عين بصيرته عن سوابغ النعم عليه، مما لا يحصيه الخلق أجمعون، فإن نعم الله محيطة بك - أيها العبد - من العرش إلى الفرش. وظاهرة فى ذاتك ظهورا جليا، لو نظرت فى نفسك وفى الآفاق لعلمت - بقدرك - أنك مغمور بنعم لا تحصى، وأنك عاجز عن الثناء على الله على نفس تتنفسه، أو ضوء تبصره، أو كلمة تسمعها، فكيف بما هو فوق ذلك من النعم الظاهرة والباطنة؟! فأدم شكر الله تعالى وحمده تمنح المزيد من فضله، والله يوفقنا وإياك لدوام حمده وشكره، إنه مجيب الدعاء.

ولما كان الحامدون لهم إشراف بالعلم أو بالعين على أنوار الكمال والجمال والجلال، ومقتضيات ذلك كانوا كثيرى الحمد لله تعالى فى كل حال وشأن، لشهودهم نعم الله الظاهرة فيما يلائمهم، ونعمه الخفية فيما لا يلائمهم، فهم يشهدون النعمة فى حالة النقمة فيحمدون الله تعالى على ما يشهدونه من النعم المتجلية لبصائرهم بعلم أو عين اليقين، وإن خفيت عن أبصار الغافلين الذين ران الحظ والهوى على قلوبهم، كما ورد عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الحديث الطويل أرويه بالمعنى لا باللفظ: أن المؤمن يقول فى السراء: الحمد لله على ما أنعم، وفى الضراء: الحمد لله على كل حال.

فالمؤمن الكامل يشهد نعم الله تعالى فيما يصيبه من البلايا، وقد ورد أن سيدنا عمران بن حصين ﷺ جلس أخوه بجانبه وهو على سريره فى مرضه وبكى، فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكى لمرضك، فقال: ادنه، فدنا منه حتى وضع أذنه على فمه فقال: إن الله يرسل السلام لى على لسان ملك من الملائكة كل يوم، ثم حمد الله حمد من تمتع بالعافية وزيادة، وطلبوا منه أن يكوى فقهروه حتى اكتوى، فقال لأخيه: إن جبريل كان يجالسنى فلما اكتويت انصرف عنى، وأبى أن يكتوى بعد، فجالسه الملك بعد.

تراجم بعض الحامدين:

وهنا يحسن بى أن أذكر لك تراجم بعض الحامدين، لتعلم حقيقة الحمد عن علم أو عين اليقين، وتعتقد أن قول من ملأ بطنه من الخبز والماء البارد والأدم: الحمد لله، فإذا جاع سخط، أو ابتلى مقت، ليس بحمد، وإنما هو حمد البهائم، كبصبصة الكلب عند إعطائك له اللقمة، وكجمع الدجاج عند نثر الحبوب، فإذا شبعت وطلبت واحدة منها فرت على الجدران، أسأل الله تعالى أن يتفضل علينا بفضله الذى نكون به من الحامدين له سبحانه، الحمد الذى يرضيه عنا جل جلاله، إنه مجيب الدعاء.

سعد بن معاذ بن النعمان:

أسلم ﷺ بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يدى مصعب بن عمير، وعند إسلامه قال لبنى عبد الأشهل: (كلام رجالكم ونسائكم علىَّ حرام حتى تسلموا) فأسلموا، فكان من أعظم الناس بركة فى الإسلام، وشهد بدرا وأحدا والخندق، ورمى يوم الخندق بسهم فعاش شهرا ثم انتفض جرحه، وكان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قد أمر بضرب فسطاط فى المسجد لسعد بن معاذ فكان يعوده فى كل يوم حتى توفى سنة خمس من الهجرة، عن جابر قال: رمى يوم الأحزاب سعد بن معاذ فقطعوا أكحله فحسمه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فانتفخت يده، ونزفه الدم، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسى حتى تقر عينى فى بنى قريظة، فاستمسك عرقه فما قطرت قطرة حتى نزل بنو قريظة على حكمه، وكان حكمه أن يقتل رجالهم ويسبى نساءهم، وذريتهم يستعين بها المسلمون، فقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (أمضيت حكم الله

فيهم) (أخرجه النسائى)، وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه، فتوفى ﷺ (راجع الاستيعاب لابن عبد البر).

وروى من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى «ﷺ وآله» أنه قال: (لقد نزل الملائكة فى جنازة سعد بن معاذ سبعون ألفا ما وطئوا الأرض) (رواه البخارى ومسلم) وروى من حديث أنس بن مالك قال: لما حملنا جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخف جنازته، وكان رجلا طوالا ضخما، فقال رسول الله «ﷺ وآله»: (إن الملائكة حملته) (رواه الترمذى). وعن عائشة رضى الله عنها قالت: فى بنى عبد الأشهل ثلاثة، لم يكن بعد النبى «ﷺ وآله» من المسلمين أحد أفضل من سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر. وقال رسول الله «ﷺ وآله»: (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ) (رواه البخارى ومسلم وأحمد). وقال رسول الله «ﷺ وآله» فى حلة رآها سيراء: (لمنديل من مناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها) (رواه البخارى). وقال له- لما حكم فى بنى قريظة بقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية-: (لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات)، عن عبد الله بن أبى بكر قال: مات سعد بن معاذ من جرح أصابه يوم الخندق شهيدا، قال: فبلغنى أن جبريل عليه السلام نزل فى جنازته معتجرا بعمامة من إستبرق وقال: يا نبى الله من هذا الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ فخرج رسول الله «ﷺ وآله» يجر ثوبه فوجد سعدا قد قبض. وقال رجل من الأنصار: وما اهتز عرش الله من موت هالك علمنا به إلا لسعد أبى عمرو.

عن ابن عباس قال: قال سعد بن معاذ: ثلاث أنا فيهن رجل- يعنى كما ينبغى- وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس: ما سمعت من رسول الله «ﷺ وآله» حديثا قط إلا علمت أنه حق من الله، ولا كنت فى صلاة قط فشغلت نفسى بغيرها حتى أقتضيها، ولا كنت فى جنازة قط فحدثت نفسى بغير ما تقول ويقال لها حتى أنصرف عنها.

قال ابن المسيب: هذه الخصال ما كنت أحسبها إلا فى نبى (الاستيعاب لابن عبد البر).

سلمان الفارسى[1]:

[مولى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ويعرف بسلمان الخير، أصله من فارس من رام هرمز، وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: أنا سلمان بن الإسلام من بنى آدم، وكان سلمان يطلب دين الله تعالى، ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب، وصبر فى ذلك على مشقات نالته، وذلك كله مذكور فى خبر إسلامه، وذكر البخارى فى صحيحه عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان الفارسى أنه تداوله فى ذلك بضعة عشر (سيداً) ربا من رب إلى رب، حتى أفضى إلى النبى ﴿ﷺ وآله﴾، ومنَّ الله عليه بالإسلام.

عن عبد الله بن بعريزة عن أبيه أن سلمان الفارسى أتى إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بصدقة فقال: هذه صدقة عليك وعلى أصحابك، فقال: (يا سلمان إنا أهل البيت لا تحل لنا الصدقة، فرفعها. ثم جاءه من الغد بمثلها فقال: هذه هدية، فقال ﴿ﷺ وآله﴾ لأصحابه: كلوا) فاشتراه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما، وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخيل، يعمل فيها سلمان حتى تدرك، فغرس رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ النخل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر رضي الله عنه، فأطعم النخل كله إلا تلك النخلة، فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (من غرسها؟ فقالوا: عمر، فقلعها رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وغرسها بيده فأطعمت من عامها) وذكر معمر عن رجل من أصحابه قال: دخل قوم على سلمان- وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص- فقيل له: تعمل وأنت أمير يجرى عليك رزق؟ فقال: إنى أحب أن آكل من عمل يدى، وذكر أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار عند بعض مواليه.

أول مشاهده الخندق، وهو الذى أشار بحفره، فقال أبو سفيان وأصحابه إذا رأوه: وهذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها. وقد قيل: إنه شهد بدرا وأحدا إلا أنه كان عبدا يومئذ، والأكثر أن أول مشاهده الخندق، و لم يفته بعد ذلك مشهد مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وكان خيرا فاضلا حبرا عالما زاهدا متقشفا.

---

(١) راجع (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) للحافظ ابن عبد البر جـ٣ ص ١٥٢ وما بعدها، ط. دار الغد العربى، القاهرة.

ذكر هشام بن حسان عن الحسن قال: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ويأكل من عمل يده، وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها. وعن مالك قال: كان سلمان يعمل الخوص بيده فيعيش منه، ولا يقبل من أحد شيئا، قال: ولم يكن له بيت، وإنما كان يستظل بالجدر والشجر، وأن رجلا قال له: ألا أبنى لك بيتا فيه تسكن؟ فقال: ما لى به حاجة، فما زال به الرجل حتى قال له: إنى أعرف البيت الذى يوافقك، قال: فصفه لى، قال: أبنى لك بيتا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه، وإن أنت مددت فيه رجليك أصابهم الجدار، قال: نعم، فبنى له بيتا كذلك.

وروى عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ قال: (لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان) (رواه البخارى) وفى رواية أخرى: (لناله رجال من فارس) (أخرجه ابن الأثير فى أسد الغابة) وعن عائشة رضى الله عنها قالت: (كان لسلمان مجلس من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾).

وروى من حديث ابن بريدة عن أبيه عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أنه قال: (أمرنى ربى بحب أربعة، وأخبرنى أنه يحبهم، على، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان رضى الله تعالى عنهم)، عن أبى هريرة قال: كان سلمان صاحب الكتابين، قال قتادة: يعنى الإنجيل والفرقان، وسئل سيدنا على عليه السلام عن سلمان فقال: علم العلم الأول والآخر بحر لا ينزف، وهو منا آل البيت، وعن سيدنا على كرم الله وجهه أنه قال: سلمان الفارسى مثل لقمان الحكيم، وقال كعب الأحبار: سلمان حشى علما وحكمة.

وعن عائد بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ وأتى النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فأخبره، فقال: (يا أبا بكر، لعللك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك جل وعلا) فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر، يغفر الله لك (رواه مسلم).

وكان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قد آخى بينه وبين أبى الدرداء، فرأى أم الدرداء مبتذلة، فقال: ما شأنك؟ قالت: إن أخاك ليس له حاجة فى شىء من الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان وقرب له طعاما، فقال سلمان: أطعم، قال: إنى صائم، قال: أقسمت عليك إلا ما طعمت، إنى لست بآكل حتى تطعم، قال: وبات سلمان عند أبى الدرداء، فلما كان الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان وقال: يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لجسدك عليك حقا، فأعط كل ذى حق حقه، قال: فلما كان وجه الصبح قال: قم الآن، قال: فقاما فصليا ثم خرجا إلى الصلاة، قال: فلما صلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قام إليه أبو الدرداء وأخبره بما قال سلمان، فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ مثل ما قال سلمان (رواه البخارى والترمذى)]. أ.هـ.

أنس بن مالك[1]:

[أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدى بن النجار، أبو حمزة الأنصارى الخزرجى، خادم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وأحد المكثرين من الرواية عنه، صح عنه أنه قال: قدم النبى ﴿ﷺ وآله﴾ المدينة وأنا ابن عشر سنين، وأن أمه أم سليم أتت به النبى ﴿ﷺ وآله﴾ لما قدم فقالت له: هذا أنس غلام يخدمك فقبله، وأن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ كناه: أبا حمزة ببقلة كان يجتنيها، ومازحه النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فقال له: (ياذا الأذنين)، وقال محمد بن عبد الله الأنصارى: خرج أنس مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إلى بدر وهو غلام يخدمه.

عن أبى خلدة قال: قلت لأبى العالية: أسمع أنس من النبى ﴿ﷺ وآله﴾؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبى ﴿ﷺ وآله﴾، وكان له بستان يحمل الفاكهة فى السنة مرتين، وكان فيه ريحان، ويجئ منه ريح المسك، وكانت إقامته بعد النبى ﴿ﷺ وآله﴾ بالمدينة، ثم شهد الفتوح، ثم قطن البصرة ومات بها (أخرجه الترمذى).

---

(١) راجع (الإصابة فى تمييز الصحابة) للحافظ ابن حجر جـ١ ص ٢١٧ وما بعدها، ط. دار الغد العربى، القاهرة.

عن إسحاق بن عثمان قال: سألت موسى بن أنس: كم غزا أنس مع النبى ﴿ﷺ وآله﴾؟ قال: ثمانى غزوات (أخرجه البخارى). قال ثابت البُنَانى: قال لى أنس بن مالك: (هذه شعرة من شعر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فضعها تحت لسانى، قال: فوضعتها تحت لسانه، فدفن وهى تحت لسانه) ومات سنة تسعين وكان عمره مائة سنة إلا سنة، وقيل غير ذلك.

عن أنس قال: قالت أم سليم: يا رسول الله أدع الله لأنس، فقال: (اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه) فقال أنس: إنى لمن أكثر الأنصار مالا وولدا، ويقال: إنه ولد لأنس بن مالك ثمانون ولدا منم ثمانية وسبعون ذكرا، وابنتان، إحداهما تسمى حفصة، والثانية تكنى أم عمرو. وعنه ﷺ: (جاءت بى أم سليم إلى النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وأنا غلام فقالت: يا رسول الله، أنس، أدع الله له، فقال النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة) قال: قد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة (أخرجه الإمام أحمد فى مسنده). وقال جعفر بن سلمان عن ثابت: كنت مع أنس فجاء قهرمانه فقال: أبا حمزة عطشت أرضنا، قال: فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلى ركعتين ثم دعا، فرأيت السحاب تلتئم، قال: ثم أمطرت حتى ملأت كل شيء، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال: انظر أين بلغت السماء، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيرا وذلك فى الصيف. وقال أبو هريرة: (ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من ابن أم سليم)- يعنى أنسا-. عن موسى بن أنس أن أبا بكر لما بعث إلى أنس ليوجهه إلى البحرين على السعاية، فدخل عليه عمر فاستشاره فقال: ابعثه، فإنه لبيب كاتب، قال: فبعثه] أ.هـ.

أبو ذر الغفارى:

واختلف فى اسمه، فقيل: جندب بن جنادة، وهو أكثر وأصح ما قيل فيه، وقيل: بزير ابن عبد الله، وبزير جنادة، وبزير بن عشرقة، وقيل غير ذلك، وينتهى نسبه إلى مضر ابن نزار الغفارى، كان من كبار الصحابة قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة - فكان خامسا- ثم انصرف إلى بلاد قومه فأقام بها حتى قدم على النبى ﴿ﷺ وآله﴾ المدينة، وله فى إسلامه خبر حسن.

رواه البخارى عن أبى حمزة عن ابن عباس قال: لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله «ﷺ وآله» بمكة قال لأخيه أنيس: اركب إلى هذا الوادى واعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتنى. فانطلق الأخ حتى قدم مكة، وسمع من قوله «ﷺ وآله»، ثم رجع إلى أبى ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وسمعت منه كلاما ما هو بالشعر فقال: ما شفيتنى فيما أردت. فتزود وحمل شنة له حتى قدم مكة.

فأتى المسجد فالتمس النبى- «ﷺ وآله» ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل فاضطجع، فرآه سيدنا على بن أبى طالب عليه السلام فقال: كأن الرجل غريب؟ قال: نعم: قال: انطلق إلى المترل، فانطلقت لا يسألنى عن شىء ولا أسأله، قال: فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد فبقيت يومى حتى أمسيت، وصرت إلى مضجعى، فمر بى على فقال: أما آن للرجل أن يعرف مترله؟ فأقامه وذهب به معه وما يسأل واحد منهما صاحبه عن شىء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه على عليه السلام معه، ثم قال له: ألا تحدثنى ما الذى أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتنى عهدا وميثاقا لترشدنى فعلت، ففعل، فأخبره سيدنا على عليه السلام أنه نبى، وأن ما جاء به حق، وأنه رسول الله «ﷺ وآله»، فإذا أصبحت فاتبعنى، فإنى إن رأيت شيئا أخاف عليك قمت كأنى أريق الماء، فإن مضيت فاتبعنى حتى تدخل معى مدخلى.

فقال: فانطلقت أقفوه حتى دخل على رسول الله «ﷺ وآله»، ودخلت معه وحييت رسول الله - «ﷺ وآله» - بتحية الإسلام فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فكنت أول من حيَّاه بتحية الإسلام، فقال: وعليك السلام، من أنت؟ فقلت: رجل من بنى غفار، فعرض على الإسلام فأسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فقال لى رسول الله «ﷺ وآله»: (ارجع إلى قومك فأخبرهم واكتم أمرك عن أهل مكة، فإنى أخشاهم عليك) فقلت: والذى نفسى بيده لأصوتن بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فثار القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه وأتى العباس رضي الله عنه فأكب عليه وقال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من بنى غفار، وأن

طريق تجارتكم إلى الشام عليهم؟! وأنقذه منهم، ثم عاد من الغد إلى مثلها، وثاروا إليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه، ثم لحق بقومه، فكان هذا أول إسلام أبى ذر.

وجاء فى (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) لابن عبد البر عن يزيد بن أبى حبيب قال: قدم أبو ذر على النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وهو بمكة فأسلم، ثم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق، ثم قدم على رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ المدينة، فلما رآه النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وهم فى اسمه فقال ﴿ﷺ وآله﴾: (أنت أبو نملة؟ فقال: أنا أبو ذر، قال: نعم، أبو ذر) فصحب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إلى أن انتقل ﴿ﷺ وآله﴾ إلى الرفيق الأعلى.

ثم خرج بعد وفاة أبى بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتى ولى سيدنا عثمان ﷺ، ثم استقدمه سيدنا عثمان لشكوى معاوية، فنفاه وأسكنه الربذة فمات بها، وصلى عليه سيدنا عبد الله بن مسعود صادفه وهو مقبل من الكوفة مع نفر من أصحابه منهم حجر بن الأدبر، ومالك بن الحرث الأشتر، وفتى من الأنصار دعتهم امرأته فشهدوا موته، وغمضوا عينيه، وغسلوه، وكفنوه فى ثياب للأنصارى، فى خبر عجيب حسن فيه طول. وفى خبر غيره أن ابن مسعود لما دعى إليه وذكر له بكى بكاء طويلا، وقيل: إن ابن مسعود كان مقبلا من المدينة إلى الكوفة فدعى إلى الصلاة عليه، فقال ابن مسعود: من هذا؟ قيل: أبو ذر، فبكى طويلا فقال: أخى وخليلى عاش وحده، ومات وحده، ويبعث وحده، طوبى له. وكانت وفاته بالربذة سنة اثنتين وثلاثين، وصلى عليه ابن مسعود.

وذكر الحافظ بن عبد البر فى الاستيعاب عن مجاهد عن إبراهيم الأشتر عن أبيه عن أم ذر- زوجة أبى ذر- قالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت فقال لى: ما يبكيك؟ فقلت: وما لى لا أبكى وأنت تموت بفلاة من الأرض، وليس عندى ثوب يسعك كفنا لى ولا لك، ولا يد لى للقيام بجهازك، قال: فأبشرى ولا تبكى، فإنى سمعت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول: (لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاث فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا) (أخرجه الترمذى). وقد مات لنا ثلاثة من الولد، وإنى سمعت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول لنفر أنا فيهم: (ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين) وليس من أولئك النفر

أحد إلا وقد مات فى قرية وجماعة، فأنا ذلك الرجل، والله ما كَذبت ولا كُذبت، فأبصرى الطريق، قالت: أنى؟ وقد ذهب الحاج، وتقطعت الطريق، قال: اذهبى فتبصرى، قالت: فكنت أشتد إلى الكثيب فأنظر ثم ارجع إليه فأمرضه.

فبينما هو وأنا كذلك إذا أنا برجال على رحالهم كأنهم الرخم تحث بهم رواحلهم، فأسرعوا إلىَّ حتى وقفوا علىَّ فقالوا: يا أمة الله، مالك؟ قلت: امرؤ من المسلمين يموت، تكفنونه؟ قالوا: ومن هو؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾؟ قلت: نعم؟ قالت: ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه، فقال لهم: أبشروا، فإنى سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول لنفر أنا فيهم: (ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين) وليس من أولاء النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية وجماعة، والله ما كَذبت ولا كُذبت، ولو كان عندى ثوب يسعنى كفنا لى، أو لامرأتى، لم أكفن إلا فى ثوب هو لى أو لها، وإنى أنشدتكم الله أن لا يكفننى رجل منكم كان أميرا، أو عريفا، أو بريدا، أو نقيبا.

وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد قارف بعض ما قاله، إلا فتى من الأنصار فقال: أنا أكفنك يا عم فى ردائى هذا، وفى ثوبين فى عبيتى من غزل أمى، قال: أنت تكفننى، قال: فكفنه الأنصارى وغسله فى النفر الذى حضروه، وقاموا عليه ودفنوه فى نفر كلهم يمان.

روى عنه جماعة من الصحابة وكانوا من أوعية العلم المبرزين فى الزهد، والورع والقول الحق، وسئل سيدنا على عليه السلام عن أبى ذر فقال: ذاك رجل وعى علما عجز عنه الناس ثم أوكأ عليه ولم يخرج شيئا منه (أخرجه أبو داود). وروى عن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال: (فى أمتى أبو ذر شبيه عيسى بن مريم فى زهده) (الاستيعاب لابن عبد البر) وبعضهم يرويه: (من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم، فلينظر إلى أبى ذر) (كنز العمال الحديث ٣٣٢٢٢).

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر) (أخرجه أبو داود وأحمد والترمذى). وروى إبراهيم

التيمى عن أبيه عن أبي ذر قال: (كان قوتى على عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ صاعا من تمر، فلست بزائد عليه حتى ألقى الله).

أبو ذر إمام أهل التصوف:

ليس على الشمس حجاب، ولا تحتاج فى نهار الصحو إلى مبين لكمالها لأنها بينت كمال غيرها بنورها، ولكن المؤمن يجب عليه أن يشكر الله عليها بما أجراه له من الفضل العظيم بسببها.

فأنا أشكر الله ذاكرا نعماه العميمة التى أجراها علينا على يد هذا الإمام العظيم ﷺ، الذى جذبه الله سبحانه وتعالى إليه بمجرد سماع خبر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فمنحه الله عنايته، حتى كان الباب الذى دخل به على رسول الله نورا جعله الله فى قلبه، والإمام باب مدينة العلم عليه السلام، فلما أن أشرقت أنوار التوحيد على قلبه أمره رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ -رحمة به- أن يكتم أمره عن أهل مكة، وأن يخرج إلى بلده، فتصور ﷺ أن إعلانها لا يؤدى إلى إزهاق نفسه، فرأى إعلانها مع ذهاب نفسه أحب إليه من كتمها وحفظ حياته.

وهكذا يكون الحق إذا انبلجت أنواره، ولاحت للرائى حقيقته، وكوشفت لطائف القلب بأسراره، فإنه يقهر الجوارح كلها حتى لا يستطيع من تمكن هذه المعانى أن يخفى حاله، خصوصا من انجذب بتلك الجواذب إلى الحق، وجلس هذا المجلس مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فإنه يصير على قدم الرسل عليهم الصلاة السلام، وأنت تعلم مقدار ما تحمله الرسل من الأذية فى هذا السبيل، فكذلك من أقامهم الله مقامهم، ودليل ذلك ما ورد عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: أنه شبه أبا ذر بعيسى بن مريم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

فسيدنا أبا ذر ﷺ هو إمام أهل المجاهدة لما له من الهمة العلية، ونور أهل المشاهدة بأحواله الأحمدية، قهره وارد الحق حتى أفناه عن لوازمه الضرورية، ودفعه الحق إلى أن يكون معه حيث كان، ولو كان فى ذلك ما كان مما لا تتحمله القوى البشرية، ولعلك تعلم ما أثنى به رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ على بنى غفار، وما قاموا به ﷺ، وكل ذلك لم يكن إلا بالروح التى بثها أبو ذر ﷺ فى قومه، فإنه زهد الدنيا ﷺ بعد التمكين فيها، زاهداً من حق يقين، وقام

وحدانيا متمسكا بالحق، لا تأخذه فى الله لومة لائم، لا يخاف أميرا ولا خليفة، ﷺ، فكانت جواذب الحق تجذبه جذبات تفنيه عن بشريته، فينافس فى أعمال الملائكة الروحانيين فيصوم نهاره، ويقوم ليله، وهل بعد أن قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾- مثنيا عليه-: (فى أمتى أبو ذر شبيه عيسى بن مريم فى زهده) ينزل من هذا الأفق الأعلى إلى مستوى آخر؟ الجواب: لا.

عنه أخذ السادة الصوفية مناهج سبلهم، وبه اقتدوا فى مجاهدته وعزلته وانفراده وتخوشنه، وغوامض أسرار التوحيد التى تلقاها عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وأوكأ عليها جرابه، كما أخبر سيدنا على بن أبى طالب عليه السلام، فهو الإمام الذى بين معانى المحبة فى الله، وجمال الأخلاق المحمدية، وسر الرغبة فى الله، والزهد فيمن سواه وما سواه.

وقد أكرم الله به أهل السير والسلوك، وكفاه شرفا أنه كان خامس أربعة مع رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وهو الذى بين لنا حقيقة الأنس بالله فى الشدة والرخاء، والتلذذ بما يحصل عند قول الحق، أو العمل به، منفردا بمذهبه ولو خالفه العالم أجمع، لليقين الحق الذى اطمأن به القلب، وبه أخذ القوم الغيرة على الحق، والصولة فى الحق. فإنه- من أول نفس دخل الإسلام- منحه الله تلك الصولة الربانية، والغيرة المحمدية، فكانت فاتحته فى الإسلام ودام عليها حتى لقى الله سبحانه، وإن هذا لهو الحق، ولكن القائمين به قليلون، والعاملون به أقل، ولا يقوم الدين - حق القيام- إلا برجال علموا حق العلم ما عند الله من الفضل العظيم، وتحققوا بأن اتباع الحق هو النجاة للجميع فرخصت دماؤهم فى أعينهم، واضمحلت حياتهم الدنيا فى قلوبهم فبذلوها مسرورين قياما بشكر المنعم سبحانه وتعالى. هذا حال الإمام الذى أثنى عليه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ثناء لم يثنه على غيره حتى قال فى الحديث المتقدم: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر) وذلك لأنه رضى الله عنه كان أحفظ الناس لكلام رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وأفقه الناس فى كتاب الله.

لا أطيل عليك، ولكنى أنبهك إلى أن الأحوال القاهرة، والمشاهدات الجاذبة ترفع مقامات صاحبها، فيجب عليك أن تتشبه بأهل تلك الهمم، وأن لا تزن الرجال بقدر همتك

وعقلك فتقول: هذا مجنون، وهذا غير متوسط، وهذا ليس بحكيم. فربما رميت بالجنون رجلا منحه الله عقلا يعقل عنه، ونورا يشهد به ملكوته الأعلى.

فإذا خلت الأرض من أمثال هؤلاء حبس مطر السماء، لا أقول: المطر الذى ينبت النبات فقط، بل المطر الذى يترل على القلوب فينبت فيها شجر الحكمة، والحب والرغبة والخشية من الله، وإذا حبست أمطار السماء هلك العالم ظاهرا وباطنا، اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة عامل بكتابك، دال عليك سبحانك بالحكمة والموعظة الحسنة، إنك مجيب الدعاء .. آمين.

وأكمل أهل الفرقة الناجية من كان على طريقة هذا الإمام الجليل، لأنه الأستاذ حقا والإمام صدقا لهم.

أبو هريرة الدوسى:

دوس هو ابن عدنان بن عبد الله ينتهى نسبه إلى الأزد بن الغوث.

قال أبو عمر: اختلفوا فى اسم أبى هريرة واسم أبيه اختلافا كثيرا لا يحاط به ولا يضبط فى الجاهلية والإسلام، وقال: محال أن يكون اسمه فى الإسلام عبد شمس، أو عبد عمرو، أو عبد غنم، أو عبد نهم، وهذا إن كان شيء منه فإنما كان فى الجاهلية، وأما فى الإسلام فاسمه عبد الله أو عبد الرحمن والله أعلم، وقال ابن إسحاق: قال: حدثنى بعض أصحابنا عن أبى هريرة قال: كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس، فسميت فى الإسلام عبد الرحمن، وإنما كنيت بأبى هريرة لأنى وجدت هرة فحملتها فى كمى فقيل لى: ما هذا؟ قلت: هرة، قيل: فأنت أبو هريرة (أخرجه الترمذى). وقال: (كنت أحمل هرة يوما فى كمى، فرآنى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فقال لى: ما هذه؟ فقلت: هرة، فقال: يا أبا هريرة) (أخرجه الحاكم).

أسلم أبو هريرة عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ثم لزمه، وواظب عليه فى رغبة فى العلم، فكانت يده مع يد رسول الله﴿ﷺ وآله﴾، وكان يدور معه حيث دار، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وكان يحضر ما لا يحضر سائر المهاجرين

والأنصار لاشتغال المهاجرين بالتجارة، والأنصار بحوائطهم، وقد شهد له رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بأنه حريص على العلم والحديث. وقال له: (يا رسول الله إنى قد سمعت منك حديثا كثيرا وأنا أخشى أن أنسى، فقال: ابسط رداءك، قال: فبسطته فغرف بيده فيه ثم قال ﴿ﷺ وآله﴾: ضمه، فضممته) فما نسيت شيئا بعد (أخرجه أبو يعلى).

وقال البخارى: روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صاحب وتابع، وممن روى عنه من الصحابة بن عباس، وابن عمر، وجابر ابن عبد الله، وأنس بن مالك، ووائلة ابن الأسقع، ومن كبار التابعين مروان بن الحكم، وقبيضة بن ذؤيب، وعبد الله بن ثعلبة، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وسلمان الأغر، والأغر أبو مسلم، وغيرهم ممن لا يحصى عددهم.

وقال الربيع: قال الشافعى: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره، وقال أبو الزعيزعة- كاتب مروان- أرسل مروان إلى أبى هريرة فجعل يحدثه وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به، حتى إذا كان فى رأس الحول أرسل إليه فسأله، وأمرنى أن أنظر، فما غير حرفا عن حرف. وفى حديث البخارى عن أبى هريرة قال: لم يكن من أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أكثر حديثا منى إلا عبد الله بن عمر، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

وأخرج أحمد من حديث أبى بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عن أشياء لا يسأله عنها غيره. وقال أبو نعيم: كان أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ودعا له بأن يحببه إلى المؤمنين. وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر، قدم المدينة مهاجرا وسكن الصفة. وقال أبو هلال عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال: لقد رأيتنى أصرع بين منبر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وحجرة عائشة فيقال: مجنون، وما بى جنون، زاد يزيد بن إبراهيم عن محمد عنه: وما بى إلا الجوع. وقال البخارى: حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن ذر، قال مجاهد: عن أبى هريرة قال: والله الذى لا إله إلا هو إنى كنت لأعتمد على الأرض بكبدى من الجوع، وأشد الحجر على بطنى.

أخرج أحمد فى مسنده روى أبو كثير عن أبى هريرة ﷺ أنه قال: أما والله ما خلق الله مؤمنا يسمع بى ولا يرانى إلا أحبنى، قال: وما علمك بذلك يا أبا هريرة؟ قال: إن أمى

كانت مشركة، وإنى كنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى على، فدعوتها يوما فأسمعتنى فى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ما أكره، فأتيت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأنا أبكى، فذكرت له فقال: (اللهم اهد أم أبى هريرة) فخرجت عدوا فإذا بالباب مجاف وسمعت حصحصة الماء، ثم فتحت الباب فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فرجعت وأنا أبكى من الفرح، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببنى وأمى إلى المؤمنين، فدعا (أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وأحمد).

وفى الصحيح عن الأعرج قال: قال أبو هريرة: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، والله الموعد، إنى كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ على ملء بطنى، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكان الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فحضرت من النبى ﴿ﷺ وآله﴾ مجلسا فقال: (من يبسط رداءه حتى أقضى مقالتى ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه منى) فبسطت بردة على حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلىَّ، فو الذى نفسى بيده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد (أخرجه البخارى ومسلم).

وأخرج أبو يعلى عن أبى سلمة جاء أبو هريرة رضي الله عنه فسلم على النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فى شكواه يعوده، فأذن له فدخل، فسلم وهو قائم والنبى ﴿ﷺ وآله﴾ متساند إلى صدر علىّ ويده على صدره ضامة إليه والنبى ﴿ﷺ وآله﴾ باسط رجليه فقال:

(ادن يا أبا هريرة، فدنا، ثم قال: ادن يا أبا هريرة، فدنا، ثم قال: ادن يا أبا هريرة، فدنا- حتى مست أطراف أصابع أبى هريرة أصابع النبى ﴿ﷺ وآله﴾- ثم قال له: اجلس، فجلس، فقال له: ادن منى طرف ثوبك، فمد أبو هريرة ثوبه فأمسك بيده ففتحه وأدناه من النبى ﴿ﷺ وآله﴾، فقال له النبى ﴿ﷺ وآله﴾: أوصيك يا أبا هريرة بخصال لا تدعهن ما بقيت، قال: أوصنى ما شئت، فقال له: عليك بالغسل يوم الجمعة، والبكور إليها،، ولا تلغ ولا تله، أوصيك بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فإنه صيام الدهر، وأوصيك بركعتى الفجر لا تدعهما وإن صليت الليل كله فإن فيهما الرغائب، قالها ثلاثا، ثم قال: ضم إليك ثوبك،

فضم ثوبه إلى صدره، فقال: يا رسول الله، بأبي وأمي، أسر هذا أو أعلنه؟ قال: بل أعلنه يا أبا هريرة، قالها ثلاثا) (راجع الإصابة فى تمييز الصحابة للحافظ بن حجر).

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال: حفظت من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم. وأخرج الإمام أحمد من طريق يزيد بن الأصم عن أبى هريرة وقد قيل له: أكثرت، فقال: لو حدثتكم بما سمعت لرميتمونى بالقشع- أى الجلود-. وأخرج بن سغد بسند جيد عن سعيد بن العاص قال: قالت عائشة لأبى هريرة: إنك لتحدث بشىء ما سمعته، قال: يا أمه، طلقتها، وشغلك عنها المكحلة والمرآة، وما كان يشغله عنها شىء. والأخبار فى ذلك كثيرة.

وقال عبد الرزاق عن ابن سيرين أن عمر ﷺ استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال؟ فمن أين لك؟ قال: خيل نتجت، وأعطية تتابعت، وخراج رقيق لى، فنظر فوجدها كما قال، ثم دعاه ليستعمله، فأبى، فقال: لقد طلب العمل من كان خيرا منك، قال: إنه يوسف نبى الله ابن نبى الله وأنا أبو هريرة بن أميمة، وأخشى ثلاثا: أن أقول بغير علم، وأقضى بغير حكم، ويضرب ظهرى ويشتم عرضى ويترع مالى.

وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب (المزاح) عن سعيد عن أبى هريرة أن رجلا قال له: إنى أصبحت صائما فجئت أبى فوجدت عنده خبزا ولحما فأكلت حتى شبعت، ونسيت أنى صائم، فقال أبو هريرة: الله أطعمك، قال: فخرجت حتى أتيت فلانا فوجدت عنده لقحة تحلب فشربت من لبنها حتى رويت، قال: الله سقاك، قال: ثم رجعت إلى أهلى فنمت فلما استيقظت دعوت بماء فشربت، فقال: يا ابن أخى أنت لم تعود الصيام.

وأخرج ابن أبى الدنيا فى (المحتضرين) بسند صحيح عن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال: دخلت على أبى هريرة وهو شديد الوجع، فاحتضنته فقلت: اللهم اشف أبا هريرة، فقال: اللهم لا ترجعها- قالها مرتين- ثم قال: إن استطعت أن تموت فمت، والله الذى نفس أبى هريرة بيده، ليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه فيتمنى أنه صاحبه.

وأخرج أحمد والنسائى بسند صحيح عن أبى هريرة قال: إذا مت فلا تنوحوا على، ولا تتبعونى بمجمرة، وأسرعوا بى. وأخرج البغوى من وجه آخر عن أبى هريرة أنه لما حضرته الوفاة بكى، فسئل، فقال: من قلة الزاد وشدة المفازة. وأخرج ابن أبى للدنيا من طريق مالك عن سعيد المقرى قال: دخل مروان على أبى هريرة، فى شكواه التى مات فيها، فقال: شفاك الله، فقال أبو هريرة: اللهم إنى أحب لقاءك فأحبب لقائى، فما بلغ مروان وسط السوق حتى مات ﷺ سنة سبع وخمسين، بعد أن عاش ثمانيا وسبعين سنة.

أبو الدرداء الأنصارى:

واسمه عويمر بن عامر بن زيد بن قيس، وقيل: عويمر بن قيس بن زيد بن أمية، وقيل غير ذلك.

تأخر إسلامه قليلا، وكان آخر أهل داره إسلاما، وحسن إسلامه، وكان فقيها، عاقلا حكيما، آخى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بينه وبين سلمان الفارسى. روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (عويمر حكيم أمتى) شهد ما بعد أحد من المشاهد، واختلف فى شهوده أحدا.

عن مسروق قال: شافهت أصحاب محمد ﴿ﷺ وآله﴾ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: على، وعمر، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ، وأبى الدرداء، وزيد بن ثابت، ﷺ. عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان أبو الدرداء من الذين أوتوا العلم. عن عوف بن مالك أنه رأى فى المنام قبة أدم فى مرج وحول القبة غنم ربوض تجتر وتبعر العجوة، قال: فقلت: لمن هذه القبة؟ قيل: لعبد الرحمن بن عوف، فانتظرناه حتى خرج، فقال: يا عوف، هذا الذى أعطانا الله بالقرآن، ولو أشرفت على هذه الثنية لرأيت بها ما لم تر عينك، ولم تسمع أذنك، ولم يخطر على قلبك مثله، أعده الله لأبى الدرداء، أنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والصدر (الاستيعاب لابن عبد البر).

عن عبد الرحمن الحجرى قال: قال أبو ذر لأبى الدرداء: ما حملت ورقاء، ولا أظلت خضراء أعلم منك يا أبا الدرداء. عن يزيد بن عميرة قال: حضرت معاذ بن جبل الوفاة، قيل

له: يا أبا عبد الرحمن أوصنا، فقال: أجلسونى، إن للعلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما- يقولها ثلاث مرات- التمسوا العلم عند أربعة رهط: عند عويمر أبى الدرداء، وسلمان الفارسى، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام- الذى كان يهوديا فأسلم- فإنى سمعت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول: (إنه عاشر عشرة فى الجنة).

وروى من حديث ابن عيينة أنه قيل لأبى الدرداء: مالك لا تقول شعرا، وكل لبيب من الأنصار قال الشعر؟ فقال: وأنا قد قلت شعرا، فقيل: وما هو؟ قال:

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أفضل ما استفادا

عن يزيد بن أبى مريم: أن عبيد الله بن مسلم حدثه عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (أنا فرطكم على الحوض، فلا ألفين ما نوزعت فى أحدكم، فأقول: هذا منى، فيقال: إنك لا تدرى ما أحدث بعدك، فقلت: يا رسول الله أدع الله أن لا يجعلنى منهم، قال: لست منهم) فمات قبل قتل سيدنا عثمان ﷺ بسنتين على الأصح من الأقوال، بعد أن ولى قضاء دمشق.

وله ﷺ حكم مأثورة منها قوله: وجدت الناس أخبر تقله، أى: اختبر من شئت منهم تفر منه وتعاديه. ومنها: من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد. ووصف الدنيا فأحسن، فمن قوله فيها: الدنيا دار كدر، ولن ينجو منها إلا أهل الحذر، ولله فيها لعلامات يسمعها الجاهلون ويعتبر بها العالمون، ومن علاماته فيها أنه حفها بالشهوات، فارتطم فيها أهل الشبهات، ثم أعقبها بالآفات فانتفع بذلك أهل العظات، ومزج حلالها بالمؤنات وحرامها بالتبعات، فالمثرى فيها تعب، والمقل فيها نصب، فى كلمات أكثر من هذا.

الفصل الرابع

أهل الفرقة الناجية هم السائحون

قبل نشرح مقامات السائحين وأحوالهم ونبين مشاهدهم العلية التى تفضل الله بها عليهم بعد أن وهبهم الهمة العلية، نتكلم على السياحة - كعادتنا فى ذلك - ليستبين للمطالع معنى السياحة، فيفهم أوصاف السائحين.

السياحة عند أهل الفرقة الناجية:

هى الذهاب فى الأرض لنيل قصد، وهذا القصد إما أن يكون واجبا شرعا لعاجل الدنيا والسعى فى طلب الرزق، أو لآجل الآخرة كطلب العلم والحج والجهاد، والبحث عن العلماء المرشدين، أو لكشف خبايا الملكوت والسير إلى الله تعالى، فالأول مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[1] والثانى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَأَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ﴾[2] والثالث مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[3].

ولما كنت أكتب معنى الآية الشريفة، لبيان أحوال أهل الفرقة الناجية، كان ولابد من أن يكون كلامى محصورا فيهم، فإن السائح منهم فى طلب الدنيا سائح لله، لقيامه بما أوجبه عليه وهو فى طاعة حتى يرجع إلى أهله، والسائح لطلب الآخرة لحج أو علم أو صحبة عارف فهو أيضا سائح لله لأنه قائم بفرائض الله، والسائح فى طلب كشف خبايا الملكوت هو أيضا سائح لله تعالى، لأنه مجذوب للجناب المقدس بخالص المحبة والتوحيد.

---

(١) سورة الملك آية ١٥.

(٢) سورة الكهف آية ٦٠.

(٣) سورة فصلت آية ٥٣.

أحكام السياحة وأقسامها

أما أحكام السياحة لطلب الدنيا أو لطلب الآخرة فقد بيناها فى (أصول الوصـــول)، وآداب طلب العلم وصحبة العلماء فى كتاب (معارج المقربين)، ونحن- بعـــون الله وحســـن توفيقه- نتكلم هنا لكشف خبايا الملكوت الأعلى، وهى سياحة أفراد أهل الفرقة الناجية الذين تسبق هممهم أقدامهم فى سياحتهم، وتلك السياحة إما روحانية فقط- ويعبر عنها بالســـياحة بالقلوب- وإما جسمانية روحانية- فيعبر عنها بالسفر- والسياحة إما أن تحصل مـــن مريـــد واحد لا يقر له قرار، لتقلب قلبه ورغبة المزيد لجسمه ليتكمل بسياحته، أو لواصـــل مـــتمكن لينال المزيد من الله بتكميل غيره، والسائح بجسمه المنتقل من مكان إلى مكان لا يهمنا الـــتكلم فيه، والسائح بقلبه المنتقل من صفة إلى صفة ومن مشهد إلى مشهد، هو السائح حقـــا وإن لم ينتقل بجسمه خطوة واحدة، قال الإمام القشيرى: سئل بعض مشايخ الطريق فقيل لـــه: هـــل سافرت؟ فقال: سفر الأرض أم سفر السماء؟ سفر الأرض: لا. وسفر السماء: بلى.

وجاء رجل إلى عارف بالله فقال: قطعت إليك شقة طويلة، فقال له العارف: كـــان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك. وقال الأستاذ الحصرى: جلسة خير من ألـــف حجة، والمراد جلسة تجمع الهم حتى يكاشف بالأفق الأعلى، فيكون قد انتقل من أفـــق دنى إلى أفق علىّ وهو فى جلسته لم ينتقل من مكانه. وقد فسر بعض العلماء السياحة فى القرآن بالصيام أخذا من قوله ﴿ ﷺ وآله﴾: (سياحة أمتى الصيام) وذلك لما بين الصيام والسياحة من الشـــبه، فإن الصائم محروم من حظوظه وشهـــواته المباحة، وكذلك السائح، فإنه يتحمل مـــن عنـــاء السياحة وشدة السفر وفقد مألوفه ما لا يطيقه إلا أهل العزائم من الفرقة الناجية، الذين علموا قدر فضل الله عليهم ونعمته الواصلة إليهم وما أعده لمن أقبل عليه، وفارق مألوفاته لأجله، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ ﴾[2] وما من نبى ولا ولى إلا وقد تفضل الله عليه بالسياحة الجامعة بين سياحة الـــروح

---

(١) سورة يونس آية ٢٢.

(٢) سورة النمل آية ٦٩.

والجسم، وقد أمر الله المخلصين من عباده بالفرار إليه فقال سبحانه: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[(١)].

أنواع السياحة:

والسياحة إلى كشف خبايا الملكوت ثلاثة أنواع:

١- سياحة فى النفس وفى الأرض وفى السماء: وهى للعارفين.

٢- وسياحة فى الأرض: وهى للمريدين.

٣- وسياحة فى السماء: وهى للمجذوبين بمشهد من مشاهد التوحيد عن انبلاج الآيات.

- فالمقام الأول للعارفين من كمل ورثة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾.

- والثانى للتلاميذ الذين ذاقوا من علوم التوحيد ما يجعلهم يتفكرون فيما يشهدون من الآيات فى الأرض كما قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ* وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ* يُخْرِجُ الحَى مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَى وَيُحْيِى الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِى بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ* وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[(٢)]

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٠.

(٢) سورة الروم آية ١٧-٢٥.

- وأهل المقام الثالث هم المجذوبون إلى ملكوت الله الأعلى، المؤهلون لليقين، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[1].

لماذا لم يتكلم السابقون فى أسرار السياحة؟:

لما كانت أسرار السياحة لم يتكلم عنها الرجال إلا بإشارات، لأنها فيما يتعلق بالأئمة، وهى غيب عن قوى العقول، ولكنى رغبة فى نيل رضوان الله تعالى، ورضوان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ونفع الراغبين من أهل الإخلاص، استحسنت أن أفصل بعض ما يتعلق بالسياحة فى مقاماتهم، لأن الأئمة ﵃ أمسكوا عن شرح تلك المقامات فى كتبهم لاعتقادهم أنها تكون من صولة مشاهد التوحيد، وجذبة تجلى الحق سبحانه وتعالى، وظهور آياته فى النفس وفى السموات وفى الأرض، وتدعو السالك فى طريق الله إلى السياحة بحال قاهرة، ووجد جاذب فيتنعم بمشاهد تلك الآيات، ويأنس فى كل نزل يتزله بأنوار التجليات، فطووا ﵃ بساطها لتكون الرغبة فيها عن وجد ويقين، بعد صولة الكشف على القلب، وعملا بقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

ما دعانى إلى بيان تلك الأسرار:

ودعانى إلى بيان تلك الأسرار بالعبارة والكتابة قصور الهمم، وفتور العزيمة، وعكوف القلب على الدنيا، وعدم الرغبة فيما عند الله، فشرحت أسرارها حثا للهمم، ويقظة للقلوب، وتنبيها للأفكار، والله الموفق لأقوم سبيل، أسأله سبحانه وتعالى أن يهدينى الصراط المستقيم، وأن يمدنى بروح منه، ويحفظنى من البدع المضلة، ومن مخالفة السنة، إنه مجيب الدعاء، آمين.

أئمة السائحين:

أئمة السائحين رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، وإمامهم الأعظم هو رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، لأن الله تعالى أسرى به جسما وروحا مطلوبا، مرادا، محبوبا، وهو المقام العلى الذى تقاصرت عن إدراكه أرواح أولى العزم من الرسل، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، فضلا عن أجسامهم الطاهرة.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٧٥.

مشاهد الأنبياء ودرجاتهم فى السياحة:

كانت سياحته ﴿ﷺ وآله﴾ فوق كل سياحة الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، فـإن الله أرى الخليل عليه الصلاة والسلام ملكوت السموات والأرض فخرج قائلا: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[1]. وسياحة الكليم عليه الصلاة والسلام للقيا العبد الصالح، لمزيد العلـم. وسياحة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام لنجاته من الطوفان، ومن قومه. وسياحة كل نـبى للنجاة من أعداء الله تعالى. وسياحته ﴿ﷺ وآله﴾ كانت بالله وإلى الله، فأشهده آيات ملكـه وملكوته، وجلال عزته وجبروته، وحظائر قدسه ولاهوته، حتى دنا ﴿ﷺ وآله﴾ بالله، وتدلى له الله، وأوحى إليه من غيب كمالاته، وعلىّ جمالاته وجلالاته، ما أبهمه الحق سبحانه وتعالى علوا له أن يدركه غير حبيبه ومصطفاه ﴿ﷺ وآله﴾، وتتريها عن أن يحيط به أحد غير الفرد المراد لذات الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى {١٠} مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَـا رَأَى﴾[2] والفؤاد قررنا أنه برزخ بين القلب والجسم، فكأنه ﴿ﷺ وآله﴾ كان فى دنوه مـن ربه بجسمه وروحه حينما تدلى الرب تعالى له عليه الصلاة والسلام، ولو لم يكن ذلك كذلك لقال: ما كذبت الروح ما رأت.

فإذا كان أئمة أهل السياحة هم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، فلكل سـائح من أولياء الله قسط من تلك المواهب الإلهية، ومشرب من تلك الموارد العلية، ومشهد من تلك المشاهد الربانية، وإنى أنبه القارئ الذى لم يتفضل الله عليه بذوق ما سـأبديه مـن غـوامض أسرارهم أن يتحصن بدرع التسليم، وأن يعتقد أن عجائب القدرة وغرائب تصريفها وأسـرار الحكمة وخفى غيبها، نور لا يشرق إلا على نفس تزكت، وقلب اطمأن بـذكر الله، وبـدن حفظه الله من الوقوع فيما يكره، وعقل عقل عن الله.

وقد أخطأ بعض من يدعى العلم، فحكم على القدرة والحكمة بما يحكم بـه علـى قدرتـه وحكمته، فشبه القديم بالحادث، وزعم- لجهله بنفسه- أنه لا قدرة فوق قدرته، ولا حكمة إلا ما عرف، وكل سر تظهره القدرة لكمال إطلاقها، وكل سر تظهره الحكمة من الأسرار الـتى

---

(١) سورة الصافات آية ٩٩.

(٢) سورة النجم آية ١٠-١١.

تناسب الحكيم الخبير العلى الكبير ينكره لأن عقله الذى يعقل عن نفسه وعن الكون لا يقبله، وشتان بين العالم الربانى الذى يعقل عن الله تعالى، وبين الجاهل المحجوب بنفسه وحسه وعقله، فإن الأول قال كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾(١) وقال فى حق غيرهم من الذين عقلوا بغير عقلهم الإنسانى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(٢).

فأكرر تنبيهى على إخوانى أن السالك منهم يجب عليه أن يسلم تلك المقامات، وأن يستعيذ بالله من أن يدعيها لنفسه بلا وجد صادق، أو جاذب قاهر، فإن دعواها بلا تحقق بمشاهدها، وتجمل بأحوال أهلها، واقتداء بأئمة أهلها، كذب على الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ﴾(٣) فإن تلك الأسرار العلية نفائس قدسية قد تلقى بين أهل الرجس فينكروها، ويزدرون بها، وقد تلقى بين أهل التسليم من السالكين فيخرجون عن مقاماتهم الاعتدالية، ويدعوها تقليدا، فيكون ضررا لكل من الطائفتين، فتأبى نفوسهم الخبيثة التى سجل الله عليها الشقاء إلا محاربة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، فيخسف الله بهم الأرض.

ومشاهد سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام فى هجرته وسياحته فوق أن تسطر على الأوراق، وأعلى من أن تمثل بالعبارة.

ثم هاجر الخليل عليه السلام، ومعه زوجه سائحا منتقلا من الكون إلى المكون سبحانه، فارا إلى الله سبحانه، مفارقا أقرب الخلق منه، وألصقهم به وأرحمهم عادة، وما يدرينا قدر تلك الجواذب الإلهية التى أخرجته ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ متوجها إلى ربه.

---

(١) سورة آل عمران آية ٧.

(٢) سورة الأنفال آية ٢٣.

(٣) سورة النحل آية ١٠٥.

لعلك أيها المطالع- إذا تبصرت- تلوح عليك أنوار شمس الخلة الخالصة، التى تجعل الخليل لا يقر له قرار إلا بالإقبال بالكلية على خليله، والفناء عن نفسه به، والرغبة عن كل شىء فيه.

ثم هاجر الكليم صلوات الله وسلامه عليه ومعه قومه من أرض تعودوا على نباتها ومائها، إلى صحارى قاحلة وشدائد فادحة، وقد بين القرآن المجيد قدر آلامهم، وشكواهم بعد السياحة وتمنيهم ما كانوا فيه، ليظهر لك جليا أن السياحة فرار إلى الله، وإقبال على حضرته بالكلية، وإنما تمنى- أى: ذلك الرجوع إلى مصر، وإلى ما تعودوه من النبات- بعض من لم يكمل إيمانهم، ممن لم يذوقوا حلاوة السياحة لله.

وإلا فأهل السياحة ما خرجوا من مكان إلى غيره، ولا من صفة إلى غيرها، ولا من حال إلى غيره، إلا وما خرجوا منه كان أحب إلى أنفسهم أولا مما خرجوا إليه، حتى داهمتهم صولة المحبة الإلهية، وجذبهم اصطلام الشوق إلى ما كوشفوا به من جمال ملكوته الأعلى، فصارت الآلام لهم ملاذا، والشدائد لهم مسرات، فخرجوا متوجهين لربهم جل جلاله، فرحين بالقرب منه، مبتهجين بالحب فيه، مسرورين بما نالوا من الفوز والخلاص مما كانوا فيه.

ولما كانت السياحة سنة رسل الله، وكان التعلق بالأهل والأقارب مما يدعو إلى السكون بالأماكن، وعمل المعدات، لذلك لم يشتهر منهم بالسياحة حتى صارت علما عليه إلا من لا زوجة له ولا ولد ولا والد، وهو المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام، فإنه بلغ من التخلى عن الدنيا مبلغا حتى قال: أنا لا أم لى ولا أخوة- لأمه وإخوته- فراغا لقلبه، وراحة لبدنه، وإقبالا على السياحة بالكلية، حتى أن بعض الرجال يقول: إنه إمام هذه الطائفة- يعنون أهل السياحة- الذين صرفوا عمرهم فى السياحة قلبا وقالبا فلم يركنوا إلى الدنيا، ولم يسكنوا إليها. ومشاهد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم المقتضية لتلك الأحوال الخارقة للعادة البشرية، هى الحجة لمن خرقوا عوائدهم البشرية، فخرقت لهم العادة فى أحوالهم ومعاملاتهم.

الأمة المحمدية تجملت بما تجمل به الرسل السابقون:

وقد تفضل الله على أمة حبيبه صلوات الله وسلامه عليه فجعل منهم أفرادا جملهم بما جمل به رسله السابقين، وأقامهم مقامات سجد العقل دون أعتابها، وأشهدهم مشاهد أفناهم بها عن وجودهم الكونى، حتى خرجوا عن عوائدهم، ومألوفاتهم، واستلانوا ما استوعره غيرهم، وأنسوا بما استوحش منه سواهم، فأحوالهم أدهشت العقول، غبطتهم ملائكة السموات، ولا عجب فإن الرسل الذين ساحوا فارين إلى الله كان الوحى أنيسهم، واليقين الحق شهودهم، وإكرام الله لهم حيث كانوا، تظلهم الغمامة، وتظهر لهم الملائكة جليا فيدفعون عنهم ويعينونهم وأصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ والتابعون لم يكن لهم إلا إيمان بالله ورسوله، وحب خالص لله ورسوله، وإليك ما تحملوه ﷺ:

اشتدت وطأة كفار قريش عليهم شدة تذوب القلوب عند ذكرها، وتقشعر الجلود عند سماعها، فكان يؤخذ الرجل منهم فيعذب فى الله لأنه أسلم، فيلقى على ظهره على الأحجار الحارة، ويوضع حجر ثقيل على صدره، ويدوس عليه العبيد والإماء حتى يغمر، ويقال له: ارجع عن دينك، فيأبى.

ثم خرجوا ﷺ مهاجرين إلى الحبشة، وما هى بلاد الحبشة بالنسبة لمكة؟، بينها وبين مكة مسافة خمسة أشهر فى البر، وشهر فى البحر الملح، ثم شهر آخر حتى يصل إليها، فى صحارى قاحلة، وغابات ماحلة، بين سباع ووحوش وظمأ وجوع، لم يردهم ذلك عن دينهم.

إليك أسلم الحكم عليهم، فما دعاهم إلى ذلك؟ والله ما دعاهم إليه إلا كشف الحجاب عن حقيقة الدنيا، ورفع الستار عن جمالات الآخرة، وعلم بلغ بهم إلى معرفة أنفسهم فعرفوا ربهم، ففروا إليه متلذذين بالمتاعب كما فعل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

تلك مشاهد علية وأنوار جلية، يقول العاقل: جنون، ولكن فى محبة الله، وطلب رضوانه الأكبر. وخروج عن الاعتدال، ونعم! فى نظرك، ولكنه مسارعة إلى نيل الخير الحقيقى فى نفس الأمر، ونيل خير دونه النفيس والنفس، والأمل والولد، بل والدنيا والآخرة، هو رضوان الله الأكبر الذى بشرهم به فى الدنيا بنص القرآن المجيد الذى أنزله على نبيه، وفى

الآخرة بنص الحديث الصحيح الذى يقول فيه الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ عن ربه: (أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا) (رواه البخارى ومسلم). مخاطبا لهم فى فردوسه الأعلى، أسأل الله أن يجعلنا منهم، ويتفضل علينا ببركتهم.

من هم أهل السياحة؟:

أما من الصحابة فكثيرون، لأنهم ﵃ وأرضاهم هاجروا إلى الحبشة وإلى المدينة وغيرهما، الهجرة الحقة التى خصصهم الله بها وأفردهم لها، ورفعت مقاماتهم العلية عن أن ينافسهم فيها غيرهم، حتى بلغوا مبلغا تغبطهم الملائكة والأنبياء لقربهم من الله، لما وفقهم له وأعانهم عليه سبحانه، وجملهم بمعانى موجبات رضوانه الأكبر، ودامت تلك الأبواب مفتحة لمن جذبتهم عناية الله حتى فتحت مكة لرسول الله، فسبق المفردون، وصار المهاجر بعدها لا يبلغ معشار ما بلغوا، ﵃ وأرضاهم.

فمنهم سيدنا عثمان بن عفان، وزوجته السيدة رقية رضى الله عنها بنت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ معه، وهو أول من هاجر بأهله بعد سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام كما ورد فى الخبر: (إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط ؑ) (أخرجه أبويعلى والطبرانى). وكان مع السيدة رقية أم أيمن حاضنة النبى ﴿ﷺ وآله﴾.

ومنهم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته معه سهلة بنت سهيل، وأبو سلمة بن عبد الأسد هاجر ومعه زوجته أم سلمة رضى الله عنها.

وممن هاجر بأهله عامر بن أبى ربيعة، هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية، وأبو سبرة- وهو أخو أبى سلمة ﵁ لأمه- هاجر ومعه زوجته أم كلثوم.

وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعثمان بن مظعون، وسهيل بن البيضاء، وأبو سبرة بن أبى رهم، وخاطب بن عمرو العامريان، وعبد الله بن مسعود ﵃.

ومن الذين خرجوا إلى الحبشة فى الهجرة الثانية جعفر بن أبى طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس، والمقداد بن الأسود، وعبد الله بن مسعود، وعبيد الله بن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان، وغيرهم ممن لا يحصى عددهم.

وخرج الصديق الأكبر سيدنا أبو بكر ﷺ مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا وصل برك الغماد- وفى رواية حتى إذا سار يوما أو يومين- لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة واسمه الحارث- والقارة قبيلة مشهورة كان يضرب بها المثل فى قوة الرمى ومن ثم قيل لهم: رماة الحدق، لاسيما ابن الدغنة- قال له: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى، قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكَّل، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار فارجع فاعبد ربك ببلدك، فرجع معه. فطاف ابن الدغنة فى أشراف قريش وقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله، أتخرجون رجلا يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق، وهو فى جوارى. فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، أى: لم يرد جواره، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ابن الدغنة ذلك لأبى بكر ﷺ.

فمكث أبو بكر يعبد ربه فى داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ فى غير داره، ثم ابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلى فيه، ويقرأ القرآن، وكان رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فكانت نساء قريش يزدحمن عليه فأفزغ ذلك كثيرا من أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره وأعلن بالصلاة والقراءة وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا بهذا، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن رأى أن يعلن بذلك فاسأله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك- أى: نزيل خفارتك وننقض جوارك ونبطل عهدك- فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال: علمت الذى قد عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تُرجع إلىَّ ذمتى، فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت- أى: أزيلت خفارتى- فى رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإنى أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله

تعالى، قال: ولما رد جوار ابن الدغنة لقيه بعض سفهاء قريش وهو عابر إلى الكعبة فحثى على رأسه ترابا، فمر عليه بعض كبراء قريش من المشركين فقال له أبو بكر ﷺ: ألا ترى ما صنع هذا السفيه؟ فقال له: أنت قطعت بنفسك، فصار أبو بكر يقول: رب ما أحلمك على ذلك (ثلاث مرات)

كيف خرجوا:

خرجوا مشاة على أقدامهم، خائفين على دينهم وأنفسهم، يمشون الليل والنهار بين طلب العدو وملاقاة ما لا قبل للإنسان به، بصبر يراه العاقل مستحيلا على الإنسان، وهمة فى الله تعالى لا تتصورها العقول، حتى صار الصبر رضا، والوحشة أنسا، والغربة قربا، كل ذلك لما واجههم به الولى الحميد القريب المجيب اللطيف الخبير من أنوار جماله، وما تفضل به عليهم من العلم بكماله، وما حققهم به من اليقين الحق بخالص التوحيد وحقيقة المحبة، فكان نصب السفر، ووصب الجهد، وعناء ما يلقونه كأنه ملاذ وبهجة، بالنسبة لما تحققوا بالفوز به من سلامتهم بدينهم من أعدائهم، وما تيقنوا به من نيل رضاء الله سبحانه وتعالى، ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وما اعتقدوه حقا من ولاية الله لهم، مع أن تلك الشدائد كان يمكن أن يدفعها عنهم مداراة أو كتم أحوالهم، ولكن باعث الحب، وداعى الوجد، وشهود الحق بانبلاج آياته وإشراق أنواره يقهر المرادين لله تعالى، ولو تتبعنا أحوالهم العلية لظهر لنا الحق جليا.

ما وقع لأبى بكر من الأذى:

هذا الإمام- سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ- وقع له من الأذى ما ذكره بعضهم أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ دخل دار الأرقم ليعبد الله تعالى ومن معه من أصحابه فيها سرا، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا، ألح أبو بكر ﷺ على رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى الظهور- أى: الخروج إلى المسجد- فقال: (يا أبا بكر إنا قليل) فلم يزل به حتى خرج رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ومن معه من أصحابه إلى المسجد، وقام أبو بكر فى الناس خطيبا- ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ جالس- ودعا إلى الله ورسوله، فهو أول خطيب دعا إلى الله تعالى، وثار المشركون على أبى بكر وعلى المسلمين يضربونهم، فضربوهم ضربا شديدا، ووطئ أبو بكر بالأرجل

وضرب ضربا شديدا، وصار عتبة بن ربيعة يضرب أبا بكر بنعلين مخصوفتين- أى: مطبقتين- ويحرفهما إلى وجهه، حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه.

فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر، وحملوه فى ثوب إلى أن أدخلوه فى مترله، وهم لا يشكون فى موته، ثم رجعوا ودخلوا المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة، ثم رجعوا إلى أبى بكر، وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلم يجب، حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال: ما فعل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾؟ فعذلوه، فصار يكرر ذلك فقالت أمه: والله ما لى علم بصاحبك، فقال: اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب- فإنها كانت أسلمت رضى الله عنها وهى تخفى إسلامها- فاسأليها عنه، فخرجت إليها وقالت لها: إن أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله، فقالت: لا أعرف محمدا ولا أبا بكر، ثم قالت لها: تريدين أن أخرج معك؟ قالت: نعم، فخرجت معها إلى أن جاءت أبا بكر ﷺ فوجدته صريعا، فصاحت وقالت: إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق، وإنى لأرجو أن ينتقم الله منهم، فقال لها أبو بكر: ما فعل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾؟ فقالت له: هذه أمك تسمع، قال: فلا عين عليك منها- أى: لأنها لا تفشى سرك- قالت: سالم، فقال: أين هو؟ قالت: فى دار الأرقم، فقال: والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، قالت أمه: فأمهلنا حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس فخرجنا به يتكئ عليّ، حتى دخل على رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فرق له رقة شديدة، وأكب عليه يقبله، وأكب عليه المسلمون كذلك، فقال: بأبى وأمى أنت يا رسول الله ما بى من بأس إلا ما بأس من وجهى، وهذه أمى برة بولدها، فعسى الله أن ينقذها بك من النار، فدعا لها رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت.

لعلك أيها القارئ تعلم قدر حب الله لتلك المشاهد، وإقباله سبحانه على من يتجمل بتلك المعانى، بعد علمك بسرور رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بسلامة صديقه، وبعد تحققك بمحبة الصديق لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وبذله نفسه ليقتل فداء لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وإشفاقه عليه حتى كان أول خاطر خطر عليه بعد إفاقته من غمرته سؤاله عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وسعيه إليه وهو فى حالة الألم التى تنسى الإنسان نفسه.

كل ذلك دليل على أنهم رضوان الله عنهم كان يمكنهم أن يداروا، ولكن محبة الله الخالصة، وغيرتهم على دينهم الحق، ورحمتهم الواسعة على بنى الإنسان دعتهم أن يقوموا مقاما لم يقمه إلا رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم.

وكم كان يرتل الصديق القرآن فى شوارع مكة، ويبكى فيجتمع عليه النساء والصبيان يبكون معه، فيقوم كفار قريش مسارعين إلى أذيته وهو لا يرجع، حتى أنذروه بالقتل، فخرج مهاجرا بدينه إلى الله تعالى وهو سيد بنى تيم، وعظيم قريش، وصاحب راياتهم ومشورتهم، فكيف بغيره من المستضعفين، كل ذلك كان والصدور منشرحة، والقلوب مطمئنة، والنفوس ساكنة إلى الله، فلم يكن ذلك بمجرد أن يقول المسلم: إنى مسلم، لا والله، ولكن بمشاهد جذبت تلك الأرواح إلى حضرة الفتاح، ويقين تلذذت فيه الأشباح بالآلام، حتى صارت الشدة عندهم رخاء، والفقر غنى، والذل عزا.

بعض ما حصل لهم من أذية المشركين:

أورد عليك نموذجا من صبر الصحابة على أذية المشركين، ترويحا لنفسك، وميزانا تزن به أحوالك الصادرة عن شهود التوحيد، وخالص المحبة لله بعد العلم، لتعلم قدر الدين عند من اجتباهم الله، ودعاهم داعى الأزل دعوة القبول، فإنهم لما سمعوا من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ دعاءه لهم سمعوا منه ﴿ﷺ وآله﴾ بآذان قلوبهم التى دعاها الله سبحانه وتعالى فسمعت من الله سبحانه، وتلقت عنه جل جلاله، فسارعوا إلى ما دعاهم إليه، وأقبلوا بالكلية عليه، ﭫ وعنا بهم إنه مجيب الدعاء، آمين.

تعذيب المستضعفين من المسلمين:

وهم الذين سبقوا إلى الإسلام، ولا عشائر لهم تمنعهم، ولا قوة لهم يمنعون بها، فأما من كانت له عشيرة تمنعه فلم يصل الكفار إليه، فلما رأوا امتناع من له عشيرة، وثبت كل قبيلة على من فيها من مستضعفى المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ورمضاء مكة والنار، ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يفتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من تصلب فى دينه، ويعصمه الله منهم:

بلال بن رباح:

فمنهم بلال بن رباح الحبشى مولى أبي بكر، وكان أبوه من سبى الحبشة، فصار بلال لأمية بن خلف الجمحى، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقيه فى الرمضاء على وجهه وظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره، ويقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد والله يا بلال، ثم يقول لأمية: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا. فرآه أبو بكر ﷺ يعذب فقال لأمية بن خلف الجمحى: ألا تتقى الله فى هذا المسكين، فقال: أنت أفسدته فأبعدته، فقال: عندى غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به، قال: قبلت، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا فأعتقه، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فكان بلال ﷺ يمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان بقوله: أحد أحد، وقد وقع له ﷺ أنه لما احتضر وسمع امرأته تقول: وا حزناه، صار يقول: وا طرباه، غدا ألقى الأحبة، محمدا وحزبه.

ولما بلغ النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أن أبا بكر اشترى بلالا فقال له: (الشركة يا أبا بكر)، فقال: قد أعتقته يا رسول الله. أى: لأن بلالا قال لأبى بكر حين اشتراه: إن كنت اشتريتنى لنفسك فأمسكنى، وإن كنت إنما اشتريتنى لله عز وجل فدعنى لله، فأعتقه.

وقد اشترى أبو بكر ﷺ جماعة آخرين ممن كانوا يعذبون فى الله منهم حمامة أم بلال، ومنهم عامر بن فهيرة فإنه كان يعذب فى الله حتى لا يدرى ما يقول، ومنهم أبو فكيهة، ومنهم امرأة وهى زنيرة عذبت فى الله حتى عميت، ورد الله لها بصرها، وكذا ابنتها، وكذا امرأة يقال لها لطيفة، وكذا أخت عامر بن فهيرة أو أمه، أما ما وقع لسيدنا أبى بكر ﷺ من الأذية فقد تقدم ذكره.

عبد الله بن مسعود:

ومما وقع لعبد الله بن مسعود ﷺ من الأذية أن أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ اجتمعوا يوما، فقالوا: والله ما سمعت قريش القرآن جهرا إلا من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فمن

فيكم يسمعهم القرآن جهرا؟ قال عبد الله بن مسعود: أنا، فقالوا: نخشى عليك منهم، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم، فقال: دعونى فإن الله يمنعنى منهم.

ثم إنه قام عند المقام وقت الشمس وقريش فى أنديتهم، فقال: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم- رافعا صوته حوله- الرحمن علم القرآن..﴾[1] واستمر فيها فتأملته قريش، وقالوا: ما بال ابن أم عبد، فقال بعضهم: يتلو بعض ما جاء به محمد، ثم قاموا إليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءته حتى قرأ غالب السورة، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه، فقال له أصحابه: هذا الذى خشينا عليك منه، فقال: والله ما رأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم، ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غدا، قالوا: لا، قد أسمعتهم ما يكرهون.

عمار بن ياسر:

ومنهم عمار بن ياسر أبو اليقظان العنسى، وهو بطن من مراد وعنس هذا أسلم هو وأبوه وأمه، وأسلم قديما ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى دار الأرقم بن أبى الأرقم بعد بضع وثلاثين رجلا، أسلم هو وصهيب فى يوم واحد، وكان ياسر حليفا لبنى مخزوم، فكانوا يخرجون عمارا وأبوه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبوهم بحر الرمضاء، فمر بهم النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة) (أخرجه الحاكم، وأحمد، وابن منده، والطبرانى فى الأوسط). فمات ياسر فى العذاب، وأغلظت امرأته سمية القول لأبى جهل فطعنها فى قلبها بحربة فى يديه فماتت، أى بعد أن قال لها: إنك ما آمنت بمحمد ﴿ﷺ وآله﴾ إلا لأنك عشقتيه لحسنه وجماله، وهى أول شهيد فى الإسلام رضى الله عنها، وشدد العذاب على عمار، بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبالتفريق أخرى، فقالوا: لا نتركك حتى تسب محمدا وتقول فى اللات والعزى خيرا، ففعل، فتركوه، فأتى النبى ﴿ﷺ وآله﴾ يبكى، فقال: (ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، كان الأمر كذا وكذا، قال: فكيف تجد قلبك؟، قال: أجده مطمئنا بالإيمان، فقال: يا عمار إن عادوا فعد) فأنزل الله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ

---

(١) سورة الرحمن.

﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[1] فشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وقتل بصفين مع سيدنا على وقد جاوز التسعين، قيل: بثلاث، وقيل: بأربع سنين.

خباب بن الأرت:

ومنهم خباب بن الأرت، وكان أبوه سوابيا من كسكر، فسباه قوم من ربيعة وحملوه إلى مكة فباعوه من سباع بن عبد العزى حليف بنى زهرة، وسباع هو الذى بارزه سيدنا حمزة يوم أحد، وخباب تمتمى وكان إسلامه قديما، قيل: ثالث سنة قبل دخول رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ دار الأرقم، فأخذه الكفار وعذبوه عذابا شديدا، فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف– وهى الحجارة المحماة بالنار– ولووا رأسه فلم يجبهم إلى شيء مما أرادوا منه، وكان النبى ﴿ﷺ وآله﴾ يألفه ويأتيه، فلما أسلم وأخبرت بذلك مولاته صارت تأخذ الحديدة– وقد أحمتها بالنار– فتضعها على رأسه، فشكى ذلك لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: (اللهم انصر خبابا) فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوى مع الكلاب، فقيل لها: اكتوى، فكان خباب يأخذ الحديدة وقد حماها فيكوى رأسها.

وفى البخارى عن خباب قال: أتيت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة ولقد لقينا– يعنى معاشر المسلمين– من المشركين شدة شديدة، فقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا، فقعد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ محمرا وجهه فقال: (إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه، وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يصير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه). وعن خباب ﷺ أنه حكى عن نفسه قال: لقد رأيتنى يوما وقد أوقدوا إلى نار ووضعوها على ظهرى، فما أطفأها إلا ودك ظهرى– أى: دهنه– وهاجر ﷺ، وشاهد المشاهد كلها مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ونزل الكوفة ومات سنة ست وثمانين ﷺ.

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦.

صهيب بن سنان الرومى:

ومنهم صهيب بن سنان الرومى، و لم يكن روميا، وإنما نسب إليهم لأنهم سبوه وباعوه، وقيل: لأنه كان أحمر اللون، وهو من النمر بن قاسط، كناه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أبا يحيى قبل أن يولد له، وكان ممن يعذب فى الله فعذب عذابا شديدا، ولما أراد الهجرة، منعته قريش، فافتدى نفسه منهم بماله أجمع.

عامر بن فهيرة:

ومنهم عامر بن فهيرة مولى الطفيل بن عبد الله الأسدى، وكان الطفيل أخا عائشة لأمها أم رومان، أسلم قديما قبل دخول رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ دار الأرقم، وكان يعذب فى الله فلم يرجع عن دينه، واشتراه أبو بكر وأعتقه فكان يرعى غنما له، وكان يروح بغنم أبى بكر إلى النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وإلى أبى بكر لما كانا فى الغار، وهاجر معهما إلى المدينة يخدمهما، وشهد بدرا وأحدا، واستشهد يوم بئر معونة وله أربعون سنة، ولما طعن قال: فزت ورب الكعبة، و لم توجد جثته لتدفن مع القتلى، فقيل: إن الملائكة دفنته ﵁.

أبو فكيهة:

ومنهم أبو فكيهة واسمه أفلح، وقيل: يسار. وكان عبدا لصفوان بن أمية بن خلف الجمحى، أسلم مع بلال فأخذه أمية بن خلف وربط فى رجله حبلا، وأمر به فجر، ثم ألقاه فى الرمضاء ومر به جعل، فقال له أمية: أليس هذا ربك؟ فقال: الله ربى وربك ورب هذا، فخنقه خنقا شديدا، ومعه أخوه أبى بن خلف يقول: زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره، و لم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات، ثم أفاق، فمر به أبو بكر فاشتراه وأعتقه، وقيل: إن بنى عبد الدار كانوا يعذبونه وإنما كان مولى لهم، وكانوا يضعون الصخرة على صدره حتى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه، وهاجر ومات قبل بدر ﵁.

من النساء السائحات:

١- ومنهم لبينة جارية ابن مؤمل بن حبيب بن عدى بن كعب أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب، وكان عمر يعذبها حتى تفتن ثم يدعها ويقول: إني لم أدعك إلا سآمة، فتقول: كذلك يفعل الله بك إن لم تسلم. فاشتراها أبو بكر فأعتقها.

٢- ومنهم زنيرة وكانت لبنى عدى، وكان عمر يعذبها وقيل: كانت لبنى مخزوم، وكان أبو جهل يعذبها حتى عميت فقال لها: إن اللات والعزى فعلا بك، فقالت: وما يدرى اللات والعزى من يعبدهما؟ ولكن هذا أمر من السماء، وربى قادر على رد بصرى، فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها، فقالت قريش، هذا من سحر محمد، فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها.

٣- ومنهم النهدية مولاة لبنى نهد، فصارت لامرأة من بنى عبد الدار فأسلمت، وكانت تعذبها وتقول: والله لأفعلن عنك أو يبتاعك بعض أصحاب محمد، فابتاعها أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها.

٤- ومنهم أم عبيس- وقيل: عنيس- وهى أمة لبنى زهرة، فكان الأسود بن عبد الغوث يعذبها، فابتاعها أبو بكر رضي الله عنه فأعتقها.

أبو جهل عدو السائحين:

وكان أبو جهل يأتى الرجل الشريف ويقول له: أتترك دينك ودين أبيك وهو خير منك؟ ويقبح رأيه وفعله، ويسفه حلمه، ويضع شرفه، إن كان تاجرا يقول: ستكسد تجارتك ويهلك مالك، وإن كان ضعيفا أغرى به حتى يعذب، رضوان الله عنهم.

الفصل الخامس

أهل الفرقة الناجية هم الراكعون الساجدون

أهل الفرقة الناجية هم الراكعون الساجدون لله تعالى فى صلواقم، والصلاة: تـذكر تارة بلفظها، وتارة ببعض أركانها كالقيام والركوع والسجود، وهذا الوصف يفيد التـذكير بهذه الحقيقة وتمثيلها للقارئ.

الركوع والسجود[1]:

الركوع: هو الانحناء، وركع المصلى، أى: انحنى بعد القيام حتى تنال راحتاه ركبتيه، أو حتى يطمئن ظهره ويستوى مع الخضوع والتواضع. [ويراعى فيه أمورا: وهـو أن يكـبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع، وأن يمد التكبير مدا إلى الانتهاء إلى الركوع، وأن يضع راحتيه على ركبتيه فى الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق، وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما، وأن يمد ظهره مستويا، وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع، وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه، وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها، وأن يقول: سبحان ربى العظيم ثلاثا والزيادة إلى السـبعة وإلى العشـرة حسن- إن لم يكن إماما- ثم يرفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول: سمـع الله لمـن حمده، ويطمئن فى الاعتدال ويقول: ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض، وملء مـا شئت من شىء بعد، ولا يطول هذا القيام إلا فى صلاة التسابيح والكسوف والصبح، ويقنـت فى الصبح فى الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود.

ثم يهوى إلى السجود مكبرا، فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأنفه وكفيـه مكشوفة، ويكبر عند الهوى ولا يرفع يديه فى غير الركوع، وينبغى أن يكون أول ما يقع منـه

---

(١) راجع (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالى جـ١ ص ١٥٤ وما بعدها بتصرف، ط.دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

على الأرض ركبتاه، وأن يضع بعدهما يديه، ثم يضع بعدهما وجهه، وأن يضع جبهته وأنفه على الأرض، وأن يجافى مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك، وأن يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك، وأن يكون فى سجوده مخويا على الأرض ولا تكون المرأة مخوية، والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين، وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما ويضم الإبهام إليهما، وإن لم يضم الإبهام فلا بأس، ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش الكلب فإنه منهى عنه، وأن يقول: سبحان ربى الأعلى ثلاثا فإذا زاد فحسن - إلا أن يكون إماما- ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا، فيرفع رأسه مكبرا، ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول: رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى، ولا يطول هذه الجلسة إلا فى سجود التسبيح، ويأتى بالسجدة الثانية كذلك، ويستوى منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة فى كل ركعة. لا تشهد عقيبها، ثم يقوم فيضع اليد على الأرض ولا يقدم إحدى رجليه فى حال الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام، بحيث تكون الهاء من قول: (الله) عند استوائه جالسا، و(كاف) أكبر عند اعتماده على اليد للقيام، و(راء) أكبر فى وسط ارتفاعه إلى القيام، ويبتدئ فى وسط ارتفاعه إلى القيام حتى يقع التكبير فى وسط انتقاله، ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم، ويصلى الركعة الثانية كالأولى، ويعيد التعوذ كالابتداء.

فضيلة إتمام الأركان:

- قال ﴿ﷺ وآله﴾ :(إن الرجلين من أمتى ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض).

- وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده) (رواه أحمد).

- وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وخشوعها، عرجت وهى بيضاء، مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتنى، ومن صلى لغير

وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها، عرجت وهى سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفَّت كما يُلف الثوبُ الخَلِقُ فيضرب وجهه) (رواه الطبرانى وأبو داود والبيهقى).

- وقال ﴿ﷺ وآله﴾ وآله: (أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته) (رواه أحمد والحاكم).

- وقال ابن مسعود ﷺ وسلمان ﷺ: الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى، ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين.

فضيلة السجود:

السجود هو الخضوع والاطمئنان مع الذل، قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (ما تقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود خفى) (رواه ابن المبارك فى الزهد). وقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة) (رواه ابن ماجة ومسلم). وروى أن رجلا قال لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك، وأن يرزقنى مرافقتك فى الجنة، فقال ﴿ﷺ وآله﴾: (أعنى بكثرة السجود) (رواه مسلم). وقيل: (أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا) (رواه مسلم) وهو معنى قوله عز وجل: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾(١) وقال عز وجل: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾(٢) فقيل: هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود، وقيل: هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح، وقيل: هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء.

وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول: يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلى النار) (رواه مسلم). ويروى عن على بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكانوا

---

(١) سورة العلق آية ١٩.

(٢) سورة الفتح آية ٢٩.

يسمونه السجاد، ويروى أن عمر بن عبد العزيز ﷺ كان لا يسجد إلا على التراب، وكان يوسف بن أسباط يقول: يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض، فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك، وقال سعيد بن جبير: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على السجود، وقال عقبة بن مسلم: ما من خصلة فى العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل، وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل حيث يخر ساجدا. وقال أبو هريرة ﷺ: أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد، فأكثروا الدعاء عند ذلك.

وقيل: قسمت الصلاة ثلاثة أثلاث: ثلث طهور، وثلث ركوع، وثلث سجود، فمن نقص أحدها، لم يقبل منه سائرها. ويقال: من لم تقبل صلاته ردت أعماله كلها عليه] أ.هـ.

من تمام الصلاة(١):

[ومن إقامة الصلاة وإتمامها الوضوء لها قبل دخول وقتها لئلا يشغله عن أول وقت غيرها، وينبغى أن يكون قلبه فى همه، وهمه مع ربه، وربه فى قلبه، فينظر إليه من كلامه، ويكلمه بخطابه، ويتملقه بمناجاته، ويعرفه من صفاته، فإن كل كلمة عن معنى اسم أو وصف أو خلق أو حكم أو إرادة أو فعل، لأن الكلم ينبئ عن معانى الأوصاف ويدل على الموصوف، وكل كلمة من الخطاب تتوجه عشر جهات للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات، أول الجهات الإيمان بها، والتسليم لها، والتوبة إليها، والصبر عليها، والرضا بها، والخوف منها، والرجاء لها، والشكر عليها، والمحبة لها، والتوكل فيها.. فهذه المقامات العشر تشمل مقامات اليقين، لأن الكلمة حق اليقين، وهذه المعانى كلها منطوية فى كل كلمة يشهدها أهل التملق والمناجاة، ويعرفها أهل العلم والحياة، لأن كلام المحبوب حياة القلوب لا ينذر به إلا حى ولا يحيا به إلا مستجيب، قال الله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ* لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَياًّ﴾(٢).

---

(١) راجع كتاب (قوت القلوب) لأبى طالب المكى، جـ٢ ص ٩٨ وما بعدها بتصرف.

(٢) سورة يس آية ٧٠،٦٩.

وقال سبحانه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾(١) ولا يشهد هذه العشر مشاهدات إلا من نقل فى العشر المقامات المذكورة فى سورة الأحزاب: أولها مقام المسلمين.... وآخرها مقام الذاكرين، وبعد مقام الذكر هذه المشاهدات العشر، فعندها لا يمل المناجاة لوجود المصافاة، ولا يثقل عليه القيام للذاذة والإفهام، ويسهل عليه الوقوف لدنو العطوف، ويتنعم بالعتاب بحلاوة الاقتراب، هنالك يندرج طول القيام فى التلاوة فلا يجده كاندراج القبلة فى الصلاة، فلا يشهدها فيكون من ورائه القبلة وهو أمامها.

فإن ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم فلا يكون فى قلبه أعظم من الله تعالى وحده، فإن رفع شهد الحمد للمحمود فوقف مع الشكر للودود فاستوجب منه المزيد، وسكن قلبه بالرضا لأنه حقيقة الحمد، وإن سجد سما قلبه فى العلو فقرب من الأعلى بقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(٢) وأهل المشاهدة فى السجود على ثلاثة مقامات:

١- منهم من إذا سجد كوشف بالجبروت الأعلى فيعلو إلى القريب ويدنو من القريب، وهذا مقام المقربين من المحبوبين.

٢- ومنهم من إذا سجد كوشف بملكوت العزة فيسجد على الثرى الأسفل عند وصف من أوصاف القادر الأجل فيكسر قلبه ويخبت تواضعا وذلا للعزيز، وهذا مقام الخائفين من العابدين.

٣- ومنهم من إذا سجد جال قلبه فى ملكوت السموات والأرض فآب بظرائف الفوائد، وشهد غرائب الزوائد، وهذا مقام الصادقين من الطالبين.

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٤.

(٢) سورة العلق آية ١٩.

٤- وهناك قسم رابع لا يذكر بشيء ليس له وصف فيستحق المدح، وهم الذين يجول همهم فى أعطية الملك وأنصبة المماليك، فهم محجوبون بالهمم الدنية عن الشهادة العلية، مأمورون بالهوى عن السياحة إلى الاعلام.

فإن دعا هذا المصلى نظر إلى المدعو فكان هو المرجو فأخذ فى التمجيد والثناء والحمد والآلاء ونسى حاجته من الدنيا، واشتغل عن نفسه بالمولى، وعن مسئلته بحسن الثناء، وإن استغفر هذا الداعى تفكر فى أوصاف التوبة وأحكام التائب، وتفكر ما سلف من الذنوب فعمل فى تصفية الاستغفار وإخلاص الإنابة والاعتذار، وجدد عقد الاستقامة فيكون له بهذا الاستغفار من الله عز وجل تحية وكرامة.

قال بعض العلماء: الصلاة خدمة الله عز وجل فى أرضه. وقال آخر: المصلون خدام الله عز وجل على بساطه. ويقال: إن المصلين من الملائكة يسمون فى السموات خدام الرحمن ويفخرون بذلك على سائر المرسلين من الملائكة. ويقال: إن المؤمن إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة، كل صف منهم عشرة آلاف، وباهى الله تعالى به مائة ألف ملك، وذلك أن العبد قد جمع أركان الصلاة العملية الأربعة من القيام والقعود والركوع والسجود، وفرق ذلك على أربعين ألف ملك، والقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة، والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة، وكذلك الراكعون والقاعدون، ثم قد جمع الله له أركان الصلاة القولية الستة من التلاوة، والحمد، والاستغفار، والتسبيح، والدعاء، والصلاة على النبى ﴿ﷺ وآله﴾، وفرق ذلك على ستين ألف ملك، لأن كل صف من الملائكة عبادته ذكر من الأذكار الستة، فإذا رأت الأملاك ما جمع فيه من الأركان العملية والقولية فى ركعتين عجبت منه، وباهاهم الله تعالى به لأنه قد فرق تلك الأعمال والأركان على مائة ألف ملك، وبذلك فضل المؤمن على الملائكة.

وكذلك فضل الموقن فى مقامات اليقين من أعمال القلوب على الأملاك بالتنقيل فى المقامات بأن جمعت فيه ورفع منها، والملائكة لا ينقلون، بل كل ملك موقوف فى مقام معلوم لا ينقل عنه إلى غيره، مثل الشكر والخوف والرجاء والشوق والأنين والخشية والمحبة، بل كل ملك له

مزيد وعلو من المقام الواحد على قدر قواه، وجمع ذلك كله فى قلب الموقن، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين فى صفات أوليائه المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[1] فمدحهم بالصلاة كما ذكرهم بالإيمان، ثم مدح صلاتهم بالخشوع كما افتتح بالصلاة أوصافهم ثم قال فى آخرها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[2] فختم بها نعوتهم، وقال فى نعت عباده المصلين الذين استثناهم من الجزوعين من المصائب والفقر، المانعين للمال والخير: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ {٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[3] ثم نسق النعوت وقال فى آخرها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[4] فلولا أنهما أحب الأعمال إليه ما جعلها مفتاح صفات أحبائه وختامها، ولما وصفهم بالدوام والمحافظة عليها، ومدحهم بالخشوع فيها، والخشوع هو انكسار القلب وإخباته وتواضعه وذلته، ثم لين الجانب وكف الجوارح، وحسن سمت وإقبال، والمداومة والمواظبة عليها، وسكون القلب والجوارح فيها، والمحافظة هى حضور القلب وإصغاؤه، وصفاء الفهم وإفراده من مراعاة الأوقات وإكمال طهارة الأدوات ثم قال تعالى فى عاقبة المصلين: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[5] فجعل أول عطائهم الفلاح وهو الظفر والبقاء، وآخره الفردوس وهو خير المستقر والمأوى، وقال فى أضدادهم من أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[6] وقال موبخاً لآخر منهم: ﴿فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى﴾[7] ونهى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ عن طاعة من نهاه عن الصلاة ثم أمره بها، وأخبره أن فيها القرب والزلفى فى قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهَى* عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾[8] ثم قال: ﴿كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ

---

(١) سورة المؤمنون آية ١-٣.

(٢) سورة المؤمنون آية ٩.

(٣) سورة المعارج آية ٢٣.

(٤) سورة المعارج آية ٣٤.

(٥) سورة المؤمنون آية ١٠،١١.

(٦) سورة المدثر آية ٤٢،٤٣.

(٧) سورة القيامة آية ٣١.

(٨) سورة العلق آية٩،١٠.

وَاقْتَرِبْ﴾[1] فالمصلون بقية من خلقه، وورثة جنته من عباده، وأهل النجاة من دار غضبه وإبعاده، جعلنا الله منهم بعطفه ورحمته] أهـ.

من أسرار الفرقة الناجية في إقامة الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ الصلاة لغة: الدعاء، واصطلاحاً: هي أقوال باللسان وأعمال بالجوارح، والله سبحانه وتعالى أمرنا بإقامة الصلاة وأثنى سبحانه وتعالى على الذين يقيمون الصلاة، وشنع على الساهين عنها بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[2] والصلاة عماد الدين، وشكر بجميع الجوارح لرب العالمين ومناجاته تعالى بكلامه العزيز، بها يتجمل العبد بأجمل حلله التي بها يجمله ربه ويحبه ويقبل عليه.. وإقامة الصلاة هي خشوع القلب فيها خشوعاً تخشع به الجوارح لمواجهة القلب لمقلبه في الصلاة. وفي الحديث القدسي بسند الإمام أبي طالب المكي، قال الله تعالى في الكتب السالفة: (ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتي و لم يتكبر عليَّ، وأطعم الفقير الجائع لوجهي) (أخرجه البخاري ومسلم وابن أبي شيبة). وقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه) (أخرجه البخاري ومسلم) وقد جمع الله لنا في الصلاة عبادة جميع الأنواع من عمار سماواته إلى رتبة الجماد، فقيامنا فيها كقيام الحافين حول العرش، المسبحين المهللين المكبرين، وركوعنا تنزل إلى مرتبة الحيوانات إظهاراً لكمال الذل لله تعالى في حال القيام له بما فرض علينا. والسجود تنزل إلى رتبة النباتات لنلصق وجوهنا بالتراب ذكرى لنشأتنا الأولى التي هي من التراب، وشهوداً لما جملنا الله به من الحياة والحس والحركة والعقل والروح، فنذكر ونشكر. والجلوس للتشهد كالجبال تنزل إلى رتبة الجماد لنشهد ما يتفضل الله به علينا بتسخير جميع مخلوقاته لنا. وحركة الرأس إلى اليمين والشمال تمثل حركة الكواكب السيارة الدائرة حول محورها خشوعاً لعظمة العظيم الأكبر جل جلاله. وهو الشكر الذى يطيقه العبد المؤمن، فتارك الصلاة في منزلة أهل الجحود لأنه ترك الشكر لله على مالا يحصى من النعم.

---

(١) سورة العلق آية ١٩.

(٢) سورة الماعون آية ٤،٥.

ومن إقامة الصلاة رعاية أن المصلى واقف بين يدى الله يراه عاملاً بمحابه ومراضيه، وهو قد تبلغ به الجذبة التى يتمثل بها أنه يرى ربه كما قال ﴿ﷺ وآله﴾: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (أخرجه البخارى). وهذه هى الإقامة وفيها مشهد أعلى من هذا وهو أن يشهد المصلى أنه عبد أقامه القيوم الموفق فى مقام مواجهته على بساط الأنس، يتملق أمام ربه متذللاً خاشعاً آنساً بما يجلى له من سطوع أنوار معانى ما يتلوه، وظهور أسرار حكمة ما يعمل. فيكون فى موقفه عبداً بين يدى الله يعمل عملاً يحبه الله، وهو المراد بقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) (أخرجه النسائى وأحمد والبيهقى والحاكم والسيوطى). أما ما يتعلق بالصلاة ومن وسائلها وأركانها وآدابها، فقد فصلته فى كتاب (أصول الوصول) فليراجعه من أراد القيام بتحصيل الواجب عليه.

معانى الصلاة عند أهل الفرقة الناجية رضي الله عنهم:

الصلاة: معناها الاشتقاقى ذكر الله تعالى والانقياد. ولكن فى عرف الشرعيين هى تلك الخمس فرائض التى أمر الله تعالى أن تؤدى فى خمسة أوقات مختلفة، والتى تحتوى على شروط تتضمن بعض شروط ابتدائية وهى: أولا: الطهارة ظاهراً من النجاسة، وباطنا من الشهوة. ثانيا: نظافة الثياب ظاهرا، وتطهير السريرة من الفكر فى أمر محرم. ثالثا: المكان الذى يتطهر فيه يلزم أن يكون طاهراً خالياً من النجاسات، وباطناً من المعاصى والخطايا. رابعاً: استقبال القبلة الظاهرة وهى الكعبة والباطنة وهى عرش الرحمن. والمعنى بها شهود الأسرار الإلهية. خامساً: الوقوف ظاهراً فى بحار القدرة وباطناً فى جنة القرب. سادساً: إخلاص النية للقرب من الله. سابعاً: قول الله أكبر فى مقام الرهبة والفناء والوقوف فى مقام الجمع، وقراءة القرآن ترتيلاً واعتباراً، وطأطأة الرأس بالخضوع، والسجود بإذلال، وأداء شهادة الإيمان مع حضور القلب، والتسليم مع فناء صفات المصلى.

يروى فى الحديث الشريف أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى حال صلاته يسمع صوتاً فى باطنه كغليان القدر، وكان علىّ كرم الله وجهه إذا وقف للصلاة وقف شعر رأسه وارتعد وقال: قد وجبت الساعة لأداء أمانة لم تتحملها السماوات والأرض.

الصلاة عند مشايخ الصوفية:

الصلاة هى مادة جمعت كل معالم الطريق التى يحتاج إليها الطالبون إلى الله تعالى من البداية إلى النهاية، والتى تنكشف لهم المقامات، فالطهارة للسالكين محل التوبة، واتباع مرشد عامل يحل محل استقبال القبلة، والوقوف فى الصلاة يحل محل مجاهدة النفس، وقراءة القرآن تحل محل الذكر. والركوع يحل محل الخضوع، والسجود يحل محل معرفة النفس، والشهادة تحل محل الأنس، والسلام يحل محل التجرد عن الدنيا والفرار من ربقة المقامات. ولذلك فإنه﴿ ﷺ وآله﴾ لما تخلى عن جميع المشارب مع كمال حيرته كان يقول دائماً: (روحنا بالصلاة يا بلال).

وقد وضح هذه المسألة كل مشايخ الصوفية، والكل متمسك بمقامه فى هذا الموضوع، فبعضهم يقول: إن الصلاة هى عبارة عن نيل الحضور مع الله تعالى. والآخرون يعتبرونها وسيلة لنيل الغيبة. فبعض الذين كانوا فى غيبة يصيرون فى حضور بالصلاة، بينما الذين كانوا حاضرين يصيرون غائبين، فكذلك فى الدار الآخرة التى بها يرون الله سبحانه وتعالى. فمن كان غائباً عند رؤيته جل وعلا يصير حاضراً والعكس بالعكس.

الصلاة عندى:

وإنى أقول: إن الصلاة هى أمر إلهى وليست وسيلة لنيل الغيبة أو الحضور، لأن الأمر الإلهى ليس وسيلة لأى شيء، حيث إن سبب الحضور هو الحضور عينه، وسبب الغيبة هى الغيبة عينها. إذ لو كانت الصلاة سبباً أو وسيلة للحضور لما أداها إلا من كان حاضراً. وإذا كانت سبباً للغيبة، فمن كان غائباً لزم أن يكون حاضراً بإهمال أدائها. ولكن حيث إن أدائها فرض على الكل حاضرين أو غائبين، فالصلاة هى مستقلة فى ذاتها، وحيدة فى بابها.

الصلاة أصل مجاهدة النفس، والذين بلغوا مقام الاستقامة يجهدون أنفسهم دائماً فى أعمال الصلاة، حتى أن المشايخ كانوا يأمرون مريديهم بصلاة أربعمائة ركعة فى الليل والنهار حتى تعتاد أجسامهم على العبادة. وأهل الاستقامة أيضاً يصلون كثيراً شكراً لله تعالى على ما أولاهم من جزيل النعم، أما أرباب الأحوال فصلاتهم مع كمال الوجد تشير إلى مقام الجمع لأنهم فى حال صلاتهم يصيرون متحدين، أو إذا تخلوا عن وجدهم فصلاتهم تشير إلى مقام

الفرق فيكونون بها أهل فرق، فأولئك الذين يتحدون مع صلاتهم يقومون نهارهم وليلهم ويزيدون عليها نوافلاً كثيرة، وأما أهل الفرق فإنهم لا يزيدون على الصلاة المفروضة قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (جعلت قرة عيني الصلاة) لأن الصلاة مصدر الفرح للمستقيم.

لما أسرى برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ليلة المعراج وتخلصت نفسه من قيود العناصر، وتخلصت روحه من أدران المقامات والدرجات، وفنيت قواه الطبيعية قال عن غير إرادته لكن بإلهام الوجد: (اللهم لا ترجعني إلى دار البلاء ولا تضعني تحت قيود الطبع والهوى) فأجابه تعالى: (إنه قد سبق فى علمى أن ترجع إلى الدنيا لكى تؤيد الشرع الشريف حتى أعطيك هناك ما منحتك هنا) فلما رجع إلى هذه الدار كان دائماً يقول لتشوقه إلى هذا المقام العلى: (روحنا بالصلاة يا بلال) هذا فإن كل فريضة من الفرائض له ﴿ﷺ وآله﴾ قرب ومعراج.

الراكعون الساجدون من أهل الفرقة الناجية ﷺ:

من علامة إخلاص المرء أن يكون له ملك يحثه على الصلاة فى وقتها، ويوقظه إذا كان نائماً، هذه العلامة ظهرت فى سهل نفسه لأنه عند كبر سنه ووهن قوته كان يستجمع قواه عند وجوب أى صلاة، وبعد أدائها يصير عاجزاً عن الحركة من مكانه. ويلزم المصلى أربعة أشياء: فناء نفسه، وفقد قوته، وصفاء سريرته، وكمال مشاهدته، ففناء النفس إنما ينال باستجماع الفكر، وفقد القوة بإثبات جلال الله الذى يتضمن فناء كل ما سوى الله، وصفاء السريرة بالمحبة، وكمال المشاهدة بصفاء السريرة. يروى عن الحسين بن منصور الحلاج أنه فرض على نفسه صلاة أربعمائة ركعة فى النهار والليل، فلما سئل لماذا يتعب نفسه وهو فى درجة عالية من الكمال؟ فقال: إن الألم والراحة ينسبان لكم، أما من فنيت صفاتهم فلا يشعرون بتأثير راحة ولا ألم. احذروا أن تسموا عجزكم كمالاً، ورغبتكم فى الدنيا طلبا لله.

وروى عن بعضهم أنه صلى مرة وراء ذى النون المصرى فلما نطق بالتكبير وقال: الله أكبر، خر كأنه جسم بال. وكان الجنيد بعد أن كبر سنه لم يقطع نفلاً من أوراد صباه، فلما حرض على ترك بعض نوافله التى لم يقدر عليها لضعفه قال: إنه لا يمكنه أن يترك فى نهايته تلك الأعمال التى كانت سبباً فى نيل سعادته الروحانية.

ومعروف أن الملائكة مشغولون دائماً بعبادة الله تعالى لأنهم روحانيون وليست لهم أنفس بشرية، فالنفس البشرية تمنع الإنسان عن الطاعة، وكلما ذللت تلك النفس كلما سهل على أهل الفرقة الناجية تأدية تلك الفرائض، فإذا تم فناؤها كانت العبادة طعام وشراب الإنسان كما هى طعام وشراب الملائكة. قال عبد الله بن المبارك أتذكر فى طفوليتى أنى رأيت امرأة عابدة لدغت بعقرب فى أربعين محلاً وهى فى صلاتها و لم يتغير حالها، فلما أتمت صلاتها قلت لها: يا أماه لماذا لم تدفعى العقرب عنك؟ فأجابتنى: يأيها الصبى الجاهل هل تعتقد أنه من الصواب أن أشتغل بنفسى فى حال اشتغالى بعبادة الله.

حدث لأبى الخير بن أقطع غرغرينة فى قدمه، فقررت الأطباء قطعها، لكنه لم يسمح بذلك، فقال لهم تلامذته: اقطعوها وهو فى الصلاة لأنه فى ذلك الوقت لا يحس بشىء، فعمل الأطباء بمشورتهم، فلما أتم أبو الخير صلاته وجد رجله مبتورة.

وقد كثر الحث على المحافظة على الصلاة وطريقة المصلين من الموقنين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾(١) فاختار لنفسه أصحابه صلوات الله عليه، ثم اختار لأصحابه الصلاة فجعلها وصفهم فى الإنجيل والتوراة، فهذا يدل أن الصلاة أفضل الأعمال لأن أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أفضل العمال.

قال سعيد بن المسيب منذ أربعين سنة ما فاتتنى تكبيرة الإحرام فى جماعة، وكان يسمى حمامة المسجد. وقال عبد الرزاق: من عشرين سنة ما سمعت الأذان إلا فى المسجد.

قال بعض العلماء: إن العبد يسجد السجدة عنده أنه يتقرب بها إلى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا، قيل: وكيف يكون ذلك يا أبا محمد؟ قال: يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ إلى هوى، ومشاهد لباطل قد استولى عليه- وهذا كما قال- لأن فيه انتهاك حرمة القرب، وسقوط هيبة الرب تعالى.

---

(١) سورة الفتح آية ٢٩.

وروى الإمام مالك (أن أبا طلحة صلى فى حائط وفيه شجر فأعجبه دبسى(1) طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة، ثم لم يدر كم صلى، فذكر لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ما أصابه من الفتنة، ثم قال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت). وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته و لم يدر كم صلى، فذكر ذلك لعثمان ﷺ وقال: هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل، فباعه عثمان بخمسين ألفا. فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر، وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة، وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغنى غيره.

وكان الصديق ﷺ فى صلاته كأنه وتد، وابن الزبير ﷺ كأنه عود، وبعضهم كان يسكن فى ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد، وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدى من يعظم من أبناء الدنيا، فكيف لا يتقاضاه بين يدى ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك، وكل من يطمئن بين يدى غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدى الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل، وعن اطلاعه على سره وضميره.

وبعض أهل الفرقة الناجية يؤدون الفرائض علناً ويخفون نوافل البر حتى يخلصوا من الرياء، لأنهم يقولون: إن كل من أراد أن يشهد الغير أعمال بره فهو منافق، فإذا قيل لو أن الغير ينظرون إلى عبادته فإنه غير ملتفت إليهم، فهذا أيضاً هو عين النفاق. والبعض يظهرون كل أعمالهم الفرضية والنفلية بدعوى أن الرياء لا حقيقة له، وأن التقوى حقيقية، وحيث ذلك فإنه من الخطأ أن يخفى الإنسان الحقيقة لأجل الباطل- لا تدع أى فكر برياء يدخل قلبك واعبد ربك أينما كنت وحيثما أردت، والأئمة رضوان الله عليهم لاحظوا روح العبادة وأوقفوا مريديهم على عملها- قال أحدهم: لقد سافرت أربعين سنة و لم أترك فى طول هذه المدة الصلاة وراء الجماعة، وكنت كل جمعة أصليها فى بلد، ونتيجة العبادة راجعة إلى مقامات المحبة، وقد بينت لك أصولها فيما سبق من الكتب.

---

(1) الدبس: نوع من الحمام.

الفصل السادس

أهل الفرقة الناجية هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

أهل الفرقة الناجية هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وهذه الصـــفة ومـــا بعدها من الصفات المتعلقة بجماعة المؤمنين فيما يجب على بعضهم لبعض، وكل ما قبلها مـــن صفات الأفراد.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند أهل الفرقة الناجية:

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين، وهو المهـــم الـــذى ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضـــمحلت الديانة، وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتســـع الخـــرق وخربت البلاد، وهلك العباد، و لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الـــذى خفنـــا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكليـــة حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق، وانمحت عنها مراقبة الخالق، واسترســـل الناس فى اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صـــادق لا تأخذه فى الله لومة لائم، فمن سعى فى تلافى هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلا بعملها، أو متقلدا لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها، ومتشمرا فى إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها، ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القـــرب دون ذروتها.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

الخير: هو كتاب الله، وسنة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾، وبيانها للناس قولا وعملا. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إما أن يكونا لتفصيل هذا المجمل لأن الدعوة إلى الخير عامة. وجائز أن يكون الأمر بالمعروف هو: الأمر بفروع الشريعة، وبمحاب الله ومراضيه، ويكون النهى عن المنكر، النهى عن كل قول وعمل وحال أنكرته الشريعة. وجائز أن تكون الدعوة إلى الخير دعوة إلى التوحيد الخالص، ويكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بيان للقرآن والسنة بما أحله الله تعالى وما حرمه منهما. وجائز أن يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بدلا من الدعوة إلى الخير. ولا يتجمل المسلم بهذا الجمال إلا إذا منحه الله تعالى نورا تستبين به له الحقائق، وحبا فى قلبه يجذبه بكليته إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وإلا فالعلم يهتف بالعمل، وإلا ارتحل. ومن زعم أنه عالم و لم يعمل فقد أكبر الفرية على الله، وظلم نفسه، لأن العلم هو تصور النفس رسوم المعلوم، ومتى تصورت النفس رسوم المعلوم سارعت الجوارح إلى القيام بما يطلبه العلم المتصور على جوهر النفس.

وهنا، هل (من) فى (منكم) للتبعيض أو لا؟ هنا خلاف، فمن قائل: إن كل مسلم واجب عليه أن يدعو إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ومن قائل: إن هذا الحكم فرض كفاية على أهله، فلا يجوز للمسلم أن يدعو للخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا إذا بلغ به العلم عين اليقين، وأشهده الله مقادير النفوس، حينئذ يدعو، ويأمر وينهى بأسلوب الحكيم.

وعندى: أن كل مسلم يجب عليه أن يدعو إلى الخير، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر بقدر ما يعلم، فلا يبين الحقائق التى لم يقو الناس على استبانتها، بل يسترها عنهم حتى تحصل لهم العناية من الله تعالى، فيمنحهم الله النور الذى تستبين لهم به الحقائق. أما ترك الدعوة إلى الخير، وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، اعتمادا على أن هذا فرض كفاية على أهل

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.

العلم، فذلك تعطيل لسبل الله تعالى. فإن الصحابة رضوان الله عنهم، كان الرجل منهم يجلس مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ النفس أو أكثر فيقوم يدعو غيره إلى الخير بقدر ما علم، أما الذين يكشفون أسرار الغيب لمن لم يؤهلوا فإنهم يلجئون الناس أن يكذبوا الحق. قال ﴿ﷺ وآله﴾: (أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

والحقيقة التى لا مراء فيها أن الله تعالى منح كل مسلم أقبل عليه بقلبه لسان حكمة، ونورا تستبين له به سبل الله، وحالا علية يمكنه أن ينوع بها أفكار العالم. فإن المراد من الدعوة هو تنويع الأفكار، وما من مخلص تجمل بالصدق مع الله تعالى، إلا ألقى الله عليه محبة منه، حتى لو أخطأ فى البيان يلهم الله السامعين الصواب فى العمل والفهم. إلا من جعل الدعوة إلى الخير لطلب الدنيا، فإنه يفسد من اعتقد فيه، ويضل من اهتدى به. وما ظهرت التفرقة فى أمة سيدنا ومولانا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ والاختلافات التى أودت بهم إلا من دعاة الجهالة، الذين يطلبون الدنيا بعمل الدين، أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من تلك الفتنة العمياء الصماء، إنه مجيب الدعاء.

﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الإشارة عائدة إلى من فرض الله تعالى عليهم الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ﴿المفلحون﴾ الظافرون بكل مقاصدهم. ومن المقاصد: طلب الثواب، وطلب الجنة، وطلب الرضوان الأكبر، وطلب الله فراراً من جميع من سواه إليه جل جلاله. فمن أعانه الله على ما كلفه به، وطلب الجنة نالها، أو مقعد صدق فاز به، أو الرضوان الأكبر مُنحه، أو طلب الله أكرمه الله بأن يقربه ويرفعه لديه.

وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(1):

أولا الآيات:

[قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ* يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي

(1) راجع (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالى جـ2 ص 303 وما بعدها بتصرف.

الخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1] فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾[2] فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية، وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[3] هذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[4] فقرن ذلك بالصلاة والزكاة فى نعت الصالحين والمؤمنين.

ثانيا الأخبار:

روى عن أبى بكر الصديق ﷺ أنه قال فى خطبة خطبها: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتؤولونها على خلاف تأويلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[5] وإنى سمعت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول: (ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده). وروى عن أبى ثعلبة الخشنى أنه سأل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال: (يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر، فإذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بنفسك ودع عنك العوام، إن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى أنتم عليه أجر خمسين منكم،

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٣،١١٤.

(٢) سورة التوبة آية ٧١.

(٣) سورة المائدة الآية ٧٨،٧٩.

(٤) سورة الحج الآية ٤٢.

(٥) سورة المائدة آية ١٠٥.

قيل: بل منهم يا رسول الله، قال: لا، بل منكم، لأنكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون عليه أعوانا) (رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة).

وسئل ابن مسعود ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال: إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتى زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هديتم. وقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم) (رواه البزار والطبرانى فى الأوسط والترمذى). ومعناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم.

وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (إياكم والجلوس على الطرقات، قالوا: ما لنا بد إنما هى مجالسنا نتحدث فيها، قال: فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقها، قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر) (أخرجه البخارى ومسلم).

وقال ابن مسعود ﷺ قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (ما بعث الله عز وجل نبيا إلا وله حوارى، فيمكث النبى بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنة نبيهم، فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون، فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام) (أخرجه مسلم).

ثالثا الآثار:

قال أبو الدرداء ﷺ: لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم، وتستنصرون فلا تنصرون، وتستغفرون فلا يغفر لكم. وسئل حذيفة ﷺ عن ميت الأحياء، قال: الذى لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه.

وقال حذيفة: يأتى على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم.

وقال على بن أبى طالب عليه السلام: أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فإذا لم يعرف القلب المعروف و لم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله.

ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب، وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به.

أركان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

اعلم أن الأركان فى الحسبة- التى هى عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر- أربعة هى: المحتسب، والمحتسب فيه، والمحتسب عليه، ونفس الاحتساب، وهذه الأربعة لكل واحد منها شروط.

الركن الأول المحتسب:

المحتسب له شروط هى:

١- التكليف، فلا يلزم المجنون أو الصبى.

٢- الإيمان، فلا يلزم الكافر.

٣- العدالة، فلا يجوز للفاسق أن يحتسب.

٤- أن يكون مأذونا من جهة الإمام والوالى، وهذا الاشتراط فاسد لأن الآيات والأحاديث التى أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عنه عصى، قال صلى الله عليه وآله: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (رواه مسلم).

٥- أن يكون قادرا، فلا تجب على العاجز والرقيق، ولكن عليه حسبة بقلبه.

الركن الثانى ما فيه الحسبة:

وله أربعة شروط هى:

١- كونه منكرا، ونعنى به أن يكون محذور الوقوع فى الشرع.

٢- أن يكون موجودا فى الحال.

٣- أن يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس.

٤- أن يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد.

الركن الثالث المحتسب عليه:

وشروطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا، وأقل ما يكفى فى ذلك أن يكون إنسانا ولا يشترط كونه مكلفا، إذ أن الصبى لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وإن كان قبل البلوغ. ولا يشترط كونه مميزا، إذ أن المجنون لو كان يزنى بمجنونة لوجب منعه منه.. وكذلك البهيمة التى تفسد زرعا لإنسان تمنع ليس بقصد إخراجها لوقوع معصية، بل لحفظ مال المسلم.

الركن الرابع نفس الاحتساب:

للاحتساب آداب ودرجات:

* أما الدرجات: فأولها التعرف، ثم التعريف، ثم النهى، ثم الوعظ والنصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه، ثم شهر السلاح، ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود.

والانتقال من درجة إلى درجة بشرط الضرورة، والاقتصار على قدر الحاجة فى الدفع، فإذا اندفع فينبغى أن يكف.

* وأما آداب الاحتساب: فجميعها مصدرها ثلاث صفات فى المحتسب هى: العلم، والورع، وحسن الخلق، فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات، وبها تندفع المنكرات، وإن فقدت لم يندفع المنكر بل ربما كانت الحسبة أيضا منكرة لمجاوزة حد الشرع

فيها، ودل على هذه الآداب قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه).

وآداب الاحتساب هى:

١- توطين النفس على الصبر.

٢- تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه، وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة.

٣- وجوب الرفق.

٤- ألا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك.

٥- أن يقتصر فى التغيير على القدر المحتاج إليه، وهو ألا يأخذ بلحيته فى الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده، فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه.

٦- ألا يقدم على السب والتعنيف إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف، وألا ينطق إلا بالصدق، ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه بما لا يحتاج إليه، بل يقتصر على قدر الحاجة، ولا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله: لأهبن دارك، أو لأضربن ولدك، أو لأسبين زوجتك وما يجرى مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام، وإن قاله من غير عزم فهو كذب.

أهل الفرقة الناجية ينصحون الحكام:

أنزل الله تعالى أمة حبيبه ومصطفاه - ﴿ﷺ وآله﴾- منزلة الأنبياء فى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١) تشريفا لحبيبه ومصطفاه ﴿ﷺ وآله﴾، لذلك فأهل الفرقة الناجية كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أمام الحكام والسلاطين والأمراء ولا يخافون فى الله لومة لائم، وإليك أمثلة منهم ﷺ:

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.

عطاء بن أبي رباح:

عن الأصمعي قال: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله تعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم.

فقال له: أجل أفعل، ثم نهض وقام، فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك: وهذا وأبيك الشرف.

الحسن البصري:

يروى عن ابن عائشة أن الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة، فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري - رحمه الله - آخر من دخل، فقال الحجاج: مرحبا بأبي سعيد إليَّ إليَّ، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه، فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فنال منه ونلنا منه، مقاربة له وفرقا من شره، والحسن ساكت عاض على إبهامه فقال: يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتا قال: ما عسيت أن أقول، قال: أخبرني برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١) فعليٌّ ممن هدى الله من أهل الإيمان، فأقول: ابن عم النبي ﴿ﷺ وآله﴾ وختنه على ابنته، وأحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه، ولا يحول بينه

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.

وبينها، وأقول: إن كانت لعلى هناة فالله حسبه، والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا، فبسر وجه الحجاج وتغير، وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه وخرجنا. قال عامر الشعبى: فأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره، فقال: إليك عنى يا عامر، يقول الناس: عامر الشعبى عالم أهل الكوفة، أتيت شيطانا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه فى رأيه، ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت أو سكت فسلمت، قال عامر: يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها، قال الحسن: فذاك أعظم فى الحجة عليك وأشد فى التبعة.

قال: وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال: أنت الذى تقول: قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم، قال: نعم، قال: ما حملك على هذا؟ قال: ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾(١) قال: يا حسن أمسك عليك لسانك، وإياك أن يبلغنى عنك ما أكره، فأفرق بين رأسك وجسدك.

الأوزاعى:

عن الأوزاعى عبد الرحمن بن عمرو قال: بعث إلىَّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد على واستجلسنى ثم قال لى: ما الذى أبطأ بك عنا يا أوزاعى؟ قال: قلت: وما الذى تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم، قال: قلت: فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئا مما أقول لك، قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه، وفيه وجهت إليك وأقدمتك له، قال: قلت: أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به، قال: فصاح بى الربيع -الوزير- وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور، وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة، فطابت نفسى وانبسطت فى الكلام، فقلت:

يا أمير المؤمنين: حدثنى مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها بشكر

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧.

وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما، ويزداد الله بها سخطا عليه) (أخرجه ابن أبى الدنيا).

يا أمير المؤمنين: حدثنى مكحول عن عطية بن ياسر قال: قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (أيما والٍ مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة) (أخرجه ابن أبى الدنيا، وابن عدى فى الكامل).

يا أمير المؤمنين: من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين، إن الذى لين قلوب أمتكم لكم حين ولاكم أمورهم لقرابتكم من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وقد كان بهم رءوفا رحيما مواسيا لهم بنفسه فى ذات يده، محمودا عند الله وعند الناس، فحقيق بك أن تكون له فيهم بالحق، وأن تكون بالقسط له فيهم قائما، ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الأبواب، ولا تقيم دونهم الحجاب، تبتهج بالنعمة عندهم، وتبتئس بما أصابهم من سوء.

يا أمير المؤمنين: قد كنت فى شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحمرهم وأسودهم، مسلمهم وكافرهم، وكل له عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه.

يا أمير المؤمنين: حدثنى مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة: (أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ دعا إلى القصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا لم يتعمده، فدعا النبى ﴿ﷺ وآله﴾ الأعرابى فقال: اقتص منى، فقال الأعرابى: قد أحللتك بأبى أنت وأمى، وما كنت لأفعل ذلك أبدا ولو أتيت على نفسى، فدعا له بخير) (أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم).

يا أمير المؤمنين: رضّ نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك، وارغب فى جنة عرضها السموات والأرض، التى يقول فيها رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (لقاب قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها) (أخرجه ابن أبى الدنيا والبخارى).

يا أمير المؤمنين: إن الملك لو بقى لمن قبلك لم يصل إليك، وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك.

يا أمير المؤمنين: أتدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك: ﴿مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾[1] قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك، فكيف بما عملته الأيدى وحصدته الألسن؟!!.

يا أمير المؤمنين: بلغنى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لو ماتت سخلة[2] على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت أن أسأل عنها، فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك.

يا أمير المؤمنين: أتدرى ما جاء فى تأويل هذه الآية عن جدك: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2] قال الله تعالى فى الزبور: يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك فى أحدهما هوى فلا تتمنين فى نفسك أن يكون الحق له، فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوتى، ثم لا تكون خليفتى ولا كرامة، يا داود إنما جعلت رسلى إلى عبادى رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة، ليجبروا الكسير، ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء.

يا أمير المؤمنين: إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه.

يا أمير المؤمنين: حدثنى يزيد بن جابر بن عبد الرحمن بن عمرة الأنصارى أن عمر بن الخطاب ﷺ استعمل رجلا من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيما، فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهدين فى سبيل الله، قال: لا، قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغنى أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قال: (ما من والٍ يلى شيئا من أمور

---

(١) سورة الكهف آية ٤٩.

(٢) السخلة : الذكر والأنثى من ولد الضأن والمعز ساعة يولد.

(٢) سورة ص آية ٢٦.

الناس إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله، فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسنا نجا بإحسانه، وإن كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا) (أخرجه ابن أبى الدنيا، والطبرانى). فقال له عمر ﷺ: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبى ذر وسلمان، فأرسل إليهما عمر فسألهما فقالا: نعم سمعناه من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فقال عمر: وا عمراه من يتولاها بما فيها، فقال أبو ذر ﷺ: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض، قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكانى.

يا أمير المؤمنين: قد سأل جدك العباس النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ إمارة مكة أو الطائف أو اليمن، فقال له النبى ﴿ ﷺ وآله﴾: (يا عباس يا عم النبى نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها) (أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى). نصيحة منه لعمه وشفقة عليه، وأخبره أنه لا يغنى عنه من الله شيئا إذ أوحى الله إليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1] فقال: (يا عباس ويا صفية عمىّ النبى، ويا فاطمة بنت محمد إنى لست أغنى عنكم من الله شيئا) (أخرجه البخارى). وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد، لا يطلع منه على عورة، ولا يخاف منه على حرة، ولا تأخذه فى الله لومة لائم. وقال: الأمراء أربعة: فأمير قوى ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد فى سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذى قال فيه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده) (أخرجه مسلم). وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا.

وقد بلغنى يا أمير المؤمنين: أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: اللهم إن كنت تعلم أنى أبالى إذا قعد الخصمان بين يدى على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلنى طرفة عين.

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤.

يا أمير المؤمنين: إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه، فهذه نصيحتى إليك.. والسلام عليك.

ثم نهضت فقال لى: إلى أين؟ فقلت: إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء، فقال: قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها، والله الموفق للخير والمعين عليه، وبه أستعين وعليه أتوكل، وهو حسبى ونعم الوكيل، فلا تخلنى من مطالعتك إياى بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم فى النصيحة. قلت: أفعل إن شاء الله.

قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله، وقال: أنا فى غنى عنه، وما كنت لأبيع نصيحتى بعرض من الدنيا، وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه فى ذلك.

سفيان الثورى:

عن أبى عمران الجونى قال: لما ولى هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة، ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد، وكان يظهر النسك والتقشف، وكان مؤاخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثورى قديما، فهجره سفيان و لم يزره، فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه، فلم يزره و لم يعبأ بموضعه، ولا بما صار إليه، فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتابا يقول فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد: يا أخى قد علمت أن الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله، واعلم أنى قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبلك، و لم أقطع منها ودك، وإنى منطو لك على أفضل المحبة والإرادة، ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة، واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقى من إخوانى وإخوانك أحد إلا وقد زارنى وهنانى بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسى وقرت به عينى، وإنى استبطأتك فلم تأتنى، وقد كتبت إليك كتابا شوقا منى إليك شديدا، وقد علمت

يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل المؤمن وزيارته ومواصلته، فإذا ورد عليك كتابى فالعجل العجل).

ثم أرسله مع عباد الطالقانى، فوصل إلى سفيان الثورى فوجده يصلى، ولما انتهى من صلاته، قرأه عليه أحد الحاضرين، فتبسم سفيان، ثم قال:

اقلبوه واكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه، فقيل له: يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه فى قرطاس نقى، فقال: اكتبوا إلى الظالم فى ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به، ولا يبقى شىء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا، فقيل له: ما نكتب؟ فقال: اكتبوا (بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثورى إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذى سلب حلاوة الإيمان، أما بعد: فإنى قد كتبت إليك أعرفك أنى صرمت حبلك، وقطعت ودك، وقليت موضعك، فإنك قد جعلتنى شاهدا عليك بإقرار على نفسك فى كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه، وأنفذته فى غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك، أما إنى شهدت عليك أنا وإخوانى الذين شهدوا قراءة كتابك، وسنؤدى الشهادة عليك غدا بين يدى الله تعالى.

يا هارون: هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم، هل رضيت بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها فى أرض الله تعالى، والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل، أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم، والأرامل والأيتام، أم هل رضى بذلك خلق من رعيتك؟. فشد يا هارون مئزرك وأعد للمسئلة جوابا، وللبلاء جلبابا ، واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فقد رزئت فى نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد، ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما.

يا هارون: قعدت على السرير، ولبست الحرير، وأسبلت سترا دون بابك، وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون، يشربون الخمور ويضربون من يشربها، ويزنون ويحدون الزانى، ويسرقون ويقطعون السارق، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس.

فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادى من قبل الله تعالى: احشروا الذين ظلموا وأزواجهم، أين الظلمة وأعوان الظلمة؟ فقدمت بين يدى الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار، كأنى بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك، وسيئات غيرك فى ميزانك زيادة على سيئاتك، بلاء على بلاء، وظلمة فوق ظلمة، فاحتفظ بوصيتى، واتعظ بموعظتى التى وعظتك بها، واعلم أنى قد نصحتك وما أبقيت لك فى النصح غاية.

فاتق الله يا هارون فى رعيتك، واحفظ محمدا ﴿ﷺ وآله﴾ فى أمته، وأحسن الخلافة عليهم، واعلم أن هذا الأمر لو بقى لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزود زادا نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإنى أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته، فإياك إياك أن تكتب لى كتابا بعد هذا فلا أجيبك عنه.. والسلام).

قال عباد: فألقى إلىَّ الكتاب منشورا غير مطوى ولا مختوم، فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة، وقد وقعت الموعظة من قلبى فناديت: يا أهل الكوفة، فأجابونى، فقلت لهم: يا قوم من يشترى رجلا هرب من الله إلى الله، فأقبلوا إلىَّ بالدنانير والدراهم، فقلت: لا حاجة لى فى المال، ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية، قال: فأتيت بذلك ونزعت ما كان على من اللباس الذى كنت ألبسه مع أمير المؤمنين، وأقبلت أقود البرذون[1] وعليه السلاح الذى كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا، فهزأ بى من كان على باب الخليفة، ثم استؤذن لى، فلما دخلت عليه وبصر بى على تلك الحالة، قام وقعد، ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن، ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل، مالى والدنيا والملك يزول عنى سريعا. ثم ألقيت الكتاب إليه منشورا كما دفع إلىَّ، فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن، كنت تجعله عبرة لغيره، فقال هارون:

(١) البِرْذَوْنُ: يطلق على غير العربى من الخيل والبغال، من الفصيلة الخيلية، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قوى الأرجل، عظيم الحوافر.

اتركونا يا عبيد الدنيا، المغرور من غررتموه، والشقى من أهلكتموه، وإن سفيان أمة وحده، فاتركوا سفيان وشأنه، ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفى رحمه الله. فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه من عمله، فإنه عليه يحاسب، وبه يجازى، والله ولى التوفيق.

أبو الحسين النورى:

عن أحمد بن إبراهيم المقرى قال كان أبو الحسين النورى رجلا قليل الفضول، لا يسأل عما لا يعنيه، ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه، فترل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة، إذ رأى زورقا فيه ثلاثون دِنًّا مكتوب عليها بالقار لطف، فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف فى التجارات ولا فى البيوع شيئا يعبر عنه بلطف، فقال للملاح: ماذا فى هذه الدنان؟ قال: وماذا عليك، امض فى شغلك، فلما سمع النورى من الملاح هذا القول ازداد تعطشا إلى معرفته، فقال: أحب أن تخبرنى ماذا فى هذه الدنان، قال: وماذا عليك أنت والله صوفى فضولى، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه، فقال النورى: هذا خمر، قال: نعم، فقال: أحب أن تعطينى ذلك المدرى، فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه: أعطه حتى أنظر ما يصنع، فلما صارت المدرى فى يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دناً دناً حتى أتى على آخرها، إلا دناً واحداً، والملاح يستغيث، إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ ابن بشر أفلح، فقبض على النورى وأشخصه إلى حضرة المعتضد، وكان المعتضد سيفه قبل كلامه، ولم يشك الناس فى أنه سيقتله.

قال أبو الحسين: فأدخلت عليه وهو جالس على كرسى حديد وبيده عمود يقلبه، فلما رآه قال: من أنت؟ قلت: محتسب، قال: ومن ولاك الحسبة، قلت: الذى ولاك الإمامة ولانى الحسبة يا أمير المؤمنين. قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلى وقال: ما الذى حملك على ما صنعت؟ فقلت: شفقة منى عليك إذ بسطت يدى إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه، قال: فأطرق مفكرا فى كلامى ثم رفع رأسه إلى وقال: كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان، فقلت: فى تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن، فقال: هات خبرنى، فقلت: يا أمير المؤمنين إنى أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لى بذلك، وغمر قلبى شاهد الإجلال للحق، وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عنى فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن

صرت إلى هذا الدن فاستشعرت نفسى كبرا، على أنى أقدمت على مثلــك، فمنعــت، ولــو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها و لم أبال، فقال المعتضد: اذهــب فقد أطلقنا يدك، غيِّر ما أحببت أن تغيره من المنكر. قال أبو الحسين: فقلت: يا أمير المــؤمنين بغض إلىَّ التغيير لأنى كنت أغير عن الله تعالى، وأنا الآن أغير عن شرطى، فقال المعتضد: مــا حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجى سالما، فأمر له بذلك، وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد، فأقــام بالبصــرة إلى أن تــوفى المعتضد، ثم رجع إلى بغداد.

بين السلف والخلف:

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين، لأنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم، ورضوا بحكم الله تعــالى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم فى القلوب القاسية فلينها وأزال قســاوتها. وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحــوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملــوك، وفســاد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر، والله المستعان على كل حال] أ.هــ.

الفصل السابع

أهل الفرقة الناجية هم الحافظون لحدود اللّه

أهل الفرقة الناجية هم الحافظون لحدود الله، أى: شرائعه وأحكامه التى حدد فيها ما يجب وما يحظر على المؤمنين من العمل بها، وما يجب على أئمة المسلمين وأولى الأمر وأهل الحل والعقد منهم لإقامتها وتنفيذها بالعمل فى أفراد المسلمين وجماعتهم إذا أخلوا بما يجب عليهم من الحفظ لها.

ومن مباحث اللغة أن المعدودات تسرد بغير عطف وإنما عطف النهى عن المنكر على الأمر بالمعروف للإيذان بأنهما فريضة واحدة لتلازمهما فى الغالب.

وأما عطف الحافظون لحدود الله على جملة ما تقدم فقيل: لأن التعداد قد تم بالوصف السابع من حيث إن السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء عدد آخر معطوف عليه، وأن هذه الواو تسمى واو الثمانية، وأنكر هذه الواو النحاة المحققون، وقيل: لأنه إجمال لما تقدم من التفصيل قبله، فلا يصح أن يجعل فردا من أفراده فيسرد معه، وأقوى منه عندى أنه وصف جامع للتكاليف عامة، والمنهيات، وهو أول ما يلاحظ فى حفظ حدود الله، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾[1] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [3].

وعلى هذا يكون معنى نظم الآية أن المؤمنين الكاملين الذين باعوا أنفسهم لله تعالى هم المتصفون بالصفات السبع، والحافظون مع ذلك لجميع حدود الله فى كل أمر ونهى.

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٧.

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٩.

(٣) سورة الطلاق آية ١.

ويعبر عن هذا فى عرف هـــذا العصر بقولهم: (المثل الأعلى)، ويطلقونه على الأفراد النابغين فى بعض الفضائل العامة، وعلى الجماعات والأمم الراقية، ويكفى أن يقال فيه: (المثل) فى كـــذا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِى إِسْرَائِيلَ ﴾[2] أو يقال: (مثل عال) أو (مثل شريف)، وأما (الأعلى) فهو الله عز وجل كما قال عـــن نفسه: ﴿ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4].

وجملة القول فيهم أنهم الحافظون لجميع حدود الله تعالى، وخصت تلك الخلال السبع بالذكر لأنها هى التى تمثل فى نفس المؤمن أكمل ما يكون به محافظا على حدود الله.

إقامة حدود الله:

هذا الموضوع أهم المواضيع التى يجب العناية بها لأمرين عظيمين:

الأمر الأول: أن سعادة المسلمين فى تلك الدار الدنيا، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وراحة قلوبهم، متوقف على إقامة حدود الله، بل وصفاء أفكارهم التى بها العمل فى الدنيا للآخرة، لأن الفرد إذا عمل فى التفكير للمعتدى عليه، وأذية المبيح لعرضه وماله، أهمـــل العمل فى الدنيا للآخرة- من اختراعه، وتحصيل علوم الصناعات والفنون- ومتى اشتغل كـــل فرد من المسلمين بتلك البلايا، أصبح المجتمع كالجسد الذى اعتورته الأمراض فى كل أعضائه، فصار فى حاجة إلى الممرض والطبيب والمعين، بعد أن كان قاهرا لأعدائه، عاملا لنفع أعضـــائه المتممة له.

هذا بعض ما يصيب المجتمع بترك إقامة حدود الله فى الدنيا، وكفى بـــذلك شـــرا، وذلك لأن الحكيم القادر خلق الإنسان مفطورا على الحرص، وشغفا بنيل حظوظه وأغراضـــه، فهو أجرأ من السبع عند نيل حظ من حظوظه، لأن السبع إنما يجرأ بلا فكر ولا رويـــة، فقـــد

(١) سورة الزخرف آية ٥٧.

(٢) سورة الزخرف آية ٥٩.

(٣) سورة النحل آية ٦٠.

(٤) سورة الروم آية ٢٧.

يتقى ويتحفظ من شره، وأما الإنسان فإنه عندما يدعوه حظه يقوم بتنفيذه بقوتين- قوته البدنية التي هى كالسبع، وقوة التدبير بفكره- فلا يمكن أن يدفع شره، ولذا فالحكيم القادر جعل حدوده من أنواع القصاص والتعذير والتأديب، لكبح جماح النفوس الطاغية الباغية، وجعل أنواع العبادات والقربات لتزكيتها وتطهيرها بعد كبحها.

فإذا أهمل المسلمون فى إقامة حدود الله وإقامة شعائره ظهر الفساد فى البر والبحر، وصار المجتمع كمجتمع الحيوانات المفترسة فى غابة، ووكلهم الله إلى أنفسهم، ومكن منهم عدوهم، وحبس عنهم رزق السماء، فصاروا أذلاء بعد العز، أعوذ بالله من قوم يضيع الحق بينهم.

الأمر الثانى: أن إهمال إقامة حدود الله وترك القيام بشعائر الله عز وجل تجعل المؤمن ينقص إيمانه، حتى قد يزول من قلبه، فيخرج من الدنيا بغير إيمان- نعوذ بالله من ذلك- قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1] وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) (رواه البخارى ومسلم). الحديث. وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (تارك الصلاة ملعون)، فوصف الله تعالى المؤمنين بما به يكونون مؤمنين، ووصف رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ المنافقين الذين لا إيمان لهم بما به يكونون منافقين، وقد بين الله سبحانه وتعالى صفات عباده المؤمنين فى آية جمعت ما لا يكون المؤمن مؤمنا إلا به، وهو قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[3] وقد بين الله تعالى فى القرآن الشريف أن الشرك ظلم عظيم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال آية ٢-٤.

(٢) سورة الفرقان آية ٦٣.

(٣) سورة الطلاق آية ١.

(٤) سورة لقمان آية ١٣.

لما كان المتعدى حدود الله قد ظلم نفسه، فكأن الآية تشير إلى أن المتعدى حدود الله مشرك، وأن التظاهر بالشرك ظلم عظيم، والفرق بين المتظاهر بالشرك والمتعدى حدود الله، أن المتظاهر بالشرك كافر مخلد فى نار جهنم، والمسلم المتعدى حدود الله وسع الله له الأمر فى أن يتوب إليه، فإن تاب التوبة النصوح بشروطها التى بينتها فى كتاب: (أصول الوصول) فذلك برهان على مغفرة الله له، وإن مات على غير توبة- والعياذ بالله- فأمره مفوض إلى ربه، إن شاء أماته كافرا، أو شاء أماته مسلما، وعذبه على خطاياه أو غفر له، وأدخله الجنة، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فالإهمال فى إقامة حدود الله والقيام بشعائره موبقة للنفوس، ماحقة للإيمان، مجلبة غضب الله، موجبة لعذاب الله إن لم يغفر.

من الذى يقيم حدود الله ويقوم بشعائر الله؟

أولا: الفرد المسلم:

أما أولا وبالذات: فكل فرد من المسلمين واجب عليه أن يسعى فى جلب الخير لنفسه، ودفع الضر عنها، ولا خير أعظم من العمل بكتاب الله والمحافظة على سنة رسول الله، لأنه بذلك يسعد السعادتين وينال الخيرين، ويسود فى الدارين ولو عاش فقيرا، فإن العمل بالسنة والكتاب، يشرح الصدور وتطمئن به القلوب، ويريح الفكر والبدن، ويجعل الإنسان آمنا فى سربه، ميسرا له قوته، معافى فى بدنه، وهى سعادة الدنيا. محبوبا فى قومه، موسعا له فى قبره، محمولا على نجائب العناية ورفارف الحنانة والرأفة الإلهية، وهى السعادة فى الآخرة.

ومثل هذا متى ينقبض صدره، أو يضيق رزقه، أو يتألم جسمه، أو يهان بين قومه، أو يفتقر إلى شرار الخلق، أو يذل أبناؤه بعده؟، وقد قام بما جعل الله تعالى معه فى حياته الدنيا بالهداية والتوفيق، وفى حياته البرزخية بالبشائر والرحمة، وفى حياته الأخرى بالقرب ومشاهدة الوجه الجميل، والنعيم المقيم، وجعل الله تعالى خليفة عنه على أبنائه وأهله، ومن جعل الله خليفة عنه على أبنائه وأهله لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين، قال الله تعالى فى تحقيق ما قلنا: ﴿ألا

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] وقال الله سبحانه فى خلافته عن وليه على أبنائه بعد موته: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[2].

هذا بعض ما يمكن أن يسطر على الأوراق، أو تنطق به الألسنة من الخير الذى يناله المحافظ على حدود الله، القائم بشعائر الله، ونعمة الله لا تحصى على الأفراد العصاة أو الكفار، من الإيجاد والإمداد والعناية، فكيف بنعم الله على العبد المطيع الولى؟ لا يعلم نعم الله على العبد المطيع إلا الله.

فالواجب على كل فرد من أفراد المسلمين- ولو أهمل السلطان إقامة حدود الله والمحافظة على شعائره- أن يحافظ على العمل بالسنة والكتاب، محافظة على نفسه من أن يقع فى هوة نار، أو جب تنهشه الأفاعى، وليسارع إلى العمل بالسنة والكتاب، كما يسارع إلى أن يملك أرضا ذات أنهار جارية، وحدائق غناء، ونسيم عليل بليل، وأمن وأمان وإطلاق وسلطان، ينالها بلا عناء ولا تعب فادح، ولا بذل مال ولا نفس، كيف تكون مسارعته إليها؟ الجواب أكله إلى نفسه.

فالواجب على كل مسلم أن يقوم بنفسه لنيل ما به سعادتها فى العاجل والآجل، بكل ما فى وسعه، وليعتقد أن إهماله هلاك لنفسه، وتساهله خسران عليه، قال تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَداً ﴾[3].

ثانيا: السلطان

أما الثانى الذى يقوم بحدود الله تعالى، وإن كان فى ظاهر الأمر هو الأول، كما قال سيدنا عثمان بن عفان: (ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن) فهو السلطان القائم بالخلافة عن ربه، وعن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، المنفذ لأحكام الله، المقيم حدود الله، المحافظ على ثغور

---

(١) سورة يونس آية ٦٢.

(٢) سورة الكهف آية ٨٢.

(٣) سورة النور آية ١٧.

المسلمين، الذى ينام الناس ويسهر، ويرتاح الناس ويتعب، ويأمن الناس ويخاف، ويشبع الناس ويجوع، ليستريح يوم القيامة، ويشبع ويأمن ويتنعم بنعيم لم يتنعم به أحد غيره، وهو الأمان الذى يكبح النفوس عن استرسالها فيما فطرت عليه من المفاسد والأهواء، ويعين المظلوم على الظالم، يؤم الناس فى صلاتهم، ويطوف عليهم فى ليلهم، يعود مرضاهم، ويشيع جنائزهم، ويذكرهم أيام ربهم، فيكون إماما للمتقين، وسراجا منيرا لرعيته المطيعين، وحربا على العصاة المارقين، وأعداء الإسلام والمسلمين المظاهرين، هذا هو الذى يقيم حدود الله، وعدل ساعة منه خير من أربعين سنة مطرا، فإن عدل ساعة ترضى الله تعالى ورسوله، وتجعل المجتمع فى سرور وأمان وائتلاف ووفاق، فتكون قلوبنا مجتمعة والله معنا، ومتى اجتمعت القلوب كان الله معنا فحقق وعده سبحانه الذى وعدنا به بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً﴾(١).

وقد أنجز وعده سبحانه- بمزيد فضل منه- لسلفنا الصالح ﷺ، فمكن لهم فى الأرض تمكينا أذل لهم جبابرة الأرض وملوكها، ونشر بهم دينه بين عباده الذين سبقت لهم الحسنى منه سبحانه، وكان كل من على ظهر البسيطة فى وسعة من الرزق، وأمن على النفس والمال والأهل والولد، وعافية فى الأبدان، لا فرق بين المسلم والذمى، فللذمى من الحقوق الاجتماعية ما للمسلم وزيادة.

أما قولنا وزيادة، فلأن المسلم كان يطالب بزكاة ماله وحماية الثغور، وبجهاد العدو، وبحقوق لإخوته المؤمنين فى ماله ونفسه- غير الواجب-وبالقيام بشعائر الله، وكان الذمى لا يطالب بشيء غير الجزية التى تؤخذ منه ليساعد بها على كبح جماح الظالم وإقامة العدل بين الناس، ولحفظ الأنهار وجسور الترع، ولرجال الخفر والحراسة، ولتأسيس المستشفيات والملاجئ للأيتام والعجزة والشيوخ، ولتجنيد الجند، وهذا القدر كان ينفق على أهل الذمة أضعاف

---

(١) سورة النور آية ٥٥.

أضعافه من بيت مال المسلمين، فكان هذا العمل من العدل والمساواة وإقامة حدود الله والعمل بسنة رسول الله، تمكينا من الله لعباده المسلمين.

والإهمال فى إقامة حدود الله وإحياء شعائر الله مؤد إلى ظلم العباد، وخراب البلاد، وغضب الله عليهم، ولا ينظر الله إلى جماعة تعدوا حدوده، وأماتوا سننه، وعملوا بغير كتابه، وقوم لا ينظر الله إليهم أوقعوا أنفسهم فى مقت الله وغضبه، أعوذ بالله من موجبات سخطه.

السلطان ظل الله فى أرضه، وسيفه المسلول على أعدائه، وروضه الزاهر دانى الجنى لأوليائه، وهو- إذا كان كما وصفنا- القطب الغوث الفرد الجامع، محل نظر الله إلى عباده، وميزان فضله العظيم على أحبابه، نسأل الله تعالى أن لا يخلى الأرض من قائم له سبحانه وتعالى بحجة، حافظ لحدود الله، قائم بشعائر الله سبحانه، وأن يجدد سنة نبيه ويعلى كلمته، ويفتح كنوز فضله وخزائن جوده وأبواب نعمه الواسعة، إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ثالثا: المجتمع

الثالث الذى يقوم بحدود الله، وهو الحاكم على الخليفة الأعظم، وممده، وبيده خلعه وبقاؤه، ويمكنه أن يعصيه ويطيعه، وهو المجتمع، وعليه أعظم المسئولية، وبتهاونه- ولو مع الإمام- تحصل له البلية، فالإمام والمجتمع مثلهم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بالسفينة التى لها دور أسفل، ودور أعلى، فالذين فى العلو يشربون من النهر، والذين فى السفل يتناولون الماء من أهل العلو، فلو قام واحد من أهل السفل وأخذ الفأس وأراد أن يخرق السفينة لتناول الماء من النهر أهلك الجميع. فعلى المجتمع أن يتحد ويتضامن على تنبيه السلطان لخير الجميع أو قهره على ذلك، فإن أبى خلع، وإنما ينبه إذا أهمل فى حدود الله سبحانه، أو أهمل فى شعائر الله، أو سعى فى الأرض بالفساد.

وإنما يقوم بهذا العمل المجتمع الإسلامى الذى تجمل بجمال أهل المدينة المنورة، عقيدة وعبادة وخلقا ومعاملة، لا مطلق مجتمع، والواجب على المجتمع الذى لم يتكمل بهذا الكمال أن يبتدئوا بتزكية نفوسهم، حتى إذا زكت ولى الله عليهم خيارهم، كما قال ﴿ ﷺ وآله﴾: (كما

تكونوا يول عليكم) (رواه الديلمى فى مسند الفردوس والبيهقى والسيوطى). أسأل الله تعالى أن يمنحنا الهداية والتوفيق لما يحب، وأن يولى أمورنا خيارنا، إنه مجيب الدعاء.

وفى الحقيقة ونفس الأمر، إذا صلح المجتمع صلح بصلاحه الخليفة والولاة، لأن المجتمع الصالح يصلح من تولى أمره، أسأل الله تعالى أن يمنحنا الهداية والتوفيق لما يحب، وأن يولى أمره لمن كان مصلحا، وأن تكون عناية الله محيطة به.

من أسرار الفرقة الناجية فى حفظ حدود الله:

١- قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1].

الإشارة هنا إلى الأحكام التى أنزلها الله فى تلك الآيات من أول قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾[2] ولك أن تقول من قبلها، وحدود الله تعالى يعنى الفواصل بين الحق والباطل. فمن تعداها وقع فيما حرم الله أو أفسد عمله. وفى ذلك من الجهالة ما فيه.

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أى كما بين أحكامه فيما يتعلق بالتوحيد والنبوة وبالمعاملة فى أموالنا وبالصلاة والزكاة والصيام، كذلك يبين جميع أحكامه التى بها سعادة المجتمع الإسلامى فى الدنيا والآخرة. (يُبَيِّنُ) أى يوضح (آيَاتِهِ) أحكامه المتعلقة بكل الشئون (لِلنَّاسِ) للخلق جميعا لأن دعوة النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ عامة (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أى لتحصل لهم التقوى مما يغضب الله تعالى.

٢- قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٧.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٣.

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٩.

الإشارة إلى ما تقدم من الأحكام التى هى أحكام الله المنزلة على نبيه ﴿ﷺ وآله﴾ فيما يتعلق بالزوجية، وهى الحدود الفاصلة بين الحق والباطل، ومن خالف تلك الأحكام بأن تعداها إلى هواه وحظه: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ والإشارة هنا عائدة إلى من يتعدى حدود الله. والظالمون هم من ظلموا أنفسهم بمخالفة أحكام الله، وقد يعظم الظلم فيكون شركا. قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] وبلوغ الظلم إلى حالة تعظيمه هو أن يستهين الإنسان بأحكام الله وينفذ هواه عنادا.

وهذا تهديد من الله للذين يتعدون حدود الله فى أحكامه، ما يتعلق منها بالزوجية وغيرها، اللهم إلا ما رخصت فيه الشريعة أو دعت إليه الضرورة بدليل قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾[2] ومعنى أنها حدود الله الفاصلة بين الحق والباطل أن الزوج المؤمن الأولى له أن يكون رحيما فيتجاوز لزوجته عن بعض ماله أو عن كله رغبة فى رضوان الله، وبذلك قد ينتقم الله منها إن كانت ظالمة له.

٣- قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

أى هذه الأحكام التى يفصلها سبحانه لنا جلية يبينها للعالمين الذين علمهم الله مراده من أحكامه، وهم الذين يسألون فى مثل هذه الحقائق فيشرحونها للناس، أو هم ولاة الأمر الذين ينفذون أحكام الله إذا رفعت إليهم القضايا. وفى قوله تعالى: ﴿ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أن الإنسان إذا لم يكن عالما بتلك الأسرار وجب عليه أن يسأل من فوقه فى العلم وأن يقلده فيما بينه له من أحكام.

البشرى لأهل الفرقة الناجية ﷺ

---

(١) سورة لقمان آية ١٣.

(٢) سورة الأنعام آية ١١٩.

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٠.

ثم ختم سبحانه هذه الأوصاف الثمانية بقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى وبشر- أيها الرسول- المؤمنين الموصوفين بهذه الصفات، و لم يذكر ما يبشرهم به لتعظيم شأنه، وشموله لخير الدنيا وسعادة الآخرة.

ويحسن بنا فى هذا المقام أن نبين ما هى البشرى، ومن هو البشير، ومن هم المبشرين؟!

أولا البشرى:

كل خبر بخير لم يسبق للمخبر به أن يسمعه، وكل القرآن بشائر للمؤمنين، فوعده بشرى لهم لأنه يقرر لهم الفوز بالسعادة الدائمة، وبالخير العاجل فى الدنيا ، وفى وعيده يبشرهم بنصرهم على أعدائهم، وبالانتقام من خصومهم، وبالتمكين لهم فى الأرض بالحق، بعد إذلال أعداء الله وأعدائنا.

ثانيا البشير:

الذى يبشر هو رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وورثته من، بعده، والبشير هو الذى يهب الله لكثير من خلقه خيرا كثيرا على يديه فى الدنيا والآخرة والأمر كذلك، أما فى الدنيا فإن الله تعالى حفظ به العالم الإنسانى، لا فرق بين المسلم والكافر بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١) فكان رحمة لبنى الإنسان ولكل الحيوانات، أما لبنى الإنسان فإنه ﴿ ﷺ وآله﴾ وصى أمته بالإحسان وبالرحمة لكل مخلوق، وأمرنا أن ندعوهم إلى الإسلام بالتى هى أحسن، ووضع الرأفة والرحمة بأمر الله فى قلوبنا، فإن الله جمله باسمين من أسمائه المقدسة، فقال سبحانه: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) وأخبرنا أنه حريص على نجاة العالم أجمع، وأنه بنا رءوف رحيم، والرءوف الرحيم هو الله تعالى، وكفانا بذلك شرفاً وسعادة .. وقد أمره الله تعالى أن يبشر المؤمنين فى الدنيا بالعزة والقوة والتمكين فى الأرض بالحق ماداموا محافظين على

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧

(٢) سورة التوبة آية ١٢٨.

ما كان عليه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه، ويبشرهم فى الآخرة بالرضوان الأكبر، وبالنظر إلى وجهه الكريم، وبسماع كلامه على بساط منادمته ومؤانسته.

ثالثا: المبشَّرون:

وهم الذين آمنوا، أى: صدقوا الله ورسوله قلبا وقالبا، تصديقا انعقدت عليه قلوبهم، وعملت الصالحات جوارحهم.

الباب الثالث

آداب الفرقة الناجية

الفصل الأول

آداب الفرقة الناجية فى شبابهم

العناية الإلهية:

عناية الله بأحبابه هى البراق الذى يبلغ بهم أقصى غايات القرب من الجناب المقدس. والعناية الإلهية لا تحصر أنواعها ولا تتناهى آياتها. قال تعالى: ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾[3] وقال تعالى مخبرا عن سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ ﴾[4] وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[6] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[7].

والأحاديث النبوية فى بيان انفراد الحق جل جلاله بالعناية والتوفيق والمعونة أكثر من أن تحصى. وكفى المسلم المستبصر تحققا هذا المقام ما يتلوه كل يوم فى صلاته من قوله تعالى:

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٧.

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٤.

(٣) سورة الكهف آية ١٧.

(٤) سورة هود آية ٨٨.

(٥) سورة الأنبياء آية ١٠١.

(٦) سورة النور آية ٣٥.

(٧) سورة النور آية ٤٠.

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1]، فإن لهذه الآية الشريفة منازلات لو كوشف بها المصلى لتجلت له الحقيقة جليا.. ولفر من حوله وقوته إلى جناب القدس الأعلى متحققا بعجزه الحقيقى عن أن يقوم عابدا لله إلا بمعونة من الله ومنة منه سبحانه.

وليست هذه العقيدة فى العبادة خاصة بل هى فى كل شئون العبد، ولكل مسلم قسط بقدر مشاهدته لهذه الأنوار الربانية. ومنذ خفيت معالم طريق الله باختفاء أهل العلم بالله تشعبت الجماعة وتفرقت الأمة فصاروا شيعا وفرقا كلٌّ يرى الحق باطلا لجهله، ومن جهل شيئا عاداه.

لست فى مقام تقرير سبب تفرقة الأمة إلى شعوب، ولا فى تركيب الدواء لهذا المرض، فإنى سأبسط ذلك إن شاء الله تعالى فى رسالة خاصة تكون محلا لتلك المواضيع الهامة، ولكنى أبين لإخوانى ما كان عليه أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ من الآداب التى أدبهم بها رسول الله، ووفقهم الله للتأدب بها، فرضى عنهم وأرضاهم عنه، وأحبهم وأحبوه.. تظهر تلك العناية بالعبد من شبابه بل ومن صباه.

أنواع تلك العناية، وهى سبعة:

١- أعظم أنواعها أن يتفضل الله على العبد بتناسب أعضاء بدنه واعتدال مزاجه. وفى الأثر: العقل الصحيح فى الجسم الصحيح.. فإن الأعضاء آلات للنفس، لكل عضو وظيفة يؤديها. ومتى كملت الآلات والأدوات أمكن للنفس أن تقوم بواجبها وتسارع إلى كمالاتها، وهذا فضل يشهده العالم والجاهل من الله مباشرة بلا تدبير للعبد فيه ولا كسب.

٢- ثم أن يهبه الله تعالى نفسا زكية يجملها سبحانه بمعانى الخير فتميل إليه.

٣- ومن العناية أن ينشأ المسلم بين والدين تقيين عاملين بكتاب الله وسنة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ فيكونان أعظم إمام له. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[2].

---

(١) سورة الفاتحة آية ٥.

(٢) سورة الطور آية ٢١.

٤- ومنها أن الله يمن على المسلم بالمرشد المتخلق بأخلاق رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ الممنوح لسان الحكمة.

٥- ومنها أن ينشأ محفوظا من الفتن الخاصة والعامة.

٦- ومنها أن يرزقه الله تعالى الحياء من صباه فيستحى أن يتشبه بمن لا خلاق لهم فيشب على التقوى.

٧- ومنها أن يجعل الله له أصدقاء يعينونه على الخير، فتتجمل نفسه التى وهبها الله له بما هى مؤهلة له من جمال أخلاقهم كالرحمة والبر والصلة والشجاعة والمسارعة إلى عمل الخير واستنكاف عمل الشر، حتى يبلغ أشده وقد حفظه الله تعالى مما يشين أهل السلوك.

معانى النهايات وهى ثلاثة:

من الشباب تظهر معانى النهايات، ومن لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة. والشباب هو زمن التحصيل والمسارعة إلى نيل المقامات العلية لعدة معان:

١- منها أنه زمن مجاهدة النفس، فقليل الخير فيه يعد كثيرا بالنسبة لتروع النفس فيه إلى فطرها ولميولها إلى ما جبلت عليه، فيكون عمل الخير فى الشباب كعملين: جهاد للنفس وعمل لله، أو جهاد للنفس نفسه وترك له، فالترك والعمل فى الشباب يقربان العبد إلى الله زلفى بخلاف الترك فى الهرم، فإن الترك فى الهرم ليس طاعة.. فتدبر !!.

٢- ومنها أن الشباب يعين العبد على القيام بعظائم القربات من الجهاد فى سبيل الله وإعانة أهل الضرورات، وإعلاء كلمة الله، وتجديد سنة رسول الله، فمن صرف شبابه حتى أضاع زمان التحصيل فى غير كسب ولا نيل الخيرات، وظن لجهله أنه يقوم بتلك المعانى فى هرمه، فقد فاته الخير كله.

٣- ومنها أن الشباب به تحصيل العلوم والمعارف، وبه مشاهدات معانى الصفات لتوفير أضدادها فى العبد، فلو أهمل نفسه فى الوقت الذى كان يمكنها أن تتكمل فيه لتوفير آلاتها وأدواتها، وظن أنه يكملها بعد فقد تلك الآلات والأدوات، فقد جهل سبل الخيرات. ولذلك فإن أئمة المالكية أوجبوا الحج على الفور، وجعلوا الاستطاعة القوة على المشى، والحرفة التى تكون سببا لقوته، والرفقة، وجعلوا من أهمل ومات مع توفير تلك الاستطاعة مات موتة

جاهلية. قال تعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

الشباب عناية الله:

الشباب عناية الله لمن سبقت لهم الحسنى، يجذبهم بها إلى حظيرة رضوانه الأكبر بما يوفقهم له من جليل أعمال البر وعظيم القربات، فمن أضاع شبابه وظن أنه ناج فقد جهل. لا أحظر على فضل الله فإن الله يتفضل على من يشاء، وإنما يثق بفضل الله كل عبد من عباد الله. وأهل العزائم يوفقهم الله لما يحب ويرضى، ويخافون على أنفسهم من عذاب يوم الحساب مع ما أقامهم الله فيه من مقامات حبه ومنازل رضوانه. وقد بين الله لنا سبل القرب منه فى كتابه فقال: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[2]. والتمكين فى الأرض أمر نسبى، فمن عافاه الله ومنحه شبابا وقوة فقد مكنه فى الأرض بقدره، فإن كان من أهل الحسنى أقام الصلاة وآتى الزكاة، وكان عاملا من عمال الله.

أكمل الآداب فى مرحلة الشباب وهى سبعة:

١- أكمل آدابهم فى شبابهم قهر النفس على الحسن من الأعمال، ثم مجاهدتها حتى تنطبع على الأحسن، وهى مِنَّة من الله تعالى يعجز المؤمن عن شكرها.

٢- ومنها أن يكثروا من مجالسة أهل الخشية من الله تعالى لتنكبح نفوسهم بما سيسمعونه منهم.

٣- ومنها صحبة من منحهم الله لسان العبارة، فيبينون جمال الآخرة وملاذها ونعيمها لهم، فتقبح فى أعينهم زينة الدنيا، ثم يسمعون منهم عذاب الآخرة وآلامها وعذاب القبر وهول البعث والأسباب الموجبة له، فيتمثلون عند لمة الشيطان بقلوبهم، وتنبهها للمعاصى

(١) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٢) سورة الحج آية ٤١.

هول يوم الحساب وآلام العذاب، وما يفقدونه من النعيم والفضل العظيم، فيفرون من المعصية خوفا مما يتمثلونه أن يحل بهم.

٤- ومن آدابهم تعظيم الكبير، والرحمة بالصغير، واحترام النظير.

٥- ومن آدابهم البعد عما يثير خواطرهم، وما يهيج نار غضبهم حتى إذا شهدوا مثل هذه الأشياء سارعوا إلى مفارقتها، أو استرذلوا عامليها واستنكفوا أن يتشبهوا بهم.

٦- ومنها بذل ما فى الوسع لبر الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الجيران، ومعاونة أهل الضرورات، والسبق إلى الخير، والبطء عن الشر.

٧- ومنها أن الشاب إذا أغضبه أحد أسرع إلى الوضوء، فإذا اشتد غضبه قام فصلى، فإن لم يذهب غضبه فارق المكان معتقدا أنها فتنة توقعه فى نار جهنم إن لم يكظم غيظه، ثم يشكر الله تعالى الذى جعله من الكاظمين الغيظ، ثم يعفو عمن ظلمه ليكون ممن أثنى الله عليهم ومدحهم بقوله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٤.

الفصل الثانى

آ داب الفرقة الناجية فى مسـاجـدهم

الآداب فى المساجد مقاصد أهل النفوس الطاهرة، وجمال أهل المشاهد العلية، إذ أنها تصدر عن استحضار عظمة رب البيت، وإجلال البيت ممن دخله لأجله سبحانه لصالح العمل فيه، وشدة الرغبة فى نيل ما يبتغيه، ولذلك فإن أهل الله الصالحين يسيحون فى الأرض شرقا وغربا لزيـــارة عارف أدبه الله بالآداب المحمدية فى مسجده، ولعلك علمت قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (الله فى قبلـــة أحدكم ما دام فى صلاته) (رواه أبو داود). وعلمت أنه ﴿ﷺ وآله﴾ رأى قمامـــة فى جـــدار المسجد فغضب حتى احمرت وجنتاه وحتـــها بظفره، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (يقول الله تعالى فى الحديث القدسي: إن بيوتى فى أرضى المساجد وإن زوارى فيها عمارها، فطوبى لمن تطهـــر فى بيته وزارنى فى بيتى، وحق على المزور أن يكرم زائره) (رواه أبو داود). وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (قمامة المسجد مهور الحور العين) وقال الله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّـــرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ {٣٦} رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَـــن ذِكْرِ اللَّهِ..الآية﴾[2] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾[3].

هذا والمسجد نوعان: مسجد خاص ومسجد جامع، فالخاص ما جعلـــه الإنســـان مصلى لنفسه أو له ولخاصين، والمسجد الجامع ما فتحت أبوابه لكل مصلى، ولكـــلٍ آداب.

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥.

(٢) سورة النور آية ٣٦،٣٧.

(٣) سورة الجن آية ١٨.

آداب المسجد الخاص، وهى ستة:

١- أن يطهره من أن يعصى الله فيه بغفلة أو بغيبة أو بسب أو قذف.

٢- وله أن ينتفع فيه بعمل المندوبات والمباحات كالأكل والنوم وإكرام الضيف وصلاة النافلة من غيره فى أوقات حلها، ورفع الصوت بالعلم والذكر، والصلح بين الناس فى كل وقت.

٣- وله أن يمنع من شاء عن دخوله.

٤- فإذا ميزه عن غيره فى بيته تمييزا يجعله خاصا بالصلوات، فالأولى أن يحييه بركعتين وأن لا يجلس فيه جنبا، وأن يستحضر عند دخوله أنه بيت الله، وأن الله سبحانه حاضر لا يغيب.

٥- ومن آدابه أن يدخله خاشعا راغبا فرحا بدخوله. وأن يخرج منه خاشعا آسفا عند مفارقته، معتقدا أنه لولا الضرورة ما فارق بيت الله حتى يكون من الذين تعلقت قلوبهم بالمساجد.

٦- وإذا دخل المسجد أكثر ذكر الله وتسبيحه سبحانه وقراءة كلامه العزيز، واشتغل إما بذكر أو ابتهال أو تنفل بصلاة.

هذه كانت آدابهم رضى الله عنهم فى مساجدهم الخاصة.

الخلوة فى المسجد الخاص:

وقد كان الرجل منهم يجعل له مسجدا خاصا بنفسه يكره أن يجلس معه فيه غيره، ليفرغ قلبه من الهم بغير الله ويقبل بكليته على الله. وقد غلب على بعضهم أن يسمى هذا المسجد خلوة. وجهل الناس فى زماننا هذا سر ذلك فصار يجعل الرجل منهم لنفسه حجرة ويسميها خلوة، ويدخل فيها فيترك ما أباحه الله من الطيبات، وما أوجبه الله عليه من السعى فى طلب العلم أو الرزق، أو عمل بر أو صلة، ويجلس فيتلو كلماتٍ ربما لا يفقه لها معنى، فتكون خلوته هذه تخليا عن الواجب والسنة، وعملا بما أورده على نفسه من نفسه. و لم يكن السلف الصالح يعملون هذا ولكنهم- رضى الله عنهم -كان الرجل يجعل له حجرة فيسميها مسجدا، ويدخلها بعد أن يكون قد استوفى ما هو واجب عليه من طلب العلم ومن البر والصلة

ومن نفقة الوالدين أو أهل أو أولاد، فيدخل ويصرف أنفاسه فى تلاوة القرآن الكريم والركوع والسجود، ويبتهل إلى الله أن يزكى نفسه ويطهرها، وتنكشف له حكمة السجود والركوع وأسرار كلام الله تعالى، ويتجلى ربه سبحانه وتعالى لنفسه فى نفسه وله فى كلامه العزيز، فتجتمع همومه كلها وتصير هما واحدا يجذبه حتى يرى ربه سبحانه وتعالى. وقد تكون المساجد الخاصة لحبس النفس عن شهواتها تأديبا لها، أو لقهرها على التوبة والإنابة إلى الله، أو لمجاهدتها ورياضتها لتطيعه وتستجيب لله سبحانه وتعالى.. فكلما صرف نفسا من أنفاسه فى مسجده الخاص كوشف بأنوار عزةٍ وأسرار جبروتٍ، وورد عليه قبس من مشكاة الأنوار القدسية، فووجه بعظمةٍ وكبرياءٍ وجلال، فتحقق بحقيقة عبد وتجمل بجمال عبودية، وتحلى بحلل عبودة، وتكمل بكمال عبادة، فكان عبدا عاملا.. نعم العبد إنه أواب.

هذه بعض آدابهم فى مساجدهم الخاصة، وبعض مشاهدهم التى تشرق عليهم فتجذبهم إلى الاقتراب من الحضرة العلية بالتخلى عن معانى الربوبية، وتحققهم بكمال العبودة والسجود. قال الله تعالى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[1] فيقترب بالسجود لأن السجود كمال التحقق بالذل والاضطرار والمسكنة للعزيز العلى المتعالى، فيكشف الحجاب سبحانه عن عين عبده، ويشهده جماله، ويقربه منه سبحانه.

من المأثور فى آداب المسجد الخاص:

كان الرجل يسجد فى مسجده فيحدث له أعظم الشئون، فإذا هَمَّ أن يهتم بهذا الشأن العظيم سطعت لوامع مواجهة السر لعظيم كبير حاضر قريبٍ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فيقول: أعوذ بالله من هذا الوارد. وقد يخرج من كل ماله أو يفر من ملكه لأنه خطر على قلبه فى وقت المواجهة وكاد يقطعه عن الله فيخشى أن يقطعه فيتبرأ منه، اتباعا لعمل رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ بسند البخارى عن عقبة بن الحارث قال: صليت وراء النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ بالمدينة العصر فسلم، ثم قام مسرعا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) سورة العلق آية ١٩.

(ذكرت شيئا من تبر عندها فكرهت أن يحبسنى فأمرت بقسمته) (أخرجه البخارى وأحمد).
ذكر ﴿ﷺ وآله﴾ التبر فى الصلاة فأسرع عقب السلام يتخطى الصفوف، حتى أخرجه من ملكه خشية أن يحبسه، أى: يشغله، لكى يسن لنا ﴿ﷺ وآله﴾ أن نقف فى الصلاة موقف من لا يشغله شيء غير ربه، فإذا شغله شيء عن مواجهته أنفقه فى سبيل الله سبحانه، كما قال الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وكما فعل صاحب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عندما وقف يصلى فى حائط له (بستان) فرأى فى صلاته عصفورا بين الأشجار الملتفة حاول أن يخرج فلم يستطع لتكاثف الأشجار، فانشرح صدره وهو فى صلاته بما شهد من مواجهة العلى العظيم، وكاد يذوب قلبه حسرة على نفسه التى التفتت وهو مواجه لربه، فاشتغل بغير من هو موجه وجهه إليه فى مسجده وبين يدى ربه، وخرج من صلاته مسرعا إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين إنى خرجت من حائطى (الفلانى) فاجعله فيما يحبه الله، فسأله أمير المؤمنين فأخبره وهو يبكى، فجعله أمير المؤمنين فى نفقة للجهاد.

هكذا كانوا رضى الله عنهم إذا وقف الرجل منهم فى مسجده الخاص حجبت أنوار العظمة والكبرياء كل شيء سوى الله، فإن خطر على قلوبهم مال أو ملك خرجوا منه فارين إلى الله، وجعلوه فى منفعة المسلمين.

آداب المسجد العام:

لا أتعرض للآداب العامة فإن كتب الفقه فصلتها: كتحية المسجد، وترك المرور فيه، والجلوس للجنب، وكعدم البيع والشراء فيه، وترك البحث والسؤال فى المسجد عما ضاع فى غيره، وتحريم البصاق تجاه القبلة، وكراهة أكل الثوم والبصل للمتوجه للمسجد، والترغيب فى النظافة والطيب.. كل هذه الآداب قد بينت فى كتب الفقه، إنما أريد أن أبين الآداب الخاصة بالخواص ملاحظا فى ذلك ما كان عليه أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

---

(١) سورة الشعراء آية ٧٧.

معلوم أن دخول المسجد إما واجب عينا أو سنة مؤكدة أو مرغب فيه، فيكون واجبا علينا لصلاة الجمعة، وسنة لصلاة الفرائض جماعة، ومرغب فيه لذكر الله وقراءة القرآن والتنفل بالصلوات.

أما آدابهم فى دخول المسجد فى وقت الوجوب: فكان الرجل منهم يعتقد أن ربه سبحانه وتعالى أمره بالحضور إليه، فيخرج من بيته ليقابل مولاه جل جلاله بناء عن أمره له بالحضور، ويخرج لا يدرى أيوفقه لعمل ما يرضيه عنه أم يقدر عليه ما يسخطه عليه، فيخرج من بيته خاشع القلب وجلاً، وكلما قرب من المسجد اشتد خوفه.

كانوا رضى الله عنهم لا يدخلون المسجد إلا على طهارة من بيوهم، فإذا دخلوا المسجد صار كل واحد منهم بين مشهدين كما قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن، تراه فإنه يراك) (رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد). فيكون إما شاهدا لربه أو على يقين حق أن الله عالم به ناظر إليه حاضر معه، فيفتتح بتحية المسجد، ثم يجلس غاضا بصره عن الالتفات الذى يشغل قلبه عن استحضار الشأن الذى هو فيه من جلوسه فى بيت الله، بأمر الله بين رغبة فى نيل القبول والرضا، ورهبة من الرد والغضب. ومن كان كذلك أغناه شأنه الذى هو فيه عن كل الشئون، وكيف يشغل من رأى ربه أو من يعتقد أنه رآه عن شيء آخر ؟!. هذا مستحيل فإن الإنسان العاقل إذا سلب القط دجاجة من أمامه ترك الطعام وفر وراءه حتى يستنقذها منه أو يعجز غير ملتفت لشيء مهما عظم، فإذا كان المستنقذ الدجاجة من القط لا يشغله شأن عن شأن.. فكيف يشتغل من رأى ربه أو من أيقن أن ربه مطلع عليه فى الصلاة بشيء آخر ؟!. فكان بعضهم يجلس للمراقبة حتى يؤدى فريضة الجمعة، وبعضهم يجلس للذكر بالقرآن المجيد والتسبيح والتهليل والتكبير، وبعضهم يجلس يسأله الناس عن أمر دينهم ويتحلق حوله الناس. كان الرجل منهم يكره أن يشغل أخاه، لعلمه أن كل إخوته فى المسجد مشتغلون بما يقربهم إلى من هم فى بيته من الآداب والعمل.

آداب دخول المسجد والجلوس فيه:

كان أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أحرص الناس على التبكير إلى المساجد، فمن بكر أسرع إلى الصف الأول، ومن لم يبكر جلس حيث ينتهى به المجلس ولو فى أخريات المسجد كراهة أن يفرق بين اثنين، أو يشغل جالسا مشغولا بذكر الله، أو يتخطى رقاب الناس، فيشتغل عن آداب المسجد، ويشغل قلب غيره عن المراقبة. كان الرجل منهم يكره أن يتحرك له أخوه ليفسح له فى المسجد حرصا على راحة أخيه. وكان الجالس إذا رأى أخاه مقبلا فسح له فى المجلس دون أن يتكلم أو يشير، لأن السكينة والخشوع لا يفارقاهم. وقد بلغ بهم الخشوع فى المسجد مبلغا حتى أنه كان يدخل عليهم فيه اليهودى أو النصرانى فيكاد يذهب عقله أو يصعق ويغشى عليه من هيبة الصحابة فى خشوعهم وسكينتهم وقت انتظار الصلاة أو فى الصلاة، وربما سارع إلى الإسلام. وكم من أسير شهد الصحابة يصلون- وكان أشد الناس نفورا من الإسلام- فملأ الله قلبه نورا، وأقبل على الإسلام بإخلاص. وما تعلم الصبيان الخشوع لله والحب لله والمسارعة إلى مراضى الله تعالى إلا بجلوسهم مع آبائهم فى المسجد وشهود ما عليه آباؤهم.

وكانوا رضى الله عنهم يجذبون قلوب الكفار بسمتهم وهديهم وخشوعهم لربهم فى مساجدهم، ويجملون الصبيان بالفضائل الإسلامية حتى ينشأ الصبى كوالده.

كانوا ممن قالوا: ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾(١) فاستجاب الله تعالى لهم فجعل كل واحد منهم رضى الله عنهم إماما لأهله وأبنائه وجيرانه، يكون الرجل واحدا وله صور لا تحصى، تراه فى جميعها كما تراها حين مشاهدته.

آداب صلاة الجمعة:

كانوا إذا ارتقى الخطيب المنبر أمسكوا عن الصلاة، وأخذوا فى ذكر الله بالقول والفكر، واشتدت رغبتهم فيما عند الله، والمسارعة إلى ما ينالون به رضوانه، معتقدين أنه ربما لا يطول عمرهم حتى يدركوا جمعة ثانية، فيجهدون أنفسهم أن يفوزوا بعفو الله وغفرانه، فإذا

(١) سورة الفرقان آية ٧٤.

ابتدأ الخطيب أن يتكلم أمسكوا عن الكلام، وأقبلوا بكليتهم مواجهين له، لأن السماع فرض، فكنت ترى حسن الإصغاء منهم رضى الله عنهم لما يعلوهم من اقشعرار جلــودهم، وتقــاطر دموعهم، وخشوع ظاهرهم عند التخويف، وانبساط وجوههم، وإشراق أنوارها عند البشائر والرحمة، فتراهم كأنهم بين مستغفر نادم، ومحوقل خائف، وحامد فرح، وشاكر طالب للمزيد. كل ذلك تظهر دلائله حالاً لا مقالاً، فإذا أتم الخطيب خطبته ونزل وقف كل مسلم موقف من يريد أن يمتع أخاه بالراحة وخير المجلس. وفى أقل من نفس تراهم اصطفوا كصفوف الملائكــة، لحاهم على صدورهم وأبصارهم تنظر لأقدامهم، كأن القوم وقفوا للحساب أمام رب العالمين، وقد أشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينــهم بــالحق وهم لا يظلمون. ولا غرو فإن المسلم إذا وقف للصلاة استحضر هذا المشهد، أو مشهدا فوقــه قبل دخوله للصلاة ليصلى صلاة من واجه ربه، أو صلاة من يعتقد أنها آخر صلاة له.

كانوا يقفون فى الصلاة فتترل الطيور عليهم وتمكث، فلا تحس بأنهم أحياء إلا عنــد تحريكهم لفرض من فرائض الصلاة، فإن كانوا وقوفا وقف الطير على رؤوسهم حتى يركعــوا كأنهم البنيان المرصوص. لم يكن ذلك إلا لما تفضل الله به عليهم من كمال الخشوع، وما أنزل عليهم من السكينة حتى صارت صفوفهم فى الصلاة فوق صفوف الملائكة حول العرش، فــإذا قال الإمام: الله أكبر، وكانت القلوب فارغة مما سوى الله، مقبلة بالكلية علــى الله، أشــرقت أنوار الكبرياء والعظمة على تلك القلوب الوجلة فملأتها خشوعا. قال الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَــحَ الْمُؤْمِنُونَ {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[١].

---

(١) سورة المؤمنون آية ١،٢.

الفصل الثالث

آداب الفرقة الناجية فى الـــخـلـــوة

الخلوة عندهم يا أخى نوعان: خلوة مع ربك، وخلوة مع نفسك.

الخلوة مع الرب سبحانه:

أما الخلوة مع الرب سبحانه وتعالى فليست هذه الرسالة محلا لشـــرح أســـرارها ولا كشف غوامضها، وقد أشار إليها ﴿ﷺ وآله﴾ بقوله: (لى ساعة لا يسعنى فيها إلا ربى) (رواه الترمذى وابن راهويه والخطيب). وقوله ﴿ﷺ وآله﴾ فى الحديث القدسى: (فمن ذكـــرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى) (رواه البخارى ومسلم وأحمد). وقولـــه ﴿ﷺ وآلـــه﴾ فى الحـــديث القدسى: (ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به.. الحديث) (رواه البخارى وأحمد). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1] فلنطوى بساط هذه الخلوة...وإن كانـــت الأرواح تشتاق إلى شميمها، ولكنى أكتب عن الفرقة الناجية كتابة أحب أن تكون وسطا لكل أخ يطلع عليها حتى لا يصعب على إخوتى أن يتشبهوا بأصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فإن بســـط بساط تلك المواجهات القدسية على أهل الإرادة فى البداية ربما أوقفهم عن الســـير، لقصـــور هممهم عن إدراك مبادئ تلك المشاهد حتى تزكو النفوس وتتخلى عن مقتضيات فطرها، وقد أشرت إلى بعض أسرار تلك الخلوة فى المواجيد النظمية إشارات حجبت برموز يفقهها من فنى عن مراده بمراد ربه، وغاب عن شهود الآثار غيبة جعلته يشهدها دلائل حق وآيات بيان لمكون الأكوان.

---

(١) سورة النحل آية ١٢٨.

الخلوة بالنفس:

ليس مرادهم بالخلوة بالنفس أن يخلو الإنسان بمكان ليفكر فى عمل دنيوى أو لمصلحة فى ماله أو أهله أو قومه، فإنها ليست خلوة وإنما هى صرف الإرادة عن الحق سبحانه إلى الخلق. ومن صرف إرادته عن الحق إلى الخلق كيف يكون فى خلوة ؟ لا.. ولكنه فى خلوة بحظه وبشهوته، ومن هو فى شأنه وتدبير مصالحه يدبر شئونه مع غيره، كيف يكون فى خلوةٍ بنفسه؟!! وليس فى خلوةٍ من اختفى فى حجرة عن الناس بباعث اقتضى ذلك، وإنما الخلوة التى يخلو فيها المؤمن بنفسه جَمْعُ الهموم وجعلها هما واحدا فى الله تعالى، والفناء عن إرادة ما سواه.. كما قال العارف:

كانت لقلبى أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى

قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى الحديث القدسى: (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) (رواه الترمذى والدارمى). وإنما يخلو المؤمن بنفسه إذا سكنت إلى منفسها، وتحققت يقينا بسر القدر، فعلمت أنها خلقت لشأن عظيم اشتغالها عنه هلاكها، وعملها فى غيره ضياعها، ففرت من كل شاغل يشغلها عما هى موجهة وجهها إليه.. ولديها تتحقق الخلوة.

ولهذه الخلوة آداب ومشاهد ومحاسبات ومراقبات، ولا يترقى السالك إلى مقامات اليقين إلا إذا تجمل بهذا الجمال، وتحلى بتلك الحلل، وصار من السهل عليه أن يخلو بنفسه. ومتى صعبت عليه الخلوة بنفسه.. كيف تتجلى له غوامض أسرارها التى انطوت عليها ؟ وكيف يتيسر له أن يجملها بالكمالات التى بها تكون نفسا مطمئنة تسمع ربها يناديها بكلامه المقدس قائلا لها: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {٢٧} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً {٢٨} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي {٢٩} وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[١].

---

(١) سورة الفجر آية ٢٧-٣٠.

لا تسمع كل نفس هذا الخطاب المقدس، وإنما هو خاص بنفس تزكت فصفت، فاختلت خلوة شغلتها شئوها الكمالية عمن سواها وما سواها، حتى تنقلت فى مقامات اليقين ومراقى التمكين بعد التلوين، وتجاوزت الملكوت الأعلى، وأشرفت على حضرة العزة، أو جذبتها العناية حتى أشرفت على قدس الجبروت الأعلى، فحضرت فسمعت من جالسته فى خلوتها بنفسها، ذاكرة له، غافلة عن كل من سواه وما سواه. قال ﴿ ﷺ وآله﴾: (قال الله تعالى: أنا جليس الذاكرين)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الحديث القدسى: (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى (أخرجه البخارى ومسلم). وقال تعالى: ﴿فاذكرونى أذكركم﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {٧} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {٨} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[2]، ولعلك يا أخى تعلم قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ والفلاح هو نيل كل المقاصد والفوز بجميع الرغائب، وأعظم مقصد للنفس التى تزكت تسارع إلى نيله هو الفوز بجوار رب العالمين فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وقد بشر الله من تزكى بالفلاح الذى هو الفوز بكل المقاصد، فالخلوة بالنفس: لتكميلها وتزكيتها وتخليتها عن رذائلها ورعوناتها ولقسها، حتى تؤهل للكمالات والفضائل والأحوال العلية والمقامات التى أعدها الله لأهل القرب.

آداب الخلوة بالنفس، وهى ثلاثة

آداب الخلوة الأولى:

منها جلسة المحاسبة: بأن تضع أمامك كفتى الميزان، ثم تضع ما ورد عليك من الله فضلا وإحسانا وبرا وإمدادا، وما أوجده سبحانه مؤهلا لحفظ صحتك وبقاء وجودك مما أحاط بك قبل وجودك، من نسيم وماء ونبات وحيوان وجبال وأنهار ومعادن وشمس وقمر وأنجم وأفلاك سيارات وثابتات، وسماوات بعضها فوق بعض، مما لا يُحصَى عدا ولا يستقصى حدا. ثم سل نفسك: لِمَ تفضل عليك بهذا الفضل العظيم واختصك بهذا الخير العميم ؟ أله إليك حاجة ؟ أم أوجدك لغاية لا يكمل إلا بها ؟ ثم جُلْ بفكرك فى روض نفسك الجنى، وفى

---

(١) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٢) سورة الشمس آية ٧-٩.

حدائق ما أحاط بك تجد كل الكون يسبحه ويتزهه عن الشريك والولد والوالد، وتراه مقهورا بقهره مربوبا لعزته، ينادى بلسان الحال والمقال: إنه غنى عنك لا تنفعه طاعتك ولا تضره معاصيك.

ثم ضع ما أعده لك بعد موتك من نعيم أبدى وجمال سرمدى إذا أطعت أمره واجتنبت نواهيه، وما يتفضل به على أحبابه مما لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين. ثم انظر إلى ما وهبه لك من العقل الذى به تعقل، والنور الذى به تقبل، وما أكرمك به من بعثة سيدنا ومولانا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وما أيدك به من العلماء الربانيين والحكماء الروحانيين، الذين يبينون لك سنن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ويفقهونك فى كلام الله ويدلونك على سبيل الله تعالى.. ثم انظر إلى ما يرد عليك من الله تجد نفسك عدما فى الحقيقة، لأنك بقيوميته قومت، وبقدرته صورت، وبعنايته أمددت وأوجدت، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

إذا حاسبت نفسك هذه المحاسبة فى خلوتك تحققت مقامك، وفتح لك باب التوبة فدخلت فى الخلوة الثانية وهى خلوة التائبين.

آداب الخلوة الثانية:

آدابها أن تضع ما قابلت به مولاك من سوء الأدب وقبح المخالفة، ونسبة ما هو له جل جلاله لنفسك ظلما منك وجهالة، فإذا تجلت لك حقائق ما أنعم به عليك إجمالا.. لأنك لا يمكنك أن تدركها تفصيلا قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[1] وكشفت لك الستارة عنك فعلمت ظلوميتك وجهوليتك، وأن مولاك مقبل عليك وأنت فار منه، ومحسن إليك وأنت ظالم لنفسك، تبرأت عند ذلك من أعمالك وأسرعت إلى التوبة، فإذا صوفى بشراب التوبة الطهور لزم هذا الشراب حتى يبلغ أرقى مقامات اليقين، فإن التوبة لا تفارق العبد الكامل فى منازل قربه. والكامل فى كل مقامات اليقين قوامه التوبة، ومزاجه مقامه الذى هو فيه، ولذلك فإن الله جل جلاله أمر حبيبه ومصطفاه بالاستغفار بعد أن نصره وفتح له

(١) سورة إبراهيم آية ٣٤.

مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا، بقوله سبحانه: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾[1]، وما ذلك إلا لأن التوبة لا بد وأن تكون ملازمة للعبد الكامل فى كل مقام من المقامات. ومن ترك التوبة قفل فى وجهه باب القبول. وإن العارف بالله ليتوب من صلاته كما يتوب الزانى والسكير من ذنبه.

آداب الخلوة الثالثة:

ثم يُفتحُ له باب خلوة المحبة بعد التوبة، وهكذا حتى يترقى إلى مقامات اليقين كلها خلوة خلوة، وبعد ذلك لا يحتاج إلى الخلوة لشهوده الحق فى كل شيء، ويكون فى خلوة مع نفسه ولو كان فى الأسواق وفى المصانع والمتاجر، بل وفى الملحمة الكبرى بين صفوف الأعداء. وقد شرحت آداب أهل هذه المقامات فى قسم علوم اليقين فى كتاب (أصول الوصول) وغيره، فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها هنا، غير أنى أذكر آدابا عمومية للخلوة بالنفس.

الآداب العمومية لأهل الخلوة بأنفسهم، وهى أربعة

الأدب الأول:

معلوم أن الأحوال السنية لا تكون إلا عن مقامات سنية. ولما كان إبليس- لعنة الله عليه- لا يعادى إلا أهل القرب، ولا ينغص إلا أهل المجاهدة، ولا يجلب بخيله ورجله إلا على أهل المشاهدة، كان أهل الخلوة بأنفسهم على خطر عظيم، قال ﴿ ﷺ وآله﴾: (الناس هلكى إلا العالِمون، والعالِمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلَصون، والمخلصون على خطر عظيم) (أخرجه السيوطى)، يشير ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى أن أهل المقامات إن لم يعصمهم الله سبحانه وتعالى بالخشية منه، ودوام مواجهته لهم بالعزة، ومكاشفة قدس جبروته الأعلى فقد يستولى عليهم العدو الذى قد يدخل عليهم بما يلائم نفوسهم، فإن لهم مداخل تخفى على الصديقين إن لم يعصمهم الله تعالى.

---

(١) سورة النصر آية ٣.

وإليك مثالا من دسائسه ووساوسه: لما أن أسكن الله تعالى آدم فردوسه الأعلى قامت قيامة إبليس- لعنة الله عليه- واجتهد أن يدخل عليه من باب يلائم شهوته وحظه، فمكث ينتظر تلك الزلة منه، حتى جلس آدم مع حواء يتآنسان، فقالت حواء لآدم: إن هذا النعيم فوق ما تشتهيه أنفسنا، فقال آدم لها: لو دام. فكانت هذه الكلمة الباب الذى دخل منه إبليس- عليه لعنة الله- فاجتهد حتى دخل عليها ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[١]، لو أكلت منها وأطعمت زوجك لدام لكما هذا الملك الكبير وخلدتما فيه، وكانت غايتهما التى يلتمسانها، فأنكرت حواء عليه فأقسم لها أنه لمن الصادقين، فأكلت مصدقة له وأطعمت زوجها فكان ما عَلِمْتَ، وآدم نبى الله وحواء آية الله التى صورها بيده، وهما فى جنة الله وفى جواره سبحانه، ومع ذلك فإنه- لعنة الله عليه- أوقعهما فى الخطيئة وأخرجهما من جوار ربهما ومن جنة النعيم، قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾[٢] فكان طمع آدم فى الخلود وفى الجنة مؤديا إلى معصيته الكبرى، وإهباطه مع زوجته إلى الأرض. دخل إبليس -لعنة الله عليه- عليهما من وجهة تلائمهما (وهما من علمت)، فكيف بك أيها السالك المسكين !! قال الله تعالى: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هُدِى إلى صراط مستقيم﴾[٣].

ومن علامة العصمة بالله أن تراقب الله جل جلاله فى صفاء صفائك، وأجلى بهائك، وفى أرقى مقامات قربك.. فشاهد ما أنت عليه من العجز عن شكر نعماه، ومن الافتقار إلى جدواه، ومن الاضطرار إلى عطاياه، ومن القصور عن القيام بما كلفك به إلا بحول منه وقوة، فإذا وفقك للقيام بعمل ما يحب فاجعل ذلك منة منه عليك، وفضلا منه سبحانه واصلاً إليك، وقف متذللا بين يدى عظمته، خاشعا أمام عزته، شاكرا لأنعمه، ذاكراً جدواه، وإياك أن يكون لك مراد سواه أو أمل فى غيره، فإن هذا مهاوى إبليس -عليه لعنة الله- ودسائسه الخفية، اجعل التوبة درعك التى تدفع بها أعدى عدوك، والإنابة سيفك الذى تقصم به ظهر

(١) سورة الأعراف آية ٢٠.

(٢) سورة الحج آية ٥٢.

(٣) سورة آل عمران آية ١٠١.

خصمك، وشهود منة الله عليك فى كل نفس معراجك الذى تسرى به إلى ربـــك، واجعـــل الخوف من ربك جل جلاله باب القرب منه، وميزاب استترال فضله العظيم، قال الله تعـــالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾(١).

الأدب الثانى:

اعلم أن أئمة الفرقة الناجية إذا خلوْا بأنفسهم بكوا خشية على إيماهم، ثم أقبلوا بكل قلـــوبهم على ربهم خوفا من أن تكون فيهم شائبة حب لغيره أو رغبة فى غيره سبحانه، لأن الإيمـــان فى القلوب أشد نفورا من الجمل النـــّـفور. فقد يقول الرجل الكلمة لا يلقى لها بالاً فلا تخـــرج من فمه إلا وقد خرج إيمانه، وقد يعمل العمل فلا يدانيه إلا وقد سلب إيمانـــه، قـــال ﴿ ﷺ وآله﴾ لأبى بكر الصديق: (إن الشرك ليجرى فى ابن آدم مجرى الدم) (أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة بلفظ إن الشيطان). وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ (لا يزنى الزانى حين يزنى وهـــو مؤمن، ولا يشرب الخمرة حين يشربها وهو مؤمن).. فى حديث طويل، وقـــال صـــلوات الله وسلامه عليه: (أنتم فى زمان قليل حفاظه كثير فقهاؤه قليل سائله كثير معطيه، وسيأتى علـــى الناس زمان كثير حفاظه قليل فقهاؤه كثير سائله قليل معطيه، يصبح الرجل مؤمنـــا ويمســـى كافرا، يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم مـــن الرميـــة) (أخرجه الطبرانى). وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(٢) كـــان أصحاب رسول الله يبكون خوفا على إيماهم مع أهم أهل مقامات اليقين الكامـــل، ولكنـــهم علموا من الحق سبحانه ما جعلهم يراقبونه جل جلاله مراقبة من يعلم أنه لا يسئل عما يفعـــل. وسئل الحسن البصرى التابعى أمؤمن أنت ؟ فقال: أمـــّـــا كما قـــال الله تعـــالى: ﴿ إِنَّمَـــا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... الآية ﴾(٣) فلا. وكان التابعون من خـــوفهم إذا سئل أحدهم: أمؤمن ؟ فيقول: مؤمن إن شاء الله، خوفا على نفسه من ســـلب الإيمـــان، لأن

---

(١) سورة الرحمن آية ٤٦.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٦.

(٣) سورة الأنفال آية ٢،٣.

الإيمان فضل من الله تعالى يهبه لمن يشاء بفضله ويسلبه بعدله، أسأل الله تعالى أن يعيذنى بوجهه الجميل من عمل أو قول أو حال أو اعتقاد يسلب الإيمان، إنه مجيب الدعاء.

الأدب الثالث:

فأئمة الفرقة الناجية من أهل الله الصالحين فى خلوهم الثانية فى مقام محبوب،لهم مراقبة خاصة بهم عن مشاهد اتحاد فى توحيد، فيجاهدون أنفسهم أكبر الجهاد فى أن يتحد مرادهم ومراد ربهم سبحانه، فلا يكون لهم مراد إلا مراده جل جلاله، وتتحد عزائمهم فيما فرض عليهم ورغبهم فيه، فلا تكون لهم عزيمة إلا فيما أوجب وما رغّب فيه، ليتحد ظاهرهم وباطنهم فى مشهدٍ واحدٍ أحدٍ فاعل مختار لا شريك له، يعملون الأعمال بجوارحهم المجترحة وسرهم يشهد فاعلا مختارا، فلا يشهدون لأنفسهم عملا- اللهم إلا فى مقام الأدب مع الإله الكبير المتعال، فإنهم ينسبون ما قدَّره جل جلاله عليهم من معاصيه لأنفسهم- خاشعة قلوبهم مسارعين إلى الندم والأسف والحزن على ما فعلوه من مخالفة ربهم سبحانه ومعصية نبيه ﴿ﷺ وآله﴾، مع ملاحظة السر أن هذا فعل الله لا فعلهم، وإنما توبتهم بنسبة جعلتهم يشهدون أنه سبحانه وتعالى ما أقامهم فى معصيته إلا لأنه يكرههم، ولو أحبهم لوفقهم لما يحب، فتكون توبتهم عن ندم وإقلاع، ويشهدون من الذنب الواحد كبائر كثيرة، أذكر منها ما يتحمله عقل المريد:

يشهدون أنهم بالمعصية الواحدة حقَّروا الجناب المقدس وهو العلى العظيم، وفرحوا بما يغضبه وهو الشقاء الأبدى، وخالفوا حكمه وهو الموجب للعقوبة يوم القيامة، فيسارعون إلى الندم على ارتكاب الذنب، والإقلاع عن عمله بعزم صحيح على عدم العودة، فهم يثبتون الوسائط والأسباب بظاهرهم فيسارعون إلى تنفيذ الأحكام، لأن الحق جل جلاله جعل الأسباب التى هى الأواسط مراقى لقربه ومعارج للوصول إليه، ويشهدون الواحد الأحد المنزه عن المساعد والمعين، العلى عن أن يكون لأحد غيره عمل ما بسر صفا عن حظ وهوى، وهم الذين عصمهم الله من السقوط فى أوحال التوحيد ومن الوقوع فى مهاوى الشرك الأخفى، وهم أهل مشاهد التوحيد بالتوحيد، العبَّاد المخلصون لله الأولياء، تولاهم الله فعصمهم من الشيطان، ووالاهم بمواجهة العزة وقدس الجبروت الأعلى، فوجهوا وجوههم ظاهرا وباطنا إليه سبحانه وتعالى مخلصين له الدين، كما قال الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1] وهم صفوة الله الذين أخفاهم عنهم به، وأظهرهم له به سبحانه، فهم معه وهو معهم.

الأدب الرابع:

من آدابهم القيام بواجب العبودية ظاهرا وباطنا، فترى أجسامهم على الأرض مشهودة للخلق يعلمون ما أوجبه الله عليهم، لا يتميزون عن الخلق إلا بما جملهم الله تعالى به من معانى الخشوع وجمال الأخلاق والمسارعة إلى الخير العام، فيقصدهم الناس لنجاح مقاصدهم وصفاء قلوبهم وزوال الخصومة بينهم، فلا يميزهم الناس عنهم إلا بما فطرهم الله عليه، وصبغهم به من صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، فهم الرحماء ولو بعدوا، وهم الحلماء ولو أوذوا فى أنفسهم، لا يغضبون إلا لله، يألفون ويؤلفون.

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٩.

الفصل الرابع

آداب الفرقة الناجية فى سفرهم، وهى سبعة[1]

[الأول: أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته، وبرد الودائع إن كانت عنده، ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب ليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه. وقال ابن عمر رضى الله عنهما: من كرم الرجل طيب زاده فى سفره.

ولا بد فى السفر من طيب الكلام، وإطعام الطعام، وإظهار مكارم الأخلاق، فإنه يخرج خبايا الباطن. ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر. عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: بينما نحن فى سفر مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إذ جاءه رجل على راحلة، فجعل يضرب يمينا وشمالا، فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) قال: فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل (رواه مسلم وأبو داود وأحمد).

الثانى: أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده، فالرفيق ثم الطريق، وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسى، ويعينه ويساعده إذا ذكر، فإن المرء على دين خليله، ولا يعرف الرجل إلا برفيقه. وقد نهى ﴿ﷺ وآله﴾ عن أن يسافر الرجل وحده (رواه أحمد)، وقال: الثلاثة ركب(رواه أبو داود والترمذى والنسائى). وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (إذا كنتم ثلاثة فى السفر فأمروا أحدكم) (أخرجه الطبرانى وأبو داود)، وكانوا يفعلون ذلك ويقولون: هذا أميرنا أمره رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وليؤمروا أحسنهم أخلاقا، وأرفقهم بالأصحاب، وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة. عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، فكان أبو لبابة وعلى بن أبى طالب زمِيلَى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، قال: فكانت إذا

---

(١) راجع (إحياء علوم الدين) للغزالى جـ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها بتصرف.

جاءت عقبة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قالا: نحن نمشى عنك، قال: (ما أنتما بأقوى منى، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما) (رواه أحمد).

الثالث: أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء، وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾. قال بعضهم: صحبت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من مكة إلى المدينة، فلما أردت أن أفارقه شيعنى وقال: سمعت رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول: (قال لقمان: إن الله تعالى إذا استــُودِعَ شيئا حفظه، وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك) (رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد)، وقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعلٌ له فى دعائهم البركة) (أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق). وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ كان إذا ودع رجلا قال: (زوَّدك الله التقوى، وغفر ذنبك، ووجَّهك إلى الخير حيث توجهتَ) (أخرجه الخرائطى والمحاملى فى الدعاء والغزالى فى الإحياء).

الرابع: أن يصلى قبل سفره صلاة الاستخارة وهى أربع ركعات، فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: إنى نذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فإلى أى الثلاثة أرفعها: إلى ابنى أم أخى أم أبى ؟، فقال النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن فى بيته إذا شد عليه ثياب سفره، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، ثم يقول: اللهم إنى أتقرب بهن إليك فاخلفنى بهن فى أهلى ومالى، فهى خليفته فى أهله وماله، وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله) (أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق).

الخامس: إذا حصل على باب الدار فليقل: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، رب أعوذ بك أن أضل أو أضلَّ، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علـى، فإذا مشى قال: اللهم بك انتشرت، وعليك توكلت، وبك اعتصمت، وإليك توجهت، اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى، فاكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، اللهم زودنى التقوى، واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت. فإذا ركب الدابة فليقل ما كان يقول ﴿ﷺ وآله﴾. عن ابن عمر أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ كان إذا استوى على البعير خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال: ﴿ سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا

كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {١٣} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾[1] ثم يقول: (اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب، فى المال والأهل والولد. فإذا رجع قالهن وزاد فيهن: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون) (رواه مسلم). وقال: (اللهم بارك لأمتى فى بكورها) (رواه أبو داود ووابن ماجة والترمذى). ويستحسن أن يبتدئ فى الخروج يوم الخميس. وروى أبو هريرة ﷺ أنه ﴿ﷺ وآله﴾ قال: (اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها) (أخرجه ابن ماجة والخرائطى).

السادس: والتشييع للوداع مستحب وهو سنة. قال ﴿ﷺ وآله﴾: (لأن أشيع مجاهدا فى سبيل الله فأكتنفه على رحله غدوة أو روحة أحب إلى من الدنيا وما فيها) (رواه ابن ماجة وأحمد).

السابع: أن يرفق بالدابة إن كان راكبا، فلا يحملها ما لا تطيق، ولا يضربها فى وجهها فإنه منهى عنه، ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة.. كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى، فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم) (رواه أبو داود) وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (إذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم فى الجدب فأسرعوا عليها السير، وإذا عرشتم فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل) (رواه مسلم وأبو داود والترمذى وأحمد). ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك، فهو سنة، وفيه آثار عن السلف.

وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة، ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة. ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة إذ فى كل كبد حراء أجر. قال أبو الدرداء ﷺ لبعير له عند الموت: أيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فإنى لم أك أحملك فوق طاقتك. وفى النزول ساعة صدقتان: إحداهما ترويح للدابة، والثانية إدخال السرور على قلب المكارى [2]] أ.هـ.

---

(١) سورة الزخرف آية ١٢،١٣.

(٢) المكارى: المستأجر لخدمة الدواب.

الفصل الخامس

آداب الفرقة الناجية فى المجالسة

اختلف أئمة الفرقة الناجية فى: هل الاجتماع على الخلق مع السلامة منهم خير ؟ أم العزلة عن الناس خير ؟ فكان رأى أكثرهم أن الاجتماع بالخلق مع السلامة منهم صفة الكمل المتمكنين المتجملين بالأخلاق، لأن اجتماعهم على الناس يكسبون به مكاسب روحانية منها : تحملهم أذية الخلق، ومنها بذل النصيحة للعالم، وفضل العلم والجاه والمال، والسعى فى الإصلاح، ودفع المظالم، كل ذلك بعد الجهاد فى سبيل الله، ولا يستوى القاعد والمجاهد فى سبيل الله عند الله. وأما الذين اعتزلوا الخلق- فإنهم فضلا عن تركهم القيام بما لا بد لهم منه من طلب العلم والمعاش وشهود الجماعات ومعاونة أهل الحاجة- فإنهم فى عمل كثيرُهُ لا يساوى قليل العمل مع الناس، إلا إذا كانت معاشرة الناس تؤدى إلى ما يغضب الله تعالى فالعزلة خير.

وتفصيل هذا الموضوع: أن من قوى على معاشرة الناس وتمكن من السلامة منهم فالأولى له الاجتماع على الناس، ومن لم يقو على معاشرتهم فالأولى العزلة له إلا ما لا بد له منه. ولما كان على كل مسلم لكل مسلم حق تقتضيه الشئون، وكانت تلك الحقوق تسمى الآداب الإسلامية التى يسارع لها من تزكت نفسه، وتأدب بآداب القرآن الكريم، أرى أن المسلم يجاهد نفسه الجهاد الأكبر حتى يتأدب بالآداب المحمدية، وأن يجتهد أن يعاشر الناس ويجالسهم لينتفع وينفع، ويتمرن على المجتمعات التى تكسبه الثواب فى الآخرة وحسن الأحدوثة فى الدنيا، خصوصا إذا كان مطالبا بنفقة لزوجة وأولاد وأقارب، أو كان عالما، أو ذا صنعة مفيدة لإخوته المؤمنين، فيجب عليه أن يجاهد نفسه حتى يكون متجملا بالأخلاق التى تجعله محبوبا عند الناس. أما من كان مسترشدا على يد المرشد فهو مع الأستاذ بالخيار: إن أمره الأستاذ بالعزلة بادر إليها، وإن أمره بمعاشرة الخلق ومجالستهم سارع إليها.

ولما كانت الآداب التى تجملت بها الفرقة الناجية من التشبه برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وكان ﴿ﷺ وآله﴾ الرءوف الرحيم بعشرائه وجلسائه، الحريص على تأليف القلوب

عليه، كان الواجب على كل مسلم أن يتأدب بتلك الآداب الفاضلة، وأن يتجمل بتلك الأخلاق الكاملة، حتى يفوز بجميل الثواب يوم القيامة، ولسان الصدق فى الآخرين.

آداب حُسْن المُجا لسة:

أما حسن المجالسة فقد قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة) (رواه أبو الشيخ عن ابن مسعود) فلا يحل لأحدهما أن يفشى على أخيه ما يكره. وآدابها:

١- ألا يعين ظالما على ظلمه، ولا يفتح باب شر على أحد من الناس أمام من يمكنه أن يؤذيه، ولا يذكر غائبا بسوء إلا إذا كان متفضحا وسئل عنه على سبيل نصيحة أو مشورة.

٢- ويلزم أن يغض بصره فى المجالس عن عورات المجلس خصوصا إذا جلس مع رجال ونساء، فيجب عليه أن لا يحدق ببصره إلى النساء، ولا أن يصغى بأذنيه إلى اثنين يتكلمان فى المجلس إلا إذا دعياه إلى سماع الكلام.

٣- أن لا يتكلم سرا مع جليسه إذا كان معهما ثالث فإن ذلك يحزنه، ولا يتكلم بلغة لا يفهمها الثالث، وليتجنب اللمز والهمز والإشارة باليد أو بالعين أو باللسان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَيَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيْمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١).

٤- وعلى كل مسلم أن يكون بشوش الوجه لمجالسيه ما داموا فى خير، فإذا تكلموا فى غير الخير فالواجب عليه أن يذكرهم بحكمة، ويبين لهم شر التكلم فيما يضر ولا ينفع، أو يصمت إن خاف عنادهم، أو يفارق المجلس إن كان ذلك لا ضرر فيه عليه.

---

(١) سورة الحجرات آية ١١.

٥- أن يجتهد المسلم فى إدخال السرور على جليسه بقدر استطاعته، فلا يذكر عورة من عوراته يريد بها احتقاره، ولا ينتقد عليه فى عمِلٍ مباحٌ عملُه، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (إن الرجل ليقول الكلمة فى المجلس لا يلقى لها بالاً يُضْحِكُ بها الناس يهوى بها فى النار سبعين خريفا) (رواه البخارى ومسلم والترمذى ومالك وأحمد).

وجلساء الرجل: إما أن يكون مضطرا أن يجالسهم أو غير مضطر. أما الذين لا بد من مجالستهم كمن معه فى مزرعته أو مصنعه، أو شركاؤه فى تجارته، أو معه فى بيت واحد، فإخوانك الذين معك فى المزرعة أو المصنع أو التجارة يلزمك أن تجتهد فى استجلاب مودتهم لك وحبهم بما يمكنك، مما لا يغضب الله سبحانه وتعالى ولا يخالف السنة. ويجب عليك أن تحفظ لسانك عن ذكر عوراتهم وهفواتهم أمامهم أو خلفهم، فإن كل إنسان لا يخلو من عيوب يجتهد أن يخفيها عن الناس ولكنها تظهر قهرا عنه. وكما أنك يا أخى تحب أن تخفى صغائرك وهفواتك عن الناس، فالواجب عليك أن تخفى هفوات أخيك وصغائره وعيوبه عن الناس وعنه فى حضوره، ما دامت لا تضره دنيا ولا دينا، فإن كانت تلك الأعمال مما يضره دنيا أو دينا فالواجب عليك أن تختلى به وتنصحه بطريقة يقبلها، لا تريد بذلك احتقاره ولا تهديده والتنديد به.

٦- ومن أكمل صفات رجال الفرقة الناجية أن يحفظوا أسرار المجالس. ومن أقبح صفات أهل النقائص أن الرجل يجلس فى المجلس ثم يقوم منه فينشر أخباره لكل من لقيه. وقد يبلغ الجهل ببعض الحمقى أنهم ينشرون معاصيهم ورذائلهم حتى خلوتهم بنسائهم. يقول ﴿ﷺ وآله﴾: (المجالس بالأمانات) (رواه الخطيب فى التاريخ عن سيدنا على عليه السلام). وورد أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أسبل الله عليه ستره فكشف عنه ستر الله، ومعنى ذلك أن الرجل يعمل المعصية ليلا أو فى خفاء عن الناس ثم يخرج فيذكر عمله للناس.

٧- ومن محاسن الآداب فى المجالسة أن لا يتجسس المؤمن ولا يتحسس، وأن يجتهد أن يجعل فى كل مجلس جلس فيه عملا صالحا يرفع له من ذكر الله، أو نصيحة أخ، أو رد غيبة عن أخ صالح، أو توبة عن ذنب عمله فى المجلس.

٨- أن يتباعد الرجل عن الجلوس بجوار زوجة غيره، ولا يسارع إلى قضاء حوائجها ما دام معها محرم لها، ولا يلامس جسدها لمعونتها فى مشى أو ركوب أو نزول إلا إذا كان محرما لها. وإذا دعت الضرورة أن يتكلم معها يجب أن يجعلها خلفه على يمينه أو يساره إذا كان واقفا، وإن كان جالسا يجب أن يجلسها إن استطاع فى الجهة التى لا تكون مواجهة له، بل يجعل محل نظره الجهة التى لا يراها فيها. وإن دعت الضرورة أن يواجهها بوجهه فعليه أن يغمض بصره، أو يطأطأ رأسه، أو يلفت عنقه، فإن عمله هذا مرضاة لله، محمدة عند الناس، موجبة لمحبة الخلق وثقتهم، موجبة لكمال حياء المرأة، فإن الأصل فى المرأة الحياء، وإنما يقوى عندها إذا تجمل الرجل به أمامها.

٩- ومن الآداب أن لا تختلى بامرأة أجنبية منك مهما وثقت من نفسك، فإنك أعلم بنفسك من غيرك. فإذا كنت واثقا من نفسك أن خلوتك بها لا تشغل قلبك ولا تنقض وضوءك لما تراقبه من الخوف من الله سبحانه ومن عقوبته، فهل المرأة بلغت ذلك ؟ فإن لم تخف على نفسك يا أخى فخف عليها أن توقعها فى المعاصى.

١٠- ومن آداب المجالسة أن يجلس الصبيان وراء الظهور، وأن يترك الرجل البسط مع الصبيان مطلقا إلا مع ابنه أو ابن أخيه أو من له به نسب من سن السنة الخامسة، حفظا لآداب الصبى وبعدا عن الشبه.

١١- ومن آداب المجالسة أن يجتهد المسلم فى حفظ لسانه مما يخجل من ذكر العورات، وإذا كان لا بد من ذكر شيء من العورات فليعبر عنه بكناية أو إشارة.

١٢- ومن الآداب التى يراعيها المسلم أن لا يطمع فيما فى يد أخيه، ويجتهد أن لا يخسره شيئا مما له. والأولى أن يكون متفضلا مسارعا إلى فعل الخير، مساعدا أخاه بماله ونفسه، فإن ذلك من أخلاق المؤمنين الذين يمنحهم الله فضله ورحمته ورضوانه.

١٣- وأساس المجالسة التسامح، فإن الرجل المتسامح الكريم الأخلاق إذا سمع كلمة من مجالس تكدره، أو رأى عملا يكدره، حمله من أخيه على أجمل محامله فيدوم بذلك الصفاء.

ومعلوم أن أكثر الخصومات والمنازعات قد تنتج من كلمة يقولها الجليس لجليسه بسلامة نيـــة، فيردها عليه بحماقة ويتأولها شر تأويل، فتوقد نار البغضاء، ومعظم النار من مستصغر الشــــرر، فقد يقول الأخ الكلمة الثقيلة على أذن أخيه لا يقصد بها إلا خيرا. ولو حمل الأخ كلمة أخيـــه على أجمل محامله لدام الصفاء والوفاء، ولكان المسلمون كالجسد الواحد كما شبههم رســـول الله ﴿ ﷺ وآله﴾. وإن اللسان شر أبواب جهنم، يقول ﴿ ﷺ وآله﴾: (وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم) (أخرجه الخرائطى فى مكارم الأخلاق). وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* وَمَثَلُ كَلِمَـــةٍ خَبِيثَـــةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ* يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِـــتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[1].

المجالس التى ابتدعها الناس

وقد ابتدع الناس مجالس يقتلون فيها أوقاتهم، ويسودون فيها صحفهم، أمـــا أنهـــم يقتلون فيها أوقاتهم، فإنها ليست لعمل فى الدين ولا فى الدنيا، وكفى الإنسان العاقل المطالـــب فى كل نفس بحق متعته، أن يأتى يوم القيامة وقد ترك القيام بواجب أوقاته.

وأما كون تلك المجالس تسود الصحف، فلأنهم يجلسون فيها إما لشرب المحـــرم، أو للفخر والرياء، أو للتعاون على الإثم والعدوان، أو لكشف عورات الناس، وقد عظمت البلية، حتى كثرت تلك الأماكن المعدة لتلك المجالس، وصارت مفسدة للأخلاق، فإن شياطين الإنس جعلوا لها أماكن فى المواضع العامة، وأعدوا فيها كل منكر من طعام وشراب، ونساء متبرجات وغلمان، كل ذلك مصائب لإلقاء المسلمين فى مهاوى غضب الله تعالى، حتى صار ســـخيف العقل يخرج من بيته الطلق الهواء، الجميل الفراش والرياش وهو فيه آمر مطاع، فإذا ســـئل إلى أين؟ يقول: استنشق الهواء، فيذهب إلى بؤرة فساد فى وسط الشارع، تنبعـــث منـــه روائـــح القاذورات، وأنفاس المارة وتعلو به الضوضاء بأصوات السوقة، فيجلس وعلى يمينـــه مواقـــف

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٤-٢٧.

السيارات وعلى يساره روث الحيوانات، فيستنشق هواء ممزوجا، بأخبث الروائح، بين قوم يكون معهم محتقرا منتقدا، فيخسر ماله ودينه وجاهه، ويشرب فى أقداح تنفس فيها المرضى بالأمراض القتالة، وربما جلس بجواره مريض بمرض يجب شرعا الفرار منه، يجلس المسلم بهذا الحال فى هذه المجالس، فيسمع الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، ينادى لها المؤذن، وكأنه أصم لا يسمع، وبهيم لا يعقل.

وعندى: أن المساجد الآن أنقى هواء من الملاهى، وأدعى لانشراح الصدر، ولترويح النفس، فإن المسلم إذا توجه إلى المسجد، يستنشق هواء جيدا نقيا، لأن المساجد غالبا تكون فى الأماكن البعيدة عن القاذورات، وتكون كثيرة النوافذ، ويجد فيها من يثنى عليه ويحبه، لقيامه بما فرض الله عليه، ويتعرف فيه بإخوان الصدق، الذين يكونون جمالا له فى غناه، ومالا له فى فقره، يسألون عنه إن غاب، ويثنون عليه، ويسرون به إن حضر، ويخلصون له.

فيا الأخ التارك لقصرك، الذى جمع أنواع مسراتك، التارك لبيت ربك الذى به نيل سعادتك فى الدنيا والآخرة، المسارع إلى الملاهى، ما الذى اكتسبته من العلم أو الجاه أو الصحة؟! ومن هم الإخوان الذين تكسبهم فى الملاهى؟! وهم أخدانك ما دمت غنيا قادرا على مساعدتهم، فإذا دعت الضرورة- ولا يخلو إنسان من الضرورة- كانوا عليك لا لك. كل هذا فى الدنيا، وفى الآخرة عذاب شديد، وخصومة بينك وبينهم، وعداوة شديدة.

إذا أردت يا أخى أن تؤاخى إخوان صفاء، وخلان وفاء، فاجتهد أن تصطفى لك إخوانا من المساجد، ومن مجالس العلم النافع، ومن أهل التقوى. وكل أخ غير هؤلاء فهو عليك لا لك، وكل جليس لا تدعوك الضرورة إلى مجالسته غير هؤلاء، فهو مرض ينبغى أن يفارقه الإنسان بحكمة حكيم، خصوصا شياطين الإنس الذين يعينون على معصية الله، ومخالفة سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فإنهم ألد الأعداء وأسوء الجلساء. وقد أمرنا الدين بالاجتماع، وعين لنا مكان الاجتماع وزمانه، لتدوم صحتنا وتجدد بهجتنا، وتقوى أمتنا.

من المأثور عن آداب المجالسة:

قال ﴿ﷺ وآله﴾: (ثلاثة من المروءة فى الحضر: تلاوة كتاب الله عز وجل، وعمارة مساجده، واتخاذ الإخوان فى الله تعالى)

وكان سعيد بن العاص يقول: لجليسى على ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له.

وقال أبو جعفر محمد بن على لابنه جعفر عليهم السلام: لا تصحبن من الناس خمسة واصحب من شئت: الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب، والأحمق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلمك ماله ونفسه عند الشدة، والفاجر فإنه يبيعك بأكلة أو بأقل منها، قلت: وما أقل منها ؟ قال: الطمع.

وقال بعض الحكماء: عاملوا الناس بمحض المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة، وسوسوا السفلة بالمخافة، ومثل جملة الناس كمثل جملة الشجر:

- منهم من له ظل وليس فيه ثمر، وهذا الذى فيه نفع من الدنيا ولا ثمر له فى العقبى، ويُحتاج إليه فى وقت.

- ومنهم من فيه ثمر وليس له ظل، وهذا يصلح للآخرة ولا يصلح للدنيا.

- ومنهم من فيه ظل وثمر، فهذا الذى يصلح للدين والدنيا وهو أعزها.

- ومنهم من لا ظل له ولا ثمر، وهذا هو الذى لا يحتاج إليه، فمثله فى الشجر مثل شجر الغضا (وهو شوك البرية التى تسميه العامة أم غيلان) تمزق الثياب لا طعام فيه ولا شراب، فهذا فى

الناس يضر ولا ينفع، ويكثر ولا يدفع، ومثله كما قال الله تعالى: ﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾[1].

أهل الفرقة الناجية من الصوفية:

- يخافون الله فى خلقه، ولا يخافون الخلق فى الله.

- ويحبون الله فى خلقه، ولا يحبون الخلق فى الله.

- ويتقربون إلى الله فى خلقه، ولا يتقربون إلى الخلق فى الله.. فهم فى جميع أحوالهم يعاملون الله فى خلقه.

منحهم الله الرأفة والرحمة بالوراثة من رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، والمحافظة على كمال اتباعه ﴿ﷺ وآله﴾ والاقتداء به، فتراهم يحرصون فى مجالستهم مع الخلق ومعاشرتهم على الفوز برضوان الله الأكبر ببذل ما فى وسعهم من الخير لجليسهم وعشيرهم، فهم العلماء الرحماء الحلماء الحكماء. يراقبون الله فى كل أنفاسهم ولحظاتهم ويسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض. ويتعاونون على البر والتقوى. قال تعالى: ﴿ وتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[2] أحبوا لكل أخ من المسلمين ما يحبونه لأنفسهم، وبدأوا بإيثار جليسهم وعشيرهم بالخير على أنفسهم كما قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[3] يجوع الرجل منهم ليشبع أخاه، ويتعب ليريحه، ويسهر لينام أخوه.. لا يقصدون بذلك من الخلق جزاء ولا شكورا كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً ﴾[4] ولهم فى تلك المعاملة مشاهد روحية ومراقبات عن عين اليقين، فهم فى مزيد من المسارعة والتعاون، لأن الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة الحج آية ١٣.

(٢) سورة المائدة آية ٢.

(٣) سورة الحشر آية ٩.

(٤) سورة الإنسان آية ٩.

يواجههم فى كل أحوالهم مواجهة يقوى بها حالهم وهممهم وإقبالهم ورغبتهم فى الله وفيما عند الله.

١٤- أن الجليس يفسح لأخيه عند احتياجه لذلك قبل أن يلتمس أخوه منه.

١٥- ومن أكمل الآداب أن الجالس يترل القادم مترلة من التكرمة، خصوصا إذا كان ذا شيبة أو عالما أو صاحب المترل أو ذا سلطان، فيتنحى له عن المجلس المناسب له، مع غض البصر، وعدم إظهار التفضل عليه.

١٦- ومن آداب المجالسة أن لا يجلس الرجل على محل تكرمة الرجل فى مترله إلا بعد إذنه له، ولا ينصرف من المجلس حتى يستأذن، لأن كل تلك الآداب تقوى روابط المحبة، وبها ينال العبد رضوان الله تعالى ورضوان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ورضاء إخوته المؤمنين.

١٧- ومن آداب المجالسة أن يتوقى الجالس الغضب ولو حصل له ما يغضب، فإنه ربما غضب بما يغضب فأدى غضبه إلى ما لا يرضى الله ورسوله، وليدفع بالتى هى أحسن كما قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1].

١٨- ومن آدابهم فى مجالسهم أن يجتهد كل واحد منهم فى أن يدخل السرور على قلوب جميع جلسائه. وكانوا إذا جلسوا أو نطق أصغرهم سنا صغوا جميعا إليه لكمال آدابهم ولطمع أن ينطق بحكمة. وكان أصغر الناس فى مجالسهم أعظمهم ما دام على الحق، وأعظمهم أصغرهم إن وقع فى باطل مع كمال آدابهم، فإن تلك الآداب كانوا يبتغون بها وجه الله تعالى، كانوا إذا سمعوا امرأة تتكلم قالوا: أنصتوا عسى أن تنطق بخير.

شُغِلوا بالله سبحانه وتعالى فاتسعت قلوبهم وانشرحت صدورهم ودام أنسهم بالله تعالى، حَسُنَ ظنهم فى الله تعالى حتى غلب عليهم حسن الظن، فكانوا إذا سمعوا شرا من غيرهم أوَّلوه إلى الخير، وأساؤوا ظنهم بأنفسهم. يئسوا من أن ينالهم نفع أو ضر من الخلق فاستوت عندهم حالة الخلق تعظيما واحتقارا وإقبالا وإدبارا، وقاموا بما عليهم من الحقوق لغيرهم ابتغاء مرضاة الله، و لم يطالبوا غيرهم بالحقوق التى هى لأنفسهم كما قال ﴿ﷺ وآله﴾: (المؤمنون هينون لينون)

---

(١) سورة فصلت آية ٣٤.

(رواه البيهقى فى شعب الإيمان، وابن المبارك عن مكحول). وكما قال الله تعالى: ﴿ وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾[1].

١٩- ومن آداب المجالسة ما ورد أن بعض بنى أمية جلس فى مجلس أحد خلفائهم فقال: إن الناس يبالغون فى على بن أبى طالب وفى علمه وحكمته، وإنى قد رأيته بالأمس فى النوم ووجدته دون ما يخبرون به عنه، فقال: وماذا رأيت ؟ قال: رأيته فنبذته وسببته فعُقِدَ لسانه، وصار يقول: سلاما سلاما، فسبه الخليفة وقال: ما تـرَكَ من أكمل الحكمة شيئا.. أراد قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾، فهذه حالتهم ولو مع الجاهل فى الرؤيا المنامية. وسب رجل سيدنا أبا هريرة فقال له: يا هذا إن أغضبتَ الله فى فإنى أرضى الله فيك. وقال رجل لرجل مرة: يا كافر، فقال له: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: يا منافق، فقال: تبت إلى الله ورجعت إلى الله، فقال: أريد أن أغضبك، فقال: من بين لى عيوبى أرضانى.

٢٠- وآداب المجالسة تتفاوت بحسب مراتب الجالسين، ومجملها أنك إذا جلست مع العالم فأمسك لسانك واصغ، وإذا جلست مع الولى فأمسك قلبك لترد عليك واردات الحق، وإذا جمع الله الولاية والعلم فى رجل فأمسك قلبك ولسانك، وإذا جلست مع ذى سلطان فجمل له ظاهرك، واكتم سره، وألِن له الكلام فى النصيحة، وغض بصرك عن حرمه، وإذا جالست العامة فتجنب المزح والمنافسة فى شئ يسارعون إليه، واستخدمهم بما يشرح صدورهم منك إن استطعت، وإذا جلست مع من ليسوا على مذهبك فسلم لهم مذهبهم ولا تعارضهم بمذهبك، فإن مذهبا لا يعارض مذهبا، وإذا سئلت فجاوب على قدر السؤال.

٢١- ومن آدابهم أنهم إذا مدحوا فى المجالس شكروا الله الذى أظهر الجميل وستر القبيح، وإذا ذم رجل رجلا من أهل الفرقة الناجية قال: اللهم إن كان صادقا فاغفر لى، وإن كان كاذبا فاغفر له.. تشبها بأصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾. وجاء رجل إلى سيدنا ومولانا الحسين بن على عليهما السلام فقال: يا ابن بنت رسول الله إن فلانا سبك أمام الخليفة، فقال: اللهم إن كان صادقا فاغفر لى، وإن كان كاذبا فاغفر له.

---

(١) سورة الفرقان آية ٦٣.

ومن علم أن أعماله وأقواله وأحواله محصاة عليه، وأنه سيسأل عنها يوم القيامة بخل بأنفاسه أن يصرفها إلا فى طاعة الله. ومن أحب أن يكون كريما عند الله محبوبا لجنابه العلى لا يضره احتقار الخلق له، ولا يفرحه تعظيمهم إياه.

والمؤمن يظهر كمال إيمانه فى ثلاثة مواطن: فى البر والصلة بأقاربه، وفى المسارعة إلى عمل ما أوجبه الله، وفى حسن مجالسته ومعاشرته.

ومن لم يستطع أن يقهر نفسه لتتجمل بتلك الآداب فالأولى له أن يخدم الدواب سنين حتى يكتسب منها الصبر والتواضع والطاعة ودفع المضرة وجلب المنفعة، ورجل يكون البهيم الأعجم أكمل منه أدبا، هو رجل على مدارج الهاوية.. نعوذ بالله.

الفصل السادس

آداب الفرقة الناجية مع العمال

الرحمة بالعمال هى أم صفات مكارم الأخلاق، لأن معاملة العمال بالحنانة والعاطفة والرفق دليل على رقة القلب وعلم الإنسان بأنه عبد لمولاه، وأن الذى رأسه على هؤلاء قادر أن يجعله أجيرا حقيرا، فيشكر المنعم بالإكرام لعماله، والإحسان إلى المحتاجين بمعونته وإلى القائمين بخدمته، فإنهم شركاؤه فى الإنسانية، مشاكلوه فى الآدمية، يسرهم ما يسره من الرحمة، فإذا شاهد هذا المشهد حفظ الله عليه النعم، ووسع له الرياسة حتى يجعله سيد أهل عصره وعظيم أهل زمانه، ويزيد على ذلك ما يناله من الفضل العظيم والنعيم المقيم عنده فى دار الخلد فى جوار الله ومعية رسله صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

وتلك المعاملة بأن يحمِّلهم دون طاقتهم، ولا يعاقبهم إذا تساهلوا، بل يضع نفسه موضعهم وما يحب أن يُعَامَلَ به يُعاملهم به، ويغض بصره عن هفواتهم، ويديم لهم البشر والانشراح والتنشيط، حتى يكون عملهم عن قلب مخلص وضمير مستريح، فيفوز بنجاح عمله، ومحبة عماله، وتعزيز جانبه، وحسن السمعة فى الدنيا. والمثوبة فى الآخرة، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (لا تنزعُ الرحمة إلا من شقى) (رواه الترمذى وأحمد وابن حبان والحاكم). وقال عليه الصلاة والسلام: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء) (رواه أبو داود والترمذى). وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) (رواه الترمذى وأبو داود وأحمد). وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (ما من امرئ مسلم يخذلُ امرأً مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتقص من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته) (رواه أبو داود وأحمد والضياء المقدسى). وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤودة) (رواه البخارى فى الأدب المفرد، وأبو داود والحاكم). وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (المجالس بالأمانة إلا

ثلاثة مجالس: سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق) (رواه أبو داود). وقال عليه الصلاة والسلام: (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه وينشر سرها) (رواه مسلم وأحمد وأبو داود). وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمط عنه) (رواه الترمذى). وفى رواية: (المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه) (رواه أبو داود).

كان أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يعاملون مواليهم معاملتهم لأبنائهم. كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إذا كان فى سفر ركب ومشى مولاه، ثم نزل فأركب مولاه، ومشى، ثم أنزله ومشى معه وأراح الراحلة. ورأى أمير المؤمنين عمر أبا ذر ومعه غلام له، عليه حلة أجمل من الحلة التى على أبى ذر فقال أمير المؤمنين: ما هذا يا أبا ذر؟ (كأنه يعنفه) فقال: كنت مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ومعى غلام لى أسود فأساء، فقلت له: يا ابن السوداء، فنظر إلى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ مغضبا وقال: (أعيرته بسواد أمه.. إخوانكم خولكم، أطعموهم مما تطعمون، وألبسوهم مما تلبسون، وحملوهم ما يطيقون) (متفق عليه)، أو كما قال ﴿ﷺ وآله﴾.

كان أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ رحماء بالدواب فضلا عن بنى الإنسان، يشهدون عناية الله فى كل ما ينتفعون به، فيخافون الله فى كل شىء، ويطلبون رحمة الله لرحمتهم بعباده، وبذلك مكن الله لهم فى الأرض، وأعلى بهم كلمته، وأحيا بهم سنته وأذل لهم فراعنة الأرض وقياصرها لأنهم تخلقوا بأخلاق الله تعالى، فكانوا رضى الله عنهم رحماء حكماء حلماء علماء نظروا إلى من ولاهم الله عليهم نظر رحمة وحنانة، وشكروا الله على نعمته فأنزلوا الكبير منزلة الوالد، والصغير منزلة الابن، والمساوى منزلة الأخ، وقاموا لكل واحد بما يجب له عليهم، غير مشددين فى طلب ما لهم من الواجب، فصفت قلوب الموالى وزكت أنفسهم، ورضى الله عن الجميع.

وأهل الفرقة الناجية يجاهدون أنفسهم ليتشبهوا بأصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى كل أحوالهم. وكم من عامل كان يسىء الخلق مع رئيسه ولا يرى منه إلا اللطف والرفق والشفقة، فيسأل فيقول: أنا أحق بحسن الخلق منه شكرا لله على ما تفضل به عليه. وسوء الخلق سبب فى زوال النعمة ونزول النقمة.. نعوذ بالله من سوء الخلق.

الفصل السابع

آداب الفرقة الناجية فى صلة الرحم

قيل لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أى الناس أفضل؟ قال: (أتقاهم لله وأوصلهم لرحمه، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر) (رواه البخارى وأحمد والطبرانى ومسلم). وقال عليه الصلاة والسلام: (أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتصفح عمن ظلمك) (رواه أحمد والطبرانى). هذه الصلة توصلك إلى الله تعالى وإلى الناس، وتقربك من الخالق وخلقه، وبها تجد لك ظهيرا من الله ومن عباده، ويمن الله بها عليك بالبر من حضرته العلية ومن جميع خلقه، ويتعطف عليك بتلك العاطفة قلوب العالم أجمع، فتكون بذلك سيدا مطاعا فى أقاربك، ووالدا رحيما لآلك، بها تكون متخلقا بأخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، مُعانا عند الشدة، منصورا عند المخاصمة، فتعيش سعيدا بيسير تبديه، وقليل من فضلك توليه وتكون لك اليد العليا والمقام الأعلى، فما أقل ما تصل به، وأعظم ما يصل إليك.

والصوفية يحرصون أن يكونوا كأصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ولكن من أين لهم ذلك؟، وإن أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وصلوا أرحاما كانت كافرة، وأبروا أهل الشرك تخلقا بأخلاق الله تعالى وأخلاق رسوله ﴿ﷺ وآله﴾، واقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فإنه أبر حليمة السعدية قبل إسلامها. والصوفية إنما يصلون أو يبرون إخوة مؤمنين وآباء مؤمنين لهم حق الإسلام وحق الأرحام.

والمزيد من آداب الفرقة الناجية فى صلة الأرحام، سيكون عند حديثنا عن بر الوالدين بعد موهما.

الفصل الثامن

آداب الفرقة الناجية مع الـوالـد يـن

لست فى مقام تقرير حقيقة خفية ولكنها ثابتة شرعا وعقلا، وجلية تؤثر على القلوب والحواس تأثيرا يؤدى إلى الانفعال النفسانى والجسمانى بالعواطف والاعتقاد والانقياد وبـــالغيرة والحمية. ما لى وللتكلم فى واجب فطرت على مراعاته النفوس الكريمة، وجبلت على القيام به العقول السليمة، حتى صار من المقرر عقلا وعادة أن الولد إذا لم يقم لوالديه فيما من شأنه أن يقوم به أهل العواطف ظلم أمه.

سمعت أن بعض أولياء الله المتوسمين جلس فى مجلس فرأى رجلا يؤذى والده، فـــذم الناس أُمَّ العاق، فقال الولى: الولد من ظهر أبيه إلا أن أباه كان كثير الحلف بالطلاق. يظهر من هذا أن المرأة إذا حفظت فرجها وحفظ الرجل لسانه من يمين الفسق، وبطنه من الحرام، رزقــه الله بأولاد بررة يكونون له كعينيه ويديه ورجليه. وبعيشك أيها الأخ هل تتصـــور أن إنســانا عاقلا يتوهم أن اليد اليمنى تضر اليسرى أو تضر الرأس أو العين وهى جزء مــن الجســد ؟ لا أشك أنك تقول: لا أتصور ذلك. إذن كيف تتصور أن خلاصة الجسد وصورته الحقيقية بــل وثمرة شجرته تؤذى الأصل، إلا أن تكون من أصل آخر لا يجمعها عليه أصول دانية ولا عالية.

والوالد والوالدة هما مظهرا الشفقة والرحمة والحنان والبر والإمداد والإيجاد الإلهى، ولذلك فقد أوجب الله الشكر لهما، وجعل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ الجنة تحت أقدام الأمهــات، وجعــل الوالد على باب الجنة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾(١) وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْــرِكُواْ بِــهِ شَــيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾(١)

---

(١) سورة النساء آية ٣٦.

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١.

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[٢].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله من أحق بحسن صحابتى أو صحبتى؟ قال: أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أبوك) (رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود وابن ماجة وأحمد). وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (رغم أنفه رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عنده الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة) (رواه مسلم وأحمد). وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت: (قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش فقلت: يا رسول الله إن أمى قدمت على وهى راغبة أفأصلها ؟، قال: صليها) (رواه أبو داود والبخارى ومسلم وأحمد). وفى الحديث الحسن عن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أنه قال: (رضا الرب فى رضا الوالد، وسخط الرب فى سخط الوالد) (رواه الترمذى)، وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال: سمعت النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ يقول: (الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو ضيع) (رواه الترمذى)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله) (رواه ابن أبى شيبة)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك، وإن كان واحدا فواحد، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما، ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحدا فواحد، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما) (رواه ابن عساكر والبيهقى)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم) (رواه النسائى والدارمى وأحمد والطبرانى).

هذه الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة قد بينت لنا حقوق الوالدين، وشرحت لنا مقدار السعادة التى ينالها الولد ببرهما والشقاء الذى يناله العاق.

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٣.

(٢) سورة لقمان آية ١٤.

آداب بر الوالدين فى حياهما:

ومن الآداب للوالدين أن تبذل مالك وتحفظ مالهما، وتأكل بعد أكلهما، وتنام بعد نومهمـــا، وتلبس بعد لبسهما، وتجتهد أن تعمل ما يسرهما ولو كانا كافرين، وعليك أن لا تخالفهما إلا إن جاهداك على أن تشرك بالله ما ليس لك به علـــم، فالواجـــب عليك أن لا تطيعهما كما قال تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُـــونَ ﴾(١). وإياك أن يدفعك الطمع فتوفر مالك وتنفق من مالهما، أو تأخذ من مالهما شيئا تدخره لنفسك أو لأولادك، أو تحمل امرأتك بشيء لم تحمل به والدتك، فإن ذلك عقوق تعذب به يوم القيامة وتعاقب به فى الدنيا بعقوق أولادك لك. وكن على يقين أن برك لوالديك سعادة لك فى الدنيا بالعافية فى بدنك، والنسيئة فى عمرك، والوسعة فى رزقك، ونجابة أولادك وسرورك بهم، ولـــو تحققت ذلك يا أخى لبذلت النفس والنفيس فى إدخال السرور على والديك فإنك لا تـــدرى متى يفارقانك.

وأكمل الآداب أن الصغير لا يطلب من والديه شيئا إلا إذا احتاج إليه وعجز عن نيله بنفسه، فإن أعطى له ما طلب شكر وفرح، وإن أعطى له دون ما طلب قبل بدون أن يظهر ما لا يرضى من علامات الحزن أو الكلام. وعليه أن يسارع فى بذل ما فى يده لإخوتـــه ليرضـــى والديه، وأن يحفظ لإخوته ما معهم. وعليه أن يسارع إلى طاعة الوالدين وخدمتـــهما وتنفيـــذ أوامرهما والعمل بوصاياهما، ويجتهد ألا يأكل إلا بعد أكلهما، ولا ينـــام إلا بعـــد نومهمـــا، ويستيقظ قبل قيامهما ليتولى خدمتهما، ويمشى أمامهما ليلا ليقيهما، ووراءهما نهارا تواضـــعا، وأن يعادى عدوهما، ويواصل حبيبهما ما لم يكن إثما، ويجعل أوقات فراغه كلها فى مراقبتهما، حتى ينال بذلك صالح الدعاء منهما بالحب الخالص، ليكون ذلك رقيا لـــه عنـــد الله وفـــوزا وسعادة.

ومن الآداب ألا يكون سببا فى تكدير صفو والديه بعمل مـــا يكرهانـــه فى المـــترل وخارجه، وإن كان الوالد له زوجة أخرى فإن حقه لا يسقط عن الولد بزواجه غـــير أمـــه،

---

(١) سورة لقمان آية ١٥.

فيجب عليه ألا يدعوه غضبه لأمه أن يسقط الحق الواجب عليه لوالده، فإن رضاء الوالدة فى غضب والده مما يوجب مقت الله تعالى، بل يلاحظ حقوق والدته وزوال ما فى نفسها من الحزن، ويقوم لوالده بحقوقه مختفيا عن والدته، حتى لا يغير قلب واحد منهما عليه، وهذه من الكمالات النفسية. وإذا قصر الوالد فى القيام بشئون ولده فمن الأدب أن يرجع الولد باللوم على نفسه، وأن يتجمل لوالده بما يعيد له الرحمة الأولى، فإن رحمة الوالدين لا تنكر، ولا يسلبها من القلب إلا عمل قبيح يحصل من الولد ربما لجهله يراه حسنا منه.

قد يكون الوالد سخيا وصالا لأقاربه فيكره ابنه ذلك ويظاهره، فتنزع رحمة الوالد من قلبه، وقد يكون الوالد ميالا للزواج فيكره الولد منه ذلك لجهالته، والأدب يقضى على الولد أن يتجمل لوالده بكل أنواع الجمال، ويطيعه إلا إذا أمره بإثم فإنه يعتذر إليه.

أيها الولد الذى جعل الرحمة تنزع من قلب والده وتبدل بقسوة وجفوة: لا بد أن يكون من عملك فى ذات والدك أو سوء معاملةٍ لزوجته أو من يحب. أنا أعتقد أن النساء يبغضن أولاد الرجال ويسعين لكيدهن، ولكن الحكيم العاقل البار يتجمل بأنواع الجمالات لوالده ولزوجة والده ولأحباب والده من التواضع والخدمة والمسارعة إلى عمل ما يسر، وإظهار الإخلاص، وذكر ما قل من أعمال البر، ونسيان ما عظم من أعمال الشر. ولا أشك أن من تخلق بتلك الأخلاق ألفته الوحوش فضلا عن الوالد وزوجته.

يا بنى: لا خلاص لك من شرور الدنيا، وعذاب الآخرة إلا بتحمل أصعب الصعوبات وأشد الشدائد فى نيل رضاء والديك والتأدب لهما بما يليق بهما. وإن نفسا واحدا ترى نفسك لا تتحمل تلك الشدائد فتعادى والديك، يكون من فعل ذلك سجل على نفسه الشقاء.

لو تصورت يا أخى كيف كانا يفرحان بك صغيرا، ويبذلان نفائس أموالهما لسرورك، وكيف تحملت والدتك فى حملك ورضاعك وفى تمريضك، وما تحمله والدك فى تربيتك، لبذلت وسعك لتسرهما وتكرمهما ليموتا راضيين عنك داعيين لك، وتعيش بعدهما مطمئن القلب بأنك ستنال الخير ببركة دعائهما، والذرية الصالحة البارة ببركة رضاهما مع ما

يحصل لك من البهجة والسرور عندما تتذكر أنك أحسنت إلى والـديك، وأن الله سـبحانه وتعالى سيدخلك الجنة مع الأبرار البارين، تلك البهجة يا أخى خير من الدنيا وما فيها.

وأظنك تقول يا أخى: أبنائى وزوجتى. أنت مسكين لا تعلم أرزقت بهم ليكونوا لك خيرا فى الدنيا والآخرة، أو شقاء لوالديهما فى الدنيا والآخرة، فكيف يا أخى تترك الأمر الجلى البينة سعادته، وهو بر والديك الذين أحسنا إليك ؟. وأوجـب الله عليـك أن تقـوم لهمـا بالإحسان وتجتهد فى الأمر المشكوك فيه الذى لا تعلم عاقبته، وهو أن تدخر لأبنائك وتهمـل الحقوق الواجبة لوالديك؟!!. أعاذنا الله وإياك يا أخى مما يوجب المقت والسخط. ولو أنـك ادخرت لأبنائك نفسا عالية ترفعهم عن سفاسف الأمور، وعقلا ذكيا يعقلهم عـن مهـاوى المقت، وخلقا جميلا حسنا تحسن بهم معاشرتهم لأرحامهم وأقاربهم، وكنزا من الدين يمـنحهم الله به من السعادة فى الدنيا والآخرة، لكان خيرا من نفائس الأموال وكنوز الذهب والفضة.

آداب بر الوالدين بعد موتهما:

ومن بر الوالدين بعد موتهما: الاستغفار لهما، والصلاة عليهما، وصلة الأرحام الـتى تدلى إليهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما. قال مالك بن ربيعة: بينما نحن عند رسول الله إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال: يا رسول الله هل بقى على من بر أبوى شـىء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال: (نعم.. الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهـدهما وإكـرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما) (رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وأحمد).

ومن إكرامهما فى حياتهما أن تبر يمينهما، فترى الفاسق الغوى إذا مـات والـداه أو أحدهما دعاه الطمع الأشعبى، والغرور بالدنيا، ونسيان يوم الحساب، أن يقوم فيحارب إخوته وأخواته، ويعتقد أنه لا عدو له فى الأرض إلا أبناء والديه، ما ذلك إلا لأن الجهل أنزل المـال عنده منزلة الإله المعبود الذى يأمره فيطيعه، ومن الضلال من يسلط الناس على إخوته الأشقاء أو أبناء العلات ليستريح من منافستهم له فى هذا العرض الزائل. ولعمرى إن هـذا العمـل لا يعمله رجل من أهل الجنة، ولا من ذاق حلاوة الإيمان. كن يا أخى على يقين أنك إن بـررت

والديك بعد موقمما بصلة أرحامهما أن الله تعالى يبارك لك بركة تدوم لك حتى تكون فى الفردوس الأعلى. ومن اعتز بمال يفنى وملك يزول ورياسة تتحول ورياش يبلى، واستعان بأهل الزور والبهتان فقطع أرحامه ليكثر ماله فرحا بالمال والسيادة والرياسة.. كان كمن عرض نفسه لشقاء الدنيا، فإن قطيعة الرحم تعجل عقوبتها فى الدنيا، خصوصا وأن قطيعة الرحم عقوق للوالدين، وعقوق الوالدين موجب لسوء الخاتمة.. نعوذ بالله.

والأرحام فى الأصل كل من لك به قرابة توصلها بك أمك نسبة للرحم، ولكن العرف الشرعى أطلق اللفظ وجعلها عامة لكل من لك به قرابة تدلى إلى أمك وأبيك. وجعل قرابة الأم أولى بحسن العاطفة وإن كان للعصبة تأثير على النعرة بالنسب والحمية للقرابة. فابدأ أيها الأخ- أيدك الله بالتوفيق - بصلة أرحامك، معتقدا أن ذلك سعادة لك فى الدنيا والآخرة، وليكن ذلك بقدر استطاعتك، وابدأ بنفسك ثم بمن تعول. ومن يدفعه الأمل إلى الطمع فيقصر فى حقوق الصلة فيحتال فى سلب ما فى أيديهم فيكون قد ارتكب جريمتين: جريمة التلصص، وجريمة قطيعة الرحم. واللص الذى يتلصص على الأجنبى أقل وزرا منه. كيف يكون سرورك أيها الأخ إذا أنت أكرمت إخوتك وأقاربك، وتحققت أن الله تعالى يكرمك فى الدنيا بأن يجعل فى قلوب أبنائك الرحمة والعاطفة بعضهم لبعض، وشهدت ذلك فى حياتك، وانتقلت إلى الدار الآخرة شاكرا ربك على ما وهب لهم من التعاطف والتواصل والتآلف والمساعدة، والمسارعة إلى جلب الخير لبعضهم، ودفع الضر عن بعضهم، وانتقلت إلى البرزخ فوجدت قبرك روضة من رياض الجنة فكمل سرورك وتمت بهجتك. ثم انظر يا أخى للعاق لوالديه القاطع لرحمه كيف تصب عليه البلايا فى الدنيا صبا بكثرة القضايا والخصومات، ثم يجعل الله له أبناء فجرة يبددون ما جمع فى حياته، وينغصون عيشته بما يقع بينهم من الخصومات والعداوة، وما يناله من قبيح أعمالهم من الناس حتى يتمنى أنه لم يكن تزوج، وأنه يوجد فى الدنيا، فيعيش طول عمره فى شقاء وكبائر حتى يفارق الدنيا، فينتقل من آلام بدنية فكرية إلى حفرة من حفر النار ــ نعوذ بالله من قطيعة الأرحام ــ ولا يصبر أبناؤه حتى يواروه فى التراب بل تقع بينهم المنازعات والمخاصمات، وربما تلاكموا وتضاربوا بالعصى وتزاحموا على تفتيش الحجرة التى هو فيها، وربما وطئوه بالنعال وهو ملقى بينهم، وهم الذين كان يسهر ليجمع لهم، ويخاصم أقاربه ليجدد لهم. أنظر يا أخى بعينك عاقبة هذا الأمل، ونتائج هذا الطمع.

صل رحمك يا أخى ليرحمك الرحمن، وأكرم أقاربك ليقربك القريب، وبر والديك ليبرك البر الودود، قال تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾[2] وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (من أحب أن يبسط له فى رزقه، وينسأ له فى عمره فليصل رحمه) (رواه البخارى ومسلم وأحمد والحاكم والنسائى وأبو داود).

ومن الآداب الواجبة عليك لوالديك أن تبر أهل ود أبيك ممن كان يودهم ويحبهم. ولا تتشبه يا أخى بمن أبعدهم الله عن أعمال الخير الذين إن تمكنوا أساؤوا أهل ود والديهم، لأنه قد يكون للرجل ولد سيء الأدب ويكون والده متزوجا امرأة غير أمه، وتكون محظية عنده محبوبة لديه، و لم ترزق من أبيه بأولاد، فإذا مات أبوه قام فجعلها أعدى أعدائه وشر ألدَّائه، و لم يراع حقوق والده. وقد يكون للوالد عامل مخلص فى عمله محافظ على أمواله، ويكون الولد مسرفا فيشدد عليه العامل وهو صادق أمين، فإذا تمكن المسرف من المال أو الميراث حارب العامل الصدوق الأمين وطرده من عمله و لم يراع حقوق والده. وقد ورد عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان راكبا على جمل فمر به أعرابى، فترل عن الجمل وقابله وحياه، ثم أخذ بزمام الجمل وأعطاه إياه وانصرف، فقيل له: ما هذا ؟ قال: هذا الرجل كان يضحك والدى كلما رآه، فأحببت أن أبر والدى بإكرام من كان يضحك والدى لرؤيته.. وهكذا فليكن البر.. ومن هذا الإمام يؤخذ. فقم يا أخى بإكرام أهل ود أبيك لتكون بارا، وكن على يقين أنك تفوز بالمسرات فى الدنيا والسعادة فى الآخرة. والله يمنحنى وإياك التوفيق لما يحب ويرضى.

نصيحة للأبناء

يا بنى: لا تجهل من أنت، ولا ما يجب عليك، ولا ما يجب لك. لعلك يا بنى تظن أنك بما تجده من عواطف أمك وأبيك، ومن حرصهما على سرورك وخيرك، ومن بذل نفائس أموالهما فيما فيه راحة بدنك وزيادة صحتك، أن ذلك واجب عليهما، أو حق لازم عليهما

(١) سورة النساء آية ٣٦.

(٢) سورة محمد آية ٢٢.

لك، فتجهل قدرك وتنسى قدر النعمة عليك من ربك، فتقوم مطالبا بحقوق توهمتها لم يوجبها الشرع و لم يستحسنها العقل، فتكلف والدتك بخدمتك، أو تغضب عليها إن تهاونت بشأنك، أو تأبى أن تلبس أو تأكل ما قدم لك، أو تستقل ما أكرماك به، فتكون كالفراش الذى يطوف حول النار لا يرضى بضوئها وحرارتها حتى يسقط فى لهيبها. أسرع بأن تعلم منزلتك، وأنب إلى ربك تائبا، وإلى والديك متذللا متملقا. لم يبذلا لك ما بذلا من المال والنفس لواجب عليهما، بل لأنك شجرتهما ومرآة حقيقتهما، فإن نظرت بنظر الابن للوالدين نظر تعظيم وإطاعة لأمرهما، وحب لهما ورغبة فى نيل رضاهما، منَّ الله عليك بأن جعل عاطفتهما عليك فى مزيد، وجعلك لهما ظهيرا ونصيرا بعد كبرك، فتكون لهما ولدا شفيقا، ويكونان لك كوالدين رحيمين، وتكون قد قمت بالواجب عليك لله ولرسوله ﴿ﷺ وآله﴾ وللوالدين.

إذا منَّ الله عليك بأن جعلك غنيا عن شرار خلقه عالما فكن رجلا خارج المنزل، فإذا دخلت على والديك فكن طفلا كما كنت أولا، عبدا كما كنت سابقا تُملك ولا تَملك، واجعلهما يدبران لك شأن داخليتك وإن أخطأا، وحسن شأن خارجيتك فإنك لا تدرى متى يأتيهما الموت.

لعلك يا بنى إذا تزوجت صارت زوجتك أحب إليك من أبيك وأمك وإخوتك، وهى إنما رضيت بك لأنك قوى سَوى غنى، ولو ذهبت صفة من تلك الصفات ذهبت معها وكانت حربا على زوجها، فاصحب زوجتك على حذر منها، وكن عبد الله مطيعا لوالديك.

يا بنى: بعض الضالين الذين حرموا الكمالات الإنسانية يتهاون بشأن والديه ويعتنى بشأن زوجته، أعوذ بالله أن أكون منهم أو تكون منهم، فإنهم عبيد لشهواتهم وعباد الدراهم والدنانير أقرب للبهيمة منهم إلى الإنسانية.

انظر إلى والديك تراك غصن شجرتهما وصورة حقيقتهما وخلاصة حياتهما، فلا تعبد يا بنى شهوتك وتكفر بربك سبحانه وتعق والديك، واجعل والديك فى أعلى المراتب من قلبك، وقم لزوجتك بما فرض الله تعالى عليك وبما سنه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ولا تنس

الفضل بينك وبينها، ولا تجعلها سببا فى عقوق والديك وقطيعة رحمك، فإن الإنسان لا يدرى لعله يجمع المال ويحرم منه أرحامه، ثم تحوزه الزوجة وتنفقه على زوج أجنبى.

أحب يا بنى زوجة أبيك وإن كانت كدرا لوالدتك بـــرا بوالـــدك، إلا إن توفيـــت والدتك فاجعلها فى مترلتها، وأحب إخوتك منها كحبك لإخوتك، واجعلهم لـــك أنصـــارا وأعوانا وكنوزا وجمالا لتكون كثيرا بهم.

اجتهد يا بنى إن كان ورَّثك والدك مجدا وشرفا أن تحافظ على ميراث والـــدك، وأن تجتهد فى أن تزيده وتنميه ليحيا والدك. واعلم يا بنى أن بعض أهل الغواية الأنذال المفســـدين- الذين هم مرض فى جسم الأسر- يتمنى الخبيث منهم أن يموت والده ليرث ماله، فإذا مـــات والده قام فبذل المال فى شهواته وحظوظه، حتى إذا لم يبق فى يده ما يستعين به ندم ولات حين مندم، فتمنى أنْ والده عاش له بعد أن أحوجته الضرورة إلى خدمة من كان خادما عنـــده، أو ارتكب ما به يحشر إلى السجون. وإلى هنا أقول لك:

أيها الولد البار: اجتهد فى صحبة العلماء العاملين، وداوم علـــى مجالســـة الأتقيـــاء الصالحين، وتعلم منهم وتشبه بهم، والله يتولانى وإياك.. إنه ولى المؤمنين.

الفصل التاسع

آداب الفرقة الناجية مع الزوجة[1]

الأول: حسن الخلق معهن، واحتمال الأذى منهن، ترحما عليهن لقصور عقلهن:

قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾[2]، وقال فى تعظيم حقهن: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ ﴾[4] قيل هى المرأة.

وآخر ما وصى به رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ثلاث كان يتكلم بهن حتى خفى كلامه، جعل يقول: (الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون. الله الله فى النساء، فإنهن عوان فى أيديكم [يعنى أسراء] أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله) (رواه النسائى وابن ماجة). وقال عليه الصلاة والسلام: (من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون).

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل. وراجعت امرأة عمر عمر ﷺ فى الكلام فقال: أتراجعينى يا لكعاء، قالت: إن أزواج رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يراجعنه وهو خير منك، فقال عمر: خابت حفصة وخسرت إن راجعته. ثم قال لحفصة. لا تغترى بابنة ابن أبى قحافة فإنها حب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وخوَّفها من المراجعة.

وروى أن إحداهن دفعت فى صدر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فزجرتها أمها، فقال عليه الصلاة والسلام: (دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك). وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى

---

(١) راجع (إحياء علوم الدين) للغزالى جـ ٢ ص٤٣ وما بعدها بتصرف.

(٢) سورة النساء آية ١٩.

(٣) سورة النساء آية ٢١.

(٤) سورة النساء آية ٣٦.

أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكما واستشهده، فقال لها رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (تـــتكلمين أو أتكلم ؟) فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال: يـــا عدوة نفسها أو يقول غير الحق ؟ فاستجارت برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وقعدت خلف ظهره، فقال له النبى ﴿ﷺ وآله﴾: (لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا) (رواه الطبرانى فى الأوســـط، والخطيب فى التاريخ). وقالت له مرة فى كلام غضبت عنده: أنت الذى تزعم أنك نبى الله ـــ فتبسم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ واحتمل ذلك حلما وكرما (رواه أبو يعلى وأبو الشيخ). وكان يقول لها: (إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى) فقالت: من أين تعرف ذلك ؟، فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا كنت عنى راضية تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت عـــنى غضبى قلتِ: لا ورب إبراهيم) قالت: أجل والله يا رسول الله مـــا أهجـــر إلا اسمـــك (رواه البخارى ومسلم).

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (استوصوا بالنســـاء خيرا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمَهُ كســـرته، وإن تركته لم يزل أعوجاً) (رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة). وقـــال عليـــه الصـــلاة والسلام: (إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها اســـتمتعت وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) (رواه البخارى والترمذى والدارمى). وقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى خطبة حجة الوداع: (اتقوا الله فى النساء فإنكم أخـــذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يواطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بـــالمعروف)(رواه أبـــو داود ومسلم وابن ماجة والدارمى وأحمد).

وعن أنس رضى الله عنه: آل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من نسائه وكانت انفكت رجله، فأقـــام فى مشربة تسعاً وعشرين ليلة ثم نزل، فقالوا: يا رسول الله آليت شهرا، فقال: إن الشهر يكون تسعا وعشرين)(رواه البخارى والترمذى والنسائى) . وقال جابر: عـــزلهن شـــهرا أو تســـعا وعشرين ثم نزلت هذه الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً {٢٨} وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْراً عَظِيماً ﴾[1] ، فبدأ بعائشة رضى الله عنها وقال: (يا عائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك، فقالت: وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية، فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوى ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت، قال: لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله تعالى لم يبعثنى معنتا ولا متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا).

وقالت عائشة رضى الله عنها: كنت أغار على اللائى وهبن أنفسهن لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فقلت أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾[2] قلت: ما أرى ربك إلا يسرع فى هواك. عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) (رواه الطبرانى فى الكبير). وعن أنس رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها، فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت)(رواه أحمد وابن حبان). وقال عليه الصلاة والسلام: (لو كنتُ آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) (رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد). وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) (رواه الترمذى وابن ماجة). وقال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح)(رواه البخارى وأبو داود). وفى رواية: (إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها). وقال أنس رضى الله عنه: كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أرحم الناس بالنساء والصبيان (رواه مسلم).

الثانى: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة، فهى التى تطيب قلوب النساء:

وقد كان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يمزح معهن ويترل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق، حتى روى أنه ﴿ ﷺ وآله﴾ كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الأيام، فقال عليه الصلاة والسلام: هذه بتلك (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة). وفى

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٨،٢٩.

(٢) سورة الأحزاب آية ٥١.

الخبر أنه كان ﴿ﷺ وآله﴾ من أفكهِ الناس مع نسائه (رواه البزار والطبرانى). وقالت عائشة رضى الله عنها: كنت ألعب بالبنات عند النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وكان لى صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ إذا دخل يتقنعن منه فيسر بهن فيلعبن معى. وقالت عائشة رضى الله عنها: سمعت أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء، فقال لى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: أتحبين أن ترى لعبهم؟ قالت: قلت: نعم، فأرسل إليهم فجاؤوا، وقام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده، ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، وجعل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول: حسبك، وأقول: إسكت، مرتين أو ثلاثا، ثم قال: يا عائشة حسبك، فقلت: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا (رواه النسائى فى الكبرى)، فقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله) (رواه الترمذى والنسائى والحاكم). وقال عليه الصلاة والسلام: (خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى) (رواه النسائى والترمذى). وقال عمر رضى الله عنه مع شدته: ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا. وفى الخبر أن الله تعالى يبغض الجعظرى الجواظ (رواه أبو بكر بن لال، وله شاهد فى الصحيحين). (قيل: هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه) وهو أحد ما قيل فى معنى قوله: (عتل) قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله. وقال عليه الصلاة والسلام لجابر: (هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك) (رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة والدارمى).

الثالث: ألا ينبسط فى الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها:

بل يراعى الاعتدال فيه، فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض. قال الحسن رضى الله عنه: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله فى النار، وقال عليه الصلاة والسلام: (تعس عبد الزوجة). وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها فى هواها فهو عبدها، فإن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا، وإن أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا، وإن كبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ملكتها. فينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة، وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شرهن فإن كيدهن عظيم، والغالب

عليهن سوء الخلق وركاكة العقل، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب — والأعصم يعنى الأبيض البطن)(رواه الطبرانى فى الكبير وأحمد والنسائى)، وقال عليه الصلاة والسلام: (لا يفلح قوم تملكهم امرأة) (رواه البخارى والنسائى وأحمد). فالخشونة والسياسة علاج الشر، والمطايبة والرحمة علاج الضعف، فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها).

الخامس: الاعتدال فى الغيرة:

وهو ألا يتغافل عن مبادئ الأمور التى تخشى غوائلها، ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن تتبع عورات النساء (رواه الطبرانى فى الأوسط) وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (إن من الغيرة غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة) (رواه أبو داود والنسائى وابن حبان وابن ماجة والدارمى وأحمد). لأن ذلك من سوء الظن المنهى عنه، أما الغيرة فى محلها فلا بد منها وهى محمودة، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى الرجل ما حرم عليه) (رواه مسلم والترمذى وأحمد) وقال عليه الصلاة والسلام: (أتعجبون من غيرة سعد ؟! أنا والله أغير منه، والله أغير منى) (رواه البخارى ومسلم والدارمى وأحمد). ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، ولذلك بعث المنذرين والمبشرين. ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ولأجل ذلك وعد الجنة، وقال عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة عليها السلام (أى شيء خير للمرأة ؟ قالت ألا ترى رجلا ولا يراها رجل — فضمها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض) (رواه البزار والدارقطنى).

السادس: الاعتدال فى النفقة:

فلا ينبغى أن يقتر عليهن فى الإنفاق، ولا ينبغى أن يسرف بل يقتصد، قال الله تعالى: ﴿ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿ لاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾(2)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (دينار أنفقته فى سبيل

(١) سورة الأعراف آية ٣١.

(٢) سورة الإسراء آية ٢٩.

الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك) (رواه أحمد ومسلم وابن ماجة). ولا ينبغى أن يستأثر على أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه، فإن ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشـــرة بـــالمعروف] أ.هـــ.

الباب الرابع

الأخلاق والتخلق بأخلاق الله وأخلاق رسول الله ﷺ وآله

إن الإنسان قابل لأن تنوع أخلاقه، وبينت ذلك فى كتاب (أصول الوصول) وكتاب (معارج المقربين) وكتاب (النور المبين) وغيرها، وأقمت الحجة على ذلك فلا حاجة لإعادتها.

ولما كانت الأخلاق تتغير من سيئة إلى حسنة، ومن قبيحة إلى جميلة، ومن رذيلة إلى فضيلة، كل ذلك بمجاهدة النفس وقهرها على أنواع التزكية، وتناول الأدوية المزيلة لأمراضها من يد الطبيب الروحانى، العارف الربانى، العالم بأمراض النفوس وأسقامها وعللها، الذى منحه الله حكمة الشريعة وأسرار أحكامها، وجعل له بصرا يبصر به فكان من المتوسمين، فإذا أراد الله بعبد خيرا منَّ عليه بهذا العارف الربانى، ومنحه التسليم له، فأورده موارد الصفا، وسلك به مسالك القرب، وعلمه مما علمه الله رشدا حتى يعرف نفسه فيعرف ربه، ومتى عرف نفسه وعرف ربه، شهد من نعم الله التى لا تحصى، ومننه التى لا تستقصى، ما يجذبه بكليته إلى ربه فيحب الله حبا يشغله عن كل ما سواه ومن سواه، ويسارع إلى محاب الله ومراضيه، فيظهر له أن الله سبحانه وتعالى يحب أخلاقه القدسية وصفاته العلية التى بها القرب منه سبحانه، والوصول إليه جل جلاله فيسارع بحول من الله وقوة، لأنه عرف نفسه أنه من طين لازب، وأن ما زاد على الطين فهو فضل الله ونعماه فيقف عند حده، معتقدا أنه من طينة أو ماء مهين، ويشهد بقية الجمال الذى جمَّله الله به من الله ولله، ثم يشهد ما حوله من نعم أحاطت به، وأنواع سخرت له من أرض وسماوات ومعادن ونباتات وحيوانات، وما بين ذلك من ملائكة وجنات ونعيم وخيرات، كل ذلك مسخر له من الله فضلا منه وكرما لا لعمل عمله، إذ لا حول ولا قوة إلا بالله. وهل للماء المهين فى القرار المكين حولٌ أو قوة ؟ تتره ذو الجلال والإكرام عن أن يكون لأحد عمل سواه، أو يكون لأحد نعمة أو منَّة غير الله تعالى المنعم المتفضل الوهاب الكريم، فيحب العبد المؤمن أخلاق الله تعالى، ويجاهد نفسه وهواه مجاهدة قاهرة على أن يتخلق بتلك الأخلاق المحبوبة لحبيبه ومولاه، الذى من طينة أنشأه وسواه، ومن ماء مهين صوَّره سبحانه، وبفضله العظيم والاه، وتقوى عوامل محبته حتى تقهر بشريته

وتضعف شهوته، ولديها يمكنه أن يتخلق بالأخلاق الربانية ويتشبه بحبيب الله ومصطفاه، ويكون من أهل معيته المحمدية الذين أثنى الله عليهم.

أخلاق الله تعالى:

ليس الأمر بصعب على من يسر الله له الخير، فإن الله جل جلاله له أخلاق جمالية يعامل بها سبحانه من يحب، وأخلاق جلالية يعامل بها من يكره، سبحانه الرءوف الرحيم الحليم الكريم المنعم المتفضل القريب المجيب الحنان المنان، وهى الأخلاق التى يعامل بها جميع خلقه فى الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ﴾(١)، ثم يختص المؤمن بهذا الفضل العظيم يوم القيامة، فاشتراك المؤمن والكافر فى رحمة الله فى الدنيا لتكون له الحجة على جميع خلقه يوم القيامة، وليظهر سر قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(٢) فى الدنيا لأنها سبقت غضبه، وقد خصصها للمؤمنين يوم القيامة بدليل قوله تعالى:﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ.. الآية﴾(٣) وهو سبحانه القهار المنتقم شديد البطش القوى المذل المانع الضار، وهى الأخلاق التى يعامل بها من يكره.

التخلق بأخلاق الله تعالى:

فالمؤمن المتخلق بأخلاق الله يجمله الله بالرأفة والرحمة والعفو والسماح والشجاعة والكرم والعفة والحنان والعطف والود والفضل والعلم والحلم والشفقة، فيعامل بها أحباب الله أهل الحق معاملة لله، ويجمله الله بأن يجعله متصفا بالقهر والجبروت والقوة والانتقام يعامل بها أعداء الله معاملة لله، فيضع كل خلق من أخلاق الله فى موضعه، فيكون ذليلا متواضعا مسكينا لأهل الحق، مع الرأفة والرحمة والشفقة وبذل ما فى يده معاملة لله، ويكون قويا شجاعا شديدا مع أعداء الله، حبا فى الله وتخلقا بأخلاق الله .. وبذلك يكون العبد متخلقا بالأخلاق الربانية محبا لله محبوبا لله، فإذا رأيت فى نفسك هذا فاشكر الله تعالى، واعلم أن الله أورد عليك من مواهبه العلية ما لا قبل لك أن تناله ولو عمرت الدهر وصرفت أنفاسك

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٦.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٦.

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٦.

وحركاتك فى قربات، وشتان بين ما يورده الله عليك وما تورده أنت على الله، ومن أنت يا مسكين وما عملك ؟ وإنما الوارد ما يرد من الله عليك لا ما تورده أنت على مولاك، فأنت يا مسكين إن شهدت عملك أشركت بربك وكفرت بوحدة الأفعال، وإن عملك الذى تعمله يجب أن تشهده واردا من الله، فإنه سبحانه إن أراد يوقفك أمامه مواجها له فى صلاتك أقامك وواجهك، وإن أحب أن تترك شهوتك له بالصوم وفقك، وإن أراد أن يجعل لسانك رطبا بذكره وقلبك مشرقا بنوره أعانك ووهب لك، فاحذر أيها السالك أن يكون فرحك بعملك أو اعتمادك على عملك، فإن ذلك حجاب سميك حجب السالكين وأوردهم موارد البعد عن رب العالمين. واحذر يا أخى أن تعمل عملا لتنال حظا عاجلا، أو نعيما آجلا، فإن هؤلاء عُبَّادُ الأكوان، ومكون الأكوان هو المقصود للمقربين وخيرة الأبرار من أهل اليمين.

إن للعبادة يا أخى آيات تظهر للعباد وأسرار تلوح لهم فيقفون عندها، فتكون عبادتهم حجة عليهم ويوم القيامة، يقول الله لهم: أنَّا خلقتكم لا لعلة، ورزقتكم لا لعلة ولا غرض، وصورتكم من ماء مهين، وقبل ذلك أنشأتكم من الطين، وسخرت لكم ما فى السموات وما فى الأرض فضلا منى وإحسانا عليكم، فَلِمَ جعلتم علة لعبادتى و لم تخلصوا لذاتى؟ أفى حاجة أنا إلى عبادتكم إياى ؟ أما سمعتم قولى الذى أنزلته على حبيبى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[1] ؟ أنا الغنى عنكم المتفضل عليكم، أخلصت لكم فضلى بلا علة، ووهبت لكم نعمتى بلا غرض، وأنتم الفقراء المضطرون إلى جنابى، كيف تشركون بى غيرى فى طاعتى وعبادتى ؟!!). لديها والله تذوب القلوب، ويتمنى الإنسان أن يكون ترابا، لولا عواطف رحمة الرءوف الرحيم، وواسع مغفرة التواب الكريم.

فأخلص يا أخى العبادة لوجه الله، واعلم بعد ذلك أنك لو سألته لبَّاك، ولو ناديته لاستجاب لك وأعطاك، هو اللطيف الخبير الكريم الفاعل المختار لما يحب ويشاء ويريد، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

---

(١) سورة الزمر آية ٣.

حرص الفرقة الناجية

على التخلق بأخلاق الله وأخلاق رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾

وتحملهم فى نيل هذا الخـــير العظيم ما لا يتحمله غيرهم

الصحابة يتشبهون به ﴿ﷺ وآله﴾:

أصحاب رسول الله هم الأئمة الذين بالتشبه بهم تكون النجاة ونيل الفلاح والرضوان الأكبر فى الدنيا والآخرة، ومعلوم ما كانوا عليه قبل بعثته ﴿ﷺ وآله﴾ من قسـاوة القلـب، وسـوء الأخلاق، وشح النفوس، وعبادة الحظ والهوى، واتباع خطوات الشيطان، مما كان راسـخا فى طباعهم، منقوشا على قلوبهم، يقتل الرجل منهم ليحافظ على أرذل رذيلة، وقد تأخذه حميـة الجاهلية لكلمة يسمعها فيقتل أكثر القبيلة، حتى أكرمهم الله تعالى بإشـراق تلـك الشـمس المحمدية، فبدلت تلك الرذائل بالفضائل، فتخلقوا بأخلاق رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وتشبهوا به صلوات الله وسلامه عليه تشبها جعل كل واحد منهم صورة كاملة طبق الأصل، حتى كـان الرجل منهم رضى الله عنهم يسأل عن أعماله ﴿ﷺ وآله﴾ الخصوصية فى خلوتـه وقضـاء حاجته ونومه، وكيفية ذلك، مما لم يتمكنوا من شهوده. وبلغت بهم المحافظة على التشـبه بـه ﴿ﷺ وآله﴾ مبلغا به يرون من يخالفه ﴿ﷺ وآله﴾ ولو فى حركة الجسم، أو فى كيفية الأكل والشرب واللباس منافقا ـــ وهو مشهد أهل العزائم ـــ ومأخذهم فى ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1]. وقد طالبنا الله تعـالى بمـا طالب به رسله عليهم الصلاة والسلام فى كتابه، فيرون عمله ﴿ﷺ وآله﴾ بحسـب مراتـب السنة والتشبه به ﴿ﷺ وآله﴾ واجبا أو كالواجب. لا تسأل كيف بدل الله تلـك السـيئات بالحسنات، وكيف رقاهم إلى أن صاروا مع رسل الله وأنبياء الله.. تفهم يا أخى قدر مجاهدتهم لأنفسهم وقهرهم لها على المسارعة إلى التشبه برسول الله ﴿ﷺ وآلـه﴾، وبـذلهم الـنفس والنفيس فى نيل هذا المقام العلى ، حتى اقتطعهم الله لذاته العلية، وأشرف بهم على قدس عزته وجبروته، وأشهدهم ملكوت السماوات والأرض مشهدا جعل الدنيا فى أنفسـهم كجنـاح البعوضة أو أقل.

---

(١) سورة آل عمران آية ٣١.

السالكون يتشبهون بالصحابة:

وكذلك أهل العناية من الله تعالى السالكون سبيله سبحانه وتعالى، الراغبون فيما عنده، يهب الله لهم مواهب فضله العظيم ويوردهم الله موارده الهنية، فتتجلى لهم حقيقة الدنيا الدنية، فيقهرون أنفسهم قهرا على التشبه بأصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بوجد صادق، وعزيمة ماضية، وهمة إسلامية، حتى يبدل الله سيئاتهم حسنات، فيكونون أبدال أنبياء الله عليهم السلام، وورثة لرسل الله على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، ويبلغ به حرصهم على التخلق بأخلاق الله تعالى، والتشبه بأصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ مبلغا يكون السقوط فى النار عند أحدهم أحب إليه من مخالفة الله سبحانه، ومخالفة رسوله ﴿ﷺ وآله﴾.

لا تظن يا أخى أن الإنسان يفارق بشريته، أو يخرج من حظه وهواه، فإن الهوى والشح والرأى لا تفارق الإنسان مهما كمل فى نوعه وأقبل بالإخلاص على ربه، إنما هى مشاهد قدسية من عين اليقين أو علم اليقين تجعل المؤمن لا يطيع شحه (وإن دعاه موجب قاهر)، ولا يتبع هواه (وإن بعثه عليه مقتضى دافع)، ولا يعجب برأيه (وإن عظم فى نفسه وعند غيره). والعبد المؤمن لا ينفك جهاده نفسه فى ذات الله لأنها أعدى عدوه، ولها دسائس أخفى من دبيب النمل على الصخرة الصماء فى الليلة السوداء، ويسعر نار طبعها العدو إبليس بلمته- عليه لعنة الله- ولا يزال يجاهد غيره فى الله تعالى وفى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، لأنه مطالب بهذا الحق لكل مسلم أمام ربه جل جلاله الذى يكون قاضيا، وأمام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ الذى يكون شاهدا، فإن أهمل فى ذلك كان تحت رحمة الله إن شاء رحم وغفر وهو الغفور الرحيم. ومن ظن أنه تجاوز مقام المجاهدة لنفسه ظن شرا، ولا تنتهى مجاهدة المسلم نفسه إلا عند الغرغرة (الوقت الذى لا ينفع فيه عمل)، أو إذا سلب العقل الذى به التكليف، قال تعالى: ﴿لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]، فدواعى الشح والهوى والرأى سور من حديد محاط بكل إنسان يكاد يمزق أعضاء الإنسان إن لم ينفذ مقتضاه، لولا عصمة الله تعالى للمسلم لهوى به شحه وهواه ورأيه إلى الحطمة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم

(١) سورة الأعراف آية ٩٩.

بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [3]. فالرأى والهوى والشح لوازم الإنسان، إنما القبيح فيها أن ترى شحا مطاعا، وهوى متبعا، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فإذا رأيت ذلك يا أخى فى الناس فجاهد نفسك - أعانك الله - كل المجاهدة أن تفارقهم وإن كنت معاشرهم، وأن تخالفهم وإن كنت فى الظاهر توافقهم مداراة عن عرضك ونفسك.

واحذر يا أخى -أيدنى الله وإياك- أن تتخذ هواك إلها يُعْبَدَ من دون الله، أو تجعل رأيك تعمل به دون سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، أو تطيع شح نفسك مخالفا لوصايا الله سبحانه ووصايا رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾، فإن ذلك هو النفاق العلمى العملى نعوذ بالله من النفاق. واعلم يا أخى- ودنى الله وإياك بوده- أن مراد الحق منك هو عين السعادة الحقيقية لك وبه نيل رضوانه الأكبر، إذا وفقك للقيام به فضلا منه وكرما، وإن لم يوفق الله الإنسان ــ نعوذ بالله من حرمان التوفيق ــ وعمل بهواه وشحه ورأيه، كان ذلك دليل غضب الله على الإنسان.. أعوذ بوجهه الجميل من غضبه.

فابحث يا أخى ــ هدانى الله وإياك صراطه المستقيم ــ عن آثار أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وأخلاقهم وأحوالهم وأعمالهم، وجاهد نفسك كل المجاهدة أن تتشبه بهم حتى تكون صورة كاملة ينظر الله تعالى إليك، ويقبلك رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وتكون من أهل معيته الذين وصفهم الله وأثنى عليهم فى آخر الفتح.

التقليد فى المشاهد الروحانية كفر:

وإياك يا أخى أن تقلد غير أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وما رأيته يا أخى من بعض الرجال الذين أكرمهم الله فى كل عصر بعد أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فاعتقد أنه فضل من الله خاص بمن تفضل الله به عليه، وأن العبد الصالح الذى اقتطعه الله إليه فأفناه عن

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠١.

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٣) سورة الحشر آية ٩.

نفسه وحسه، حتى سلب القوة التى بها التكليف، ليس إماما للمتقين ولا قدوة للسالكين، ولكنها مشاهد روحانية قد تمزق غلاف القلب، فأكرم من رأيتهم بهذا الحال، وسل الله لك ولهم الكمال، ولا تقلدهم فإن تقليدهم كفر.

وقد عمت المصيبة حتى صار بعض السالكين يقلدون من غلبت محبته حتى محقت مكانته البشرية فى نظره هو، وحجبت حقيقته الآدمية، فصار لا يميز بين تعسة وشرف، وفقر وغنى، حتى استوى فى نظره المؤلم والملذ لاستغراقه فى شهود الملكوت، وتقليد هذا مع التمييز والإدراك اتباع لخطوات الشيطان، وبعد عن موارد الإحسان، ومخالفة لسنة النبى المختار ﴿ﷺ وآله﴾.

التشبه بالمرشد الكامل:

فعليك يا أخى ــ منحنى الله وإياك المسارعة إلى مغفرة من الله ورضوان ــ أن تبذل ما فى وسعك فى البحث عن الرجل الدال على الله الموصل إلى حظيرة القدس، المبين لسبل الله الممد من روحانية رسول الله، العارف الربانى، الإنسان الكامل فى ظاهره وباطنه، الذى هو محل نظر الله من خلق الله، فإذا ظفرت به فاحرص على التشبه به بقدر استطاعتك، وتجسس يا أخى بكل ما فى وسعك عنه فى سر وعلانية، وتحسس عنه يا أخى فى جلوته وخلوته، ونافس يا أخى فى أن تكون صورة كاملة له، فإن منَّ الله عليك بعظيم فضله، وسقاك طهوره المقدس فى الوادى المقدس فى مقام تكون معه ويكون سبحانه معك، فجاهد نفسك أكبر المجاهدة فى ذات الله لتكون أنت حقيقة الرجل، حتى تفنى فيه فناء تكون أنت هو، ولديها يا أخى تكون كوكبا مضيئا فى سبيل الدلالة، ونورا مشرقا فى سبيل الهداية. وقبل أن تصل إلى هذا المقام فاجعل كل همتك فى مجاهدة نفسك، فإنها والله يا أخى أعدى عدوك وأكبر خصومك، فإذا تخلقت بأخلاق الله وتشبهت برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فجاهدها كل المجاهدة على شكر نعمى الله التى لا تحصى، وأكثر من السجود فى جوف الليل، ومن المسارعة إلى نفع إخوتك المؤمنين بنفسك ومالك وجاهك إن استطعت وأعانك الله، أو بفضلها على قدر استطاعتك.. أعاننى الله وإياك يا أخى بروح منه.

أحوال المريد السالك بعد التشبه:

ومتى تخلقت بأخلاق الله وتجملت بالتشبه برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ كنت مع الله وكـان الله معك، فجبر كسر قلبك، وجعله بيتا معمورا به سبحانه، فتشرق أنواره القدسية مـن منافـذ هيكل ذاتك الإنسانى، فيجعل الله لك يا أخى نورا فى لسانك، وفى عينيك، وفى أذنيـك، وفى يديك، وفى رجليك، وفى أنفك، وفى بطنك، وفى فرجك، ثم يجعلك كلك نورا، فتكون كمـا قال الله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ ﴾ (١) وكما قال سبحانه تعـالى: ﴿ اللَّـهُ نُـورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... إلى أن قال: نُّورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ (٢) فيواجه النور الإلهى الحقى النور العبدى الحقى كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٣)، وفى هذا المقـام تقوم قيامة العبد المؤمن وهو حى يمشى فى الناس كما قال تعالى: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَـاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾(٤)، وكيف لا والعبد تخلق بأخلاق ربه، وتجمل بجمـال التشبه بحبيبه ومصطفاه ﴿ ﷺ وآله﴾.. هذا العبد والله هو الشمس التى تضـيء ملكـوت الله الأعلى، والنور الذى تستمد منه الملائكة الكرام، وصورة الرحمن وآية البيان. فسارع يا أخـى إلى تلك المقامات العلية، ولا تحجبك عنها حظوظ نفسك الدنية وزينة تلك الدار الفانية، فإنها هى الحجب الظلمانية، عصمنى الله وإياك يا أخى من الناس، وأعاذنى وإياك مـن الوسـواس الخناس، وفتح لى ولك أبواب فضله العظيم، وأعاذنى وإياك بوجهه الكريم من موجب الـنقم.. إنه مجيب الدعاء.

[تم بعون اللّه تعالى وحسن توفيقه.]

---

(١) سورة البقرة آية ١١٥.

(٢) سورة النور آية ٣٥.

(٣) سورة القيامة آية ٢٢،٢٣.

(٤) سورة الأنعام آية ١٢٢.

الفهرس

الموضوع الصفحة

الافتتاحية

مقدمة الطبعة الثالثة للسيد عز الدين ماضى أبى العزائم عليه السلام

التماس الطبعة الأولى للسيد أحمد ماضى أبى العزائم عليه السلام

مقدمة

الباب الأول: الفرقة الناجية

الفصل الأول: أنس وتخلق أهل الفرقة الناجية

الفصل الثانى: لم يزور أهل الفرقة الناجية قبور أولياء الله الصالحين؟

الباب الثانى: صفات أهل الفرقة الناجية

الفصل الأول: أهل الفرقة الناجية هـم التائبون

التوبة عند أهل الفرقـة الناجية

أقوال العلماء فى التوبة والتائبين

الفصل الثانى: أهل الفرقة الناجية هم العابدون

العبادة عند أهل الفرقة الناجية

العابدون من أهل الفرقة الناجية

ذكر أورادهم النهارية

ذكر أورادهم الليلية

الفصل الثالث: أهل الفرقة الناجية هم الحامدون

الحمد عند أهل الفرقة الناجية

الموضوع	الصفحة

الحامدون من أهل الفرقة الناجية
تراجم بعض الحامدين
الفصل الرابع: أهل الفرقة الناجية هم السائحون
السياحة عند أهل الفرقة الناجية
أئمة السائحين
من هم أهل السياحة
تعذيب المستضعفين من المسلمين
الفصل الخامس: أهل الفرقة الناجية هم الراكعون الساجدون
الركوع والسجود
من تمام الصلاة
من أسرار أهل الفرقة الناجية فى إقامة الصلاة
الراكعون الساجدون من أهل الفرقة الناجية
الفصل السادس: أهل الفرقة الناجية هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عند أهل الفرقة الناجية
وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
أركان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
أهل الفرقة الناجية ينصحون الحكام
بين السلف والخلف
الفصل السابع: أهل الفرقة الناجية هم الحافظون لحدود الله
إقامة حدود الله
من الذى يقيم حدود الله ويقوم بشعائر الله؟
من أسرار الفرقة الناجية فى حفظ حدود الله
البشرى لأهل الفرقة الناجية
الباب الثالث: آداب الفرقة الناجية

الموضوع	الصفحة

الفصل الأول: آداب الفرقة الناجية فى شبابهم

العناية الإلهية

أنواع تلك العناية

معانى النهايات

أكمل الآداب فى مرحلة الشباب

الفصل الثانى: آداب الفرقة الناجية فى مساجدهم

آداب المسجد الخاص

آداب المسجد العام

آداب صلاة الجمعة

الفصل الثالث: آداب الفرقة الناجية فى الخلوة

الخلوة مع الرب سبحانه

الخلوة بالنفس

آداب الخلوة بالنفس

الآداب العمومية لأهل الخلوة بأنفسهم

الفصل الرابع: آداب الفرقة الناجية فى سفرهم

الفصل الخامس: آداب الفرقة الناجية فى المجالسة

آداب حسن المجالسة

المجالس التى ابتدعها الناس

أهل الفرقة الناجية من الصوفية

الفصل السادس: آداب الفرقة الناجية مع العمال

الفصل السابع: آداب الفرقة الناجية فى صلة الرحم

الفصل الثامن: آداب الفرقة الناجية مع الوالدين

آداب بر الوالدين فى حياتهما

آداب بر الوالدين بعد موتهما

الموضوع الصفحة

نصيحـــــة للأبنـــــــــاء

الفصل التاسع: آداب الفرقة الناجية مع الزوجة

الباب الرابع: الأخلاق والتخلق بأخلاق الله تعالى وأخـــلاق رســوله ﴿ﷺ وآله﴾

حرص الفرقة الناجية على التخلق بأخلاق الله تعالى

وأخلاق رسوله ﴿ﷺ وآله﴾

مختصر

الفرقة الناجية

لخاتم الوراث المحمديين الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

هذا الكتاب الهام اشتاقت إليه الأمة الإسلامية لمعرفـــة الفرقـــة الناجيـــة، وصفات أهلها، وآدابهم، وأخلاقهم ، وهو بحق من أمهات كتب الإمام المجـــدد السيد محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام .

وهذا الكتاب يحتوي على فاتحة، وثلاث مقدمات، وأربعة أبواب:

الباب الأول:في أنس وتخلق أهل الفرقة الناجية، ولِمَ يزورون روضات أولياء الله الصالحين.

الباب الثاني:في صفات أهل الفرقة الناجية.. التائبون ، العابدون، الحامـــدون، السائحون، الراكعون، الساجدون، الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله.

الباب الثالث:في آداب أهل الفرقة الناجية في شـــبابهم ، ومســـاجدهم ، وخلواتهم، وسفرهم، ومجالسهم، ومع العمال، والأرحام، والوالدين، والزوجة.

الباب الرابع: في أخلاق أهل الفرقة الناجية، التي استمدوها من أخلاق الله تعالى ، وأخلاق رسوله الكريم ﴿ ﷺ وآله﴾ .

ومشيخة الطريقة العزمية إذ تقدم هذا الكتاب الهام تـــدعو الله مخلصـــة أن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.. وهو حسبنا ونعم الوكيل .. نعم المولى ونعم النصير.

وهذا الكتاب (الفرقة الناجية) للإمام المجـــدد الســـيد محمـــد ماضـــى أبي العزائم ، الذى يتناول فيه الفرقة الناجية، من الأمة الإسلامية الـــتى افترقت ثلاثا وسبعين فرقة كما أنبأ عن ذلك نبينا الصادق الأمين صـــلوات الله وسلامه عليه وآله بقوله: ﴿ ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل، تفرق بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة، وستفرق أمتى على ثلاث وسبعين ملة تزيـــد عليهم ملة، كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا: يارسول الله، من الملة الواحدة التى لا تنقلب؟ قال: ما أنا عليه وأصحابى ﴾ (أخرجه الترمذى والســـيوطى فى

الجامع الصغير). وتلك من أعلام نبوته، وما أكثرها.

وأصول الفرقة الإسلامية التى إليها المرجع والمآل أربعة:

١- المرجئة:

فأساس الإرجاء هو تحديد معنى الإيمان وما يتبع ذلك من أبحاث، فالإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وإتيان بأنواع الأعمال من صلاة وصوم وزكاة وحج، فأي هذه هو الإيمان؟ أو هل هو كلها جميعا؟ على هذا البحث دار الإرجاء.

فكثير من المرجئة كانوا يرون أن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو بعبارة أخرى: هو معرفة الله بالقلب ولا عبرة بالمظهر، ومن المرجئة من كان يرى أن الإيمان ركنان: تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وكان أشد خصوم المرجئة فى ذلك هم المعتزلة والخوارج، لأن هاتين الفرقتين اشترطوا فى الإيمان الإتيان بالطاعات واجتناب المعاصى، وجعلوا الأعمال جزءا من الإيمان، ومما فرعه المرجئة على تعريفهم للإيمان أن المؤمن مرتكب الكبيرة لا يخلد فى النار، لأنه لا يخلد فى النار إلا الكافر.

وفكر المرجئة يخدم السياسة- ولو من طريق غير مباشر- لأن هذا الفكر يجعل أصحابه محايدين، لا ضد الدولة ولا معها. فالمرجئة كانوا أميل إلى مسالمة الدولة الأموية والدولة العباسية، والمرجئة تنقسم إلى خمس فرق: الأولى: أتباع يونس بن عون، والثانية: الغسانية، والثالثة: اليومية، والرابعة: الثوبانية،

والخامسة: الخالدية.

٢- المعتزلة:

وهم الذين اعتزلوا حلقة الحسن البصرى، أمثال عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهما، فنبذوهم بهذا اللقب وسموا: معتزلة. ومن مبادئهم أن الله عز وجل شيء لا كالأشياء، وأنه خالق الأجسام والأعراض، وأنه خلق كل ما خلقه من لا شيء، وأن العباد يفعلون أعمالهم بالقدرة التى خلقها الله سبحانه وتعالى فيهم، وأن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر بلا توبة. والمعتزلة افترقت إلى خمس عشرة فرقة وهى: الغيلانية، والواصلية، والعمرية والهذيلية، والنظامية، والثمامية، والبشرية، والمزدارية، والهشامية، والجاحظية، والكعبية، والجبائية، والبهشمية، والأحشدية، والخياطية، والحسينية.

٣- الشيعة:

التشيع أساسه الاعتقاد بأن سيدنا عليا كرم الله وجهه وذريته عليهم السلام أحق الناس بالخلافة، وأن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ عهد له بها من بعده، وأما فرق الشيعة فهى ثلاث:

أ- الإمامية: وهم القائلون بإمامة الاثنى عشر، وولادة الثانى عشر ووجوده اليوم حيا، ويترقبون كل حين ظهوره، ويسمون أصحاب الانتظار.

ب- الزيدية: وهم الذين يرون إمامة زيد بن على بن الحسين عليهما السلام، وكلمن قام بالسيف من بنى فاطمة، وكان جامعا للخصال الحميدة.

جـ- الإسماعيلية: وهم الذين يجعلون الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق

عليه السلام فى ابنه إسماعيل دون موسى الكاظم وبنيه عليهم السلام.

٤- الخوارج:

وهم يقولون: إن العبد يصير كافرا بالذنب، ويكفرون عثمان رضي الله عنه وعليا عليه السلام وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، ويعظمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما، وهم إحدى وعشرون فرقة وهم:

١- المحكمية: هم الذين قالوا لسيدنا على عليه السلام- لما توقف عن القتال وقبل التحكيم-: إن كنت تعلم أنك الإمام حقا فلم أمرتنا بوقف الحرب انتظارا لنتيجة التحكيم؟ ثم انفصلوا عنه بهذا السبب، وكفروا سيدنا عليا ومعاوية.

٢- الأزارقة: ومن مذهبهم أن قتل من خالفهم جائز.

٣- النجدات: وهم يرون أن قتل من خالفهم واجب.

٤- البيهسية: ومن مذهبهم أن من لا يعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر.

٥- العجاردة. ٦ ـ الصليتة. ٧-الميمونة. ٨-الحمزية. ٩-الخلفية

١٠- الأطرافية. ١١- الشعيبية. ١٢- الحازمية. ١٣-الثعلبية.

١٤- الأخنسية. ١٥- الرشيدية. ١٦- المعبدية. ١٧- المكرمية.

١٨- المعلومية والمجهولية. ١٩- الأباضية. ٢٠- الأصفرية. ٢١-الحفصية.

وهناك من الفرق غلاة الشيعة وهم خمس عشرة فرقة، والكيسانية يقولون: إن الإمامة لمحمد بن الحنفية، وهم أربع فرق، والمشبهة وهم خمس فرق،

والكرامية وهم أتباع ابن كرام من سجستان اغتروا بزهده، وهم سبع فرق، والجبرية وهم أربع فرق، ويقولون: إن العبد ليس خالقا لفعله.

ويتبين من استعرض هذه الفرق الإسلامية أنها أكثر من ثلاث وسبعين فرقة، مع أن سيدنا رسول صلوات الله وسلامه عليه وآله لم يخبر بأكثر من ثلاث وسبعين، فكيف يكون ذلك؟.

والجواب عن هذا: أنه يجوز أن يكون مراده عليه الصلاة والسلام من ذكر الفرق، الفرق الكبار، وما ذكرناه من الفرق ليست من الفرق الكبيرة، ويجوز أيضا أنه أخبر صلوات الله وسلامه عليه وآله أن الأمة الإسلامية ستفترق على ثلاث وسبعين ولم يجز أن يكون أقل، وأما إن كانت أكثر فلا يضر ذلك.

والفرقة الناجية هم السلف الصالح لا السلف الطالح الذى يأخذ بالمعنى الحرفى للقرآن – حتى فى الآيات التى توهم بالتجسيم– فيقولون باعتقاد الجهة لله قياسا للخالق على المخلوق. أما السلف الصالح فهم الذين ينزهون المولى سبحانه وتعالى عن مشابهات الحوادث.

والفرقة الناجية هي التي ترى أن التوحيد لون واحد، لا كما يخترع السلف الطالح بأن التوحيد توحيدان: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فزعموا أن جميع المسلمين عبدوا غير الله لجهلهم توحيد الألوهية، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء، فزعموا أن هذا اعترف به المشركون، وبذلك يهجمون على قلوب كثير من المسلمين ويحكمون عليهم بالشرك.

والفرقة الناجية هم السلف الصالح الذى يوقر النبى ﴿ﷺ وآله﴾، ويشد الرحال لزيارة روضته الطاهرة ﴿ﷺ وآله﴾، ويسودونه فى الصلاة ﴿ﷺ وآله﴾، ويحتفلون بمولده ﴿ﷺ وآله﴾، ويتوسلون ويستغيثون ويتشفعون به ﴿ﷺ وآله﴾.

والفرقة الناجية هم السلف الصالح، لا السلف الطالح الذى يعتقد أن مصطلحات القرآن الأساسية الإله والرب والعبادة والدين، والذين ينادون بأن أصول الإسلام تتغير عند المصلحة، وأن عصمة الأنبياء غير مستمرة، وأن أصول الدين الخلافة والحكومة فقط.

والفرقة الناجية هى التى تعتقد بإمامة الأئمة من أهل البيت، لأن أهل البيت هم المرجع الأصلى بعد النبى ﴿ﷺ وآله﴾ لأحكام الله المنزلة، فهم خزانة علمه ومعرفته، وتراجم وحيه، وأركان توحيده، كما قال ﴿ﷺ وآله﴾: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف) (رواه الطبرانى، والشبراوى، والحاكم، وبن حجر فى الصواعق). وكما قال عنهم سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: (إنما مثل أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق) (رواه أبو نعيم، والفيروز آبادى، والهيثمى، والطبرانى، والحاكم، والخطيب البغدادى). وكقوله ﴿ﷺ وآله﴾ : (وإنما أهل بيتى مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له) (رواه ابن أبى شيبة، والمتقى الهندى، والطبرانى).

وزيادة على وجوب التمسك بأهل البيت يجب على كل مسلم أن يــدين بحبهم ومودهم، قال تعالى:﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَــى﴾ ولا شك أنه تعالى لم يفرض حبهم ومودهم إلا لأهم أهل الحب والوفاء لطهارهم من كل ما يبعد عن دار كرامته، وساحة رضاه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيــدُ اللَّــهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ .

وكما شد الكتاب الناس إلى الذهاب إلى إمامة العترة من أهل البيت شدت السنة كذلك فى قوله ﴿ ﷺ وآله﴾: (إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) (أخرجه مسلم، وأحمد، والترمذى، والحاكم، والطبرانى).

وهذا الخطاب يقصد به جميع الأمة، كل جيل وكل عصر، فــأمر المصــلح الأكبر صلوات الله وسلامه عليه بالتمسك بالثقلين، وهما الكتاب والعترة، لأن بهما الهداية والرشد– عمر الدنيا– ما استمسكت بهما، فلا منــاص أن يكــون الكتاب خليفة لسيدنا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، غير أن مداركنا قاصــرة عــن الوصول إلى هذه الكلية الواسعة فى كتاب الله، فلابد أن يكون له قوم يعرفــون مدى ما فيه ويعلمون ما حواه، قال تعــالى: ﴿ وَمَــا يَعْلَــمُ تَأْوِيلَــهُ إِلاَّ اللّــهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..﴾.

ولو أهمل سيدنا رسول ﴿ ﷺ وآله﴾ الإشارة والإرشاد إلى الراســخين فى العلم وأصحاب التأويل لساغ أن يزعم كل ناطق بضلالة أنه الراسخ فى العلــم وصاحب التأويل، فأبان صلوات الله عليه وآله فى هذا الحديث أن عترته هــم المقصودون بالثقل الثانى، فالأئمة من أهل البيت هم الكتاب الناطق الكاشــفون عن أسرار الكتاب الصامت.

وهذا الحديث- كما أرشدنا بدلالته إلى أن الهدى بعد سيدنا رسول صلوات الله وسلامه عليه وآله بخليفتيه الكتاب والعترة- أرشدنا إلى استمرار ذلك الهدى مادام الإنسان ومادام كتاب وعترة، فإن خالف المرء سيرهما اجتيازا، أو تخلف عنهما نكوصا اعتصاما برأيه أو اتباعا لغيره لم يكن من المستمسكين، بل كان من المنحرفين الزائغين.

وقد فسر الإمام الشافعي ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ أن حبل الله هو الولاء لأئمة أهل البيت فى الأبيات الآتية:

ولما رأيت الناس قد ذهبت بهم ... مذاهبهم في أبحر الغي والجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وأمسكت حبل الله وهو ولاؤهم ... كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل
إذا افترقت في الدين سبعون فرقة ... ونيفا على ما جاء في واضح النقل
ولم يك ناج منهم غير فرقة ... فقل لي بها ياذا الرجاحة والعقل
أفي الفرقة الهلاك آل محمد؟ ... أم الفرقة اللاتي نجت منهمو؟ قل لي
فإن قلت في الناجين فالقول واحد ... وإن قلت في الهلاك حفت عن العدل
إذا كان مولى القوم منهم فإنني ... رضيت بهم لا زال في ظلهم ظلي
رضيت عليا لي إماما ونسله ... وأنت من الباقين في أوسع الحل

ولعلك تسأل: لم ذكر خاتم الوراث المحمديين الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم ﷺ موضوع أضرحة الأنبياء والأولياء فى كتابه: (الفرقة

الناجية)؟.

إن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الفرقة الناجية هى التى تعتقد أن أضـــرحة الأنبياء والأولياء من الشعائر الإسلامية، وجامعات للتربية والسلوك، ولـــذلك فإن الدروس المستفادة من زيارة أضرحة هؤلاء المجاهدين هى الجهاد فى ســـبيل الكمال، فنجاهد أنفسنا ضد الهوى والجشع والطمع الحقد والحسد والطغيـــان والجبروت والبطش حينما نتمثل هؤلاء المجاهدين فى حياقم، فنأخذ منهم العزيمة التى لا تقهر، والإرادة التى لا تغلب، والشجاعة التى لا نحسب أن شـــجاعة فى الدنيا تعلوها، وإليك نماذج من الدروس المستفادة من زيارة هؤلاء المجاهدين:

١- كتب الإمام الغزالى إلى ابن تشفين ملك المغرب فقال له:

(إما أن تحمل سيفك فى سبيل الله ونجدة إخوانك فى الأنـــدلس، وإمـــا أن تعتزل إمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك).

٢- ويقول محى الدين بن عربى للملك الكامل حينمـــا تخـــاذل فى قتـــال الصليبيين:

(إنك دنئ الهمة، والإسلام لن يعترف بأمثالك، فانهض للقتال أو نقاتلـــك كما نقاتلهم).

٣- ويطغى المماليك فى أرض مصر، فيثور العز بن عبد الســـلام، ويـــأمر بالقبض على المماليك، ويعلن أنه قد اعتزم بيعهم فى سوق الرقيق لأنهم خـــانوا الأمانة.

٤- ويقول عبد الملك بن مروان- الخليفة الأموى- لابن البيطار فى غطرسة الملك وغروره: (أنا عبد الملك، فارفع حوائجك إلىَّ، فيقول له فى عزة المؤمن وكبرياء الصوفى: وأنا أيضا عبد الملك، فهلم نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان).

٥- ويقول الإمام الشعرانى: (من لبس جديدا، أو أكل هنيئا، وأضحك فى نفسه، أو سعد فى بيته- والأمة الإسلامية فى كرب وشدة- فقد برئ منه الإسلام).

تلك هي المبادئ التي ندرسها، والتعاليم التى نسير على هديها عند زيارتنا لأضرحة الأئمة، وهى لاشك أنها صفوة مبادئ الإسلام وأسمى نواحيه.

فنحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتذكر عندها أن هؤلاء مؤمنون، اضطلعوا بوقائع مجتمعاتهم، وحقائق الرسالة المحمدية، فحملوها وأدوا ما تحملوه عبر حياتهم، فنقتدى بهم، ونتأسى بجهادهم.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنؤكد أن الذى لا يطلع على أحداث أمته، ولا يتحمل مسئوليات مجتمعه ولا يؤدى رسالته، ليشترى ثمنا قليلا من دينار أو ريال أو درهم ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتعلم أن هؤلاء رأوا الانحرافات فى عالمنا الإسلامى على مر العصور والدهور، فلم يواجهوها بالخطب المنبرية فحسب، بل بتأجيج نار الثورة على تلك الانتكاسات والردات فى حياة الأمة الإسلامية، حتى إذا ما لقوا الله على ذلك كان موهم رعبا لأقسى الجلادين قلبا، وإسهاما فى بلورة الوعى الثورى لهدم الطغيان، وهم يرتلون قول إمام المجاهدين سيدنا الحسين عليه السلام:

(من لحق بى فقد استشهد، ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح).

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنسجل أن وحدانية الدينار والريال والدرهم وثنية مشركة، وأن هؤلاء المجاهدين عملوا على إزالتها لتحقيق (لا إله..) وأن العدالة والحرية والأمن والمساواة كلمات لا معنى لها إلا فى ظل (...... إلا الله) ليعيش الناس فى المجتمع الإسلامى كأسنان المشط بعضهم أولياء بعض.

نحن نزور مراقد الأولياء لنتعلم أن هؤلاء خافوا على الإسلام ولم يخافوا من الإسلام، لأن الخوف من الإسلام يفضى إلى الهرب الذى بدايته الضياع ونهايته العار، أما الخوف على الإسلام يحتم الدفاع عن الإسلام والهجوم على أعدائه.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنقتدى بهم باعتبارهم شرعا محمديا، ولطفا إلهيا، لا مناص لمن ينشد الخير والسعادة إلا باتباع سيرتهم وعلومهم وجهادهم، إيمانا وعملا، مهما بلغ الثمن.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنتأسى بهؤلاء الذين لم يتذوقوا من الحياة إلا مرارة ضياع القيم والموازين، فاقتحموا الساحة ليكونوا نماذج للمجاهدين، فنركل بأقدامنا حياة الذل والهوان. ونطبع على جبهة المجد غرة النصر، ونلبس

إكليل الشهادة.

نحن نزور مراقد الأنبياء والأولياء لنقتدى بهؤلاء الذين أقدموا حين أحجم علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة، وفرسان كهانة التكفير والتشريك، ولنتأسى بهؤلاء الذين أعطوا حيث يمتنع الأسخياء فى المواعظ المتشدقون بالسلفية، ولنتأسى بهؤلاء الذين جاهدوا فى سبيل الله فى الوقت الذى قال عبيد الدينار والريال والدرهم: ﴿..... إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ .

إن سر عظمة هؤلاء أن أرواحهم حملت قيمهم التى آمنوا بها، وضحوا من أجلها، فكان حقا على تلك القيم أن تحمل أرواحهم إلى آفاقها الرحبة، لتبقى الأرواح متألقة، تطل من سماواتها على زائريها من عشاق الجهاد.

كما بين سيدنا ومولانا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ صفات أهل الفرقة الناجية عامة بأنهم هم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم بجنته، فى قوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ونسأل: إن الله خالق الأنفس، ورازق الأموال، فكيف يشترى المالك ما هو ملك له؟! الجواب: ليس هذا بالشراء المعروف، وإنما حث وترغيب فى الطاعة، وعبر سبحانه عنه بالشراء لأمرين:

الأمر الأول: أن يثق المطيع بالجزاء والثواب على طاعته، تماما كما يثق البائع باستحقاقه الثمن بدلا عن سلعته.

والأمر الثانى: التنبيه إلى أن الإيمان ليس مجرد كلمات تمضغها الأفواه، وصور تمر بالأذهان، وعاطفة تحس بالقلوب، إنما هو بذل وتضحية بالنفس

والمال رغبة فى ثواب الله الذى هو أغلى وأبقى، تماما كما يتنازل البائع عن ملكه مختارا طمعا فى الثمن الذى يراه أنفع وأجدى.

ثم حدد خاتم الورّاث المحمديين الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبي العزائم عليه السلام أهل الفرقة الناجية بأنهم ﴿ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

صفات الفرقة الناجية:

١- الفرقة الناجية هم أهل القرآن :

المعنيون بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : "أهل القرآن أهل الله" وهم أهل الله الصالحون الذين أتصل نسبهم بربهم باتصالهم بحبل الله المتين الذي هو القرآن المجيد ، فإنه صفة من صفات الله، ومن اتصل بصفة من صفات الله تعالى اتصل بالله ، لأنه بتلاوته لكلام الله ملاحظا أنوار المتكلم عاملا بالقرآن يتصف بالكلام ، والله متصف بالكلام . وتالي القرآن جمله الله بصفه من صفاته العلية ، والعامل بالقرآن كمله الله بأنوار مقتضيات صفاته العلية.

٢- الفرقة الناجية هم زوار روضات الأنبياء والأولياء:

زيارة روضاتهم مرغب فيها والدعاء عندها مستجاب ، والتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وبالعمل بكتابه، والعمل بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبأوليائه المقربين مما يدل على مزيد إيمان المؤمن وتواضعه ، وسؤ ظنه بنفسه واعتقاده أنه صغير في نظره، والمقام الإلهي على عن أن يكون مثل هذا الداعي مقبولا لديه سبحانه فيستشفع بغيره ممن اجتباهم الله وأحبهم .

قال تعالى مخبرا عن ملائكته : {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ }
وقال سبحانه: {وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ }.

٣- الفرقة الناجية هم التائبون :

والتوبة عندهم أن يتوب الله على العبد بما يرد عليه منه من نور العلم، وحسن العناية ، ويشهده سوء ضيعه مع الله سبحانه، فيقبل تائبا على ربه بتوفيقه، والتائبون قليلون لأن أهل محبة الله قليلون ، والعامة يجددون التوبة عند حدوث الذنب ، والخاصة يجددون التوبه عند أعمال البر لشهودهم التقصير فيها، وخاصة الخاصة يجددون التوبة بعد عمل القربات لشهودهم العمل لأنفسهم لفهمهم التوحيد بالتوحيد ، وهنا أمسك القلم عن توبة المحبوبين وإنابة المرادين لعلو مشاهدهم

٤- الفرقة الناجية هم العابدون:

هم العباد حقا المتحققون بكمال الحب لله، الحب الذي حقر في أعينهم الكونين ، وأناسهم ما سوى الله فذكروه كثيرا ، وتلذذوا بكمال الذل لعظمته، وكمال الخشوع لعزته ، لذلك فإنه سبحانه قدم قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ } على قوله: {وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} لأن العبادة غاية القصد ، والاستعانة وسائل لها، والعابد لا يكون عبادا إذا لم يكن محق الحب من قلبه كل غير واستحضر أنه عبد مكلف، وشهد منة الله عليه بالتوفيق والمعونة ، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، وواجه بسره وروحه وقلبه قدس الجبروت الأعلى، وبجسمه بيت الله الحرام ، جامعا فارقا.

٥- الفرقة الناجية هم الحامدون:

واجههم الحق بالكمالات التي تملأ القلب رهبة وذلا وخشوعا وانكسارا، والجلال الذي يذيبه خوفا من مقام ربه ، وخضوعا لأمره، والجمال الذي يجذب الروح بالمحبة الخالصة ، والرضا عنه سبحانه، والحمد هو خالص التوحيد ، والشكر العمل بمشهد التوحيد ، والحامدون بلغ بهم العلم مبلغا وقع بهم على عين اليقين ، فتحققوا أن الحمد حقا لا يكون إلا لله تعالى فقالوا: " الحمد لله " عن شهود ووجود ، وبعد تحققهم بحقيقة التوحيد القصدي ولديها يكونون حامدين شاكرين ، متجملين بخالص محبة الله، متحليين بكمال الرضا عن الله ، عاملين مخلصين من كمل عمال الله، مخصوصين بأن يكونوا تحت لواء الحمد مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٦- الفرقة الناجية هم السائحون :

السائح منهم في طلب الدنيا سائح لله، لقيامه بما أوجبه عليه وهو في طاعة حتى يرجع إلى أهله، والسائح لطلب الآخرة لحج أو علم أو صحبة عارف فهو أيضا سائح لله لأنه قائم بفرائض الله، والسائح في طلب كشف خبايا الملكوت هو أيضا سائح لله تعالى ، لأنه مجذوب للجناب المقدس بخالص المحبة والتوحيد.

٧- الفرقة الناجية هم الراكعون الساجدون :

الراكع منهم وقف قلبه مع التعظيم للعظيم فلا يكون في قلبه أعظم من الله تعالى وحده ، فإن رفع شهد الحمد للمحمود فوقف مع الشكر للودود فاستوجب منه المزيد، وسكن قلبه بالرضا لأنه حقيقة الحمد ، وإن سجد سما قلبه في العلو فقرب من الأعلى بقوله تعالى : { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} وأهل المشاهد في السجود على ثلاثة مقامات :

١- منهم من إذا سجد كوشف بالجبروت الأعلى فيعلو إلى القريب وهذا مقام المقربين من المحبوبين .

٢- ومنهم من إذا سجد كوشف بملكوت العزة وهذا مقام الخائفين من العابدين.

٣- ومنهم من إذا سجد جال قلبه في ملكوت السموات والأرض وهذا مقام الصادقين من الطالبين.

٨- الفرقة الناجية هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر: منحهم الله نوار تستبين به له الحقائق ، وحبا في قلوبهم يجذبهم بكليتهم إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أمام الحكام والسلاطين والأمراء ولا يخافون في الله لومة لائم .

٩- الفرقة الناجية هم الحافظون لحدود الله: الحافظون لشرائع الله وأحكامه التي حدد فيها ما يجب وما يخطر على المؤمنين من العلم بها، وما يجب على أئمة المسلمين وأولي الأمر وأهل الحل والعقد منهم لإقامتها وتنفيذها بالعلم في أفراد المسلمين وجماعتهم إذا أخلوا بما يجب عليهم من الحفظ لها. والفرقة الناجية هم المؤمنون الكملون الذين باعوا أنفسهم لله تعالى وهم المتصفون بالصفات السبع ، والحافظون مع ذلك لجميع حدود الله في كل أمر ونهي .

١٠- الفرقة الناجية هم التشبهون بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: في قيامهم بالفرائض والمندوبات اليومية ، وكيف اجتهدوا أن يوقعوا كل عمل من الأعمال طبق ما كان عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آناته، ملاحظين في ذلك الحركات والأقوال والأعمال القلبية بقدر الاستطاعة ، باذلين الجهد أن لا يضيع منهم نفس من غير أن يكونوا متشبهين به صلى الله عليه وآله وسلم مستحضرين حقيقة الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم فتتجلى للخيال أنوار ذاته صلى الله عليه وسلم ويتجلى لجوهر النفس نور مواجهة الموفق من فيض سر التشبه به صلى الله عليه وسلم ويكشف الحجاب بين العبد وربه حتى سمع كلام الله من الله فتحصل المناجاة

آداب الفرقة الناجية:

١- في شبابهم: أكمل آدابهم قهر النفس على الحسن من الأعمال ، ومجالسة أهل الخشية ، ومن منحهم الله لسان العبارة ، وتعظيم الكبير والرحمة بالصغير واحترام النظير ، والبعد عما يثير خواطرهم وما يهيج نار غضبه من وبر الوالدين وصلة الرحم وإكرام الجيران ومعونة أهل الضرورات ، والسبق إلى الخير والبطء عن الشر.

٢- في مساجدهم: يخرج من بيته خاشع القلب وجلا طاهرا ، فإذا دخل المسجد فيكون إما شاهدا لربه أو على يقين حق أن الله عالم به ناظرا إليه حاضر معه ، كيف يشتغل من رأى ربه أو من أيقن أن ربه مطلع عليه في الصلاة بشيء آخر؟!.

٣- في الخلوة : الخلوة مع الرب سبحانه: وقد أشار خاتم الوراث المحمديين الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم عليه السلام إلى بعض أسرارها في مواجيده النظمية إشارات حجبت برموز بفقهها من فتى عن موراده بمراد ربه ، وغاب عن شهود الآثار غيبه جعلته يشهدها دلائل حق وآيات بيان لملكوت الأكوان.

الخلوة مع النفس: يخلو المؤمن بنفسه إذا سكنت إلى منفسها ، وتحققت يقينا بسر القدر ، فعلمت أنها خلقت لشأن عظيم اشتغالها عنه هلاكها، وعملها في غيره ضياعها، ففرت من كل شاغل يشغلها عما هي موجهة وجهها إليه ، ولديها تتحقق الخلوة .

٤- في سفرهم : رد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة ورد الودائع وأخذا الزاد واختيار الرفيق ووداع الأهل والأصدقاء وصلاة الاستخارة قبل السفر ودعاء السفر والتشييع للوداع وهو سنة والرفق بالدابة.

٥-في المجالسة : إلا يعين ظالما ، ولا يذكر بسوء غائبا، ويغض البصر ، ولا يتكلم سرا مع جليسه إذا كان معهما ثالث، ويكون بشوش الوجه ، ويدخل السرور على جليسه ، ويحفظ أسرار المجالس، ولا يتجسس ولا يتحسس ، يتباعد عن الجلوس بجوار زوجة غيره ، وألا يختلي بامرأة أجنبية منه وثق من نفسه ، ويجلس الصبيان وراء الظهور ، وحفظ لسانه، وألا يطمع فيما في يد أخيره ، ويتسامح ، ويفسح لأخيه ، وينزل القادم منزلة من التكرمة ، وألا

يجلس على محل تكرمة الرجل في مترله إلا بعد إذنه له ، وأن يتوقى الغضب ، ويصغي للصغير .

٦- مع العمال: الرحمة بالعمال ، ويشكر المنعم بالإكرام لعماله، والإحسان إليهم ، وأن يحملهم دون طاقتهم، ولا يعاقبهم إذا تساهلوا ، بل يضع نفسه موضعهم وما يحب أن يعامل به يعاملهم به، ويغض بصره عن هفواهم ، ويديم لهم البشر والانشراح والتنشيط ، حتى يكون عملهم عن قلب مخلص وضمير مستريح ، فيفوز بنجاح علمه ، ومحبة عماله ، وتعزيز جانبه، وحسن السمعة في الدنيا ، والمثوبة في الآخرة ، قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " لا تترع الرحمة إلى من شقي" .

٧- في صلة الرحم: هذه الصلة توصلك إلى الله تعالى وإلى الناس ، وتقربك من الخالق وخلقه ، وبها تجد لك ظهيرا من الله ومن عباده، ويمن الله بها عليك بالبر من حضرته العلية ومن جميع خلقه ، وتعطف عليك بتلك العاطفة قلوب العالم أجمع ، فتكون بذلك سيدا مطاعا في أقاربك ، ووالدا رحيما لآلك ، بها تكون متخلقا بأخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، معانا عند الشدة ، منصورا عند المخاصمة، فتعيش سعيدا بيسير تبديه، وقليل من فضلك توليه ، وتكون لك اليد العليا والمقام الأعلى ، فما أقل ما تصل به، وأعظم ما يصل إليك.

٨- مع الوالدين : في حياهما: أن تبذل مالك وتحفظ ما لهما ، وتأكل بعد أكلها ، وتنام بعد نومهما ، وتلبس بعد لبسهما ، وتجتهد أن تعمل ما يسرهما

ولو كانا كافرين ، وعليك ألا تخالفهما إلا إن جاهداك على أن تشـــرك بـــالله ماليس لك به علم فالواجب عيك ألا تطيعهما وتصاحبها في الدنيا معروفا بعـــد موهما الاستغفار لهما ، والصلاة عليهما ، وصلة الأرحام التي تدلي إليهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وإكرام صديقهما .

٩- مع الزوجة : حسن الخلق معهن ، واحتمال الأذى منهن ، ترحما علـــيهن لقصور عقلهن ، وأن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبـــة ، في التي تطيب قلوب النساء ، وألا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها والاعتدال في الغـــيرة والنفقة .

أخلاق الفرقة الناجية: متى تخلقت بأخلاق الله وتجملت بالتشـــبه بســـيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ كنت مع الله وكان الله معك ، فجبر كســـر قلبـــك ، وجعله بيت معمورا به سبحانه ، فتشرق أنواره القدسية من منافذ هيكل ذاتك الإنساني ، فيجعل الله لك يا أخي نورا في لسانك ، وفي عينيك ، وفي أذنيك ، وفي يديك وفي رجليك وفي رجليك ، وفيٍ أنفك ، وفي بطنك ، وفي فرجك ، ثم يجعلك كلك نورا ، فيواجه النور الإلهي الحقي النور العبدي الحقي كمـــا قـــال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}.

ولا أحب أن أطيل على القارئ الكريم وقفته علـــى الباب، ولأخلي بينـــه وبين الكتاب، سائلا المولى سبحانه وتعالى المزيد من الأجر، وأن يرزقنا شـــفاعة

سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطــاهرين، وأن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح. إنه تعالى ولى القصد والتوفيق.

الحمد لله مجيب الدعوات، ورافع الــدرجات، وولى الحســنات، وعــالم الخفيات، ودافع البليات، وغافر الخطيئات، وقابل التوبات.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبد الله ورسوله، ونبيه وأمينه، وصفيه وحبيبه، وخيرته من خلقه، وعلى آله شجرة النبوة، وموضع الرســالة، ومعدن الحكمة، وفصل الخطاب،

وعلى ورثته الهادين المهديين إمام العلماء الربانيين، وآخر المبعــوثين مــن المجددين خاتم الوراث المحمديين الإمام المجدد السيد محمد ماضــي أبي العــزائم، وعلى الدال لحضرة الله والموصل لمعية سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآلــه﴾ الإمــام الممتحن السيد أحمد ماضي أبي العزائم .

وعلى الإمام الجامع السيد محمود عز الدين ماضي أبي العزائم المستمد مــن الله والوارث لهدى سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ .

وعلى الإمام القائم السيد محمد علاء الدين ماضي أبي العزائم الذي شكل عمرا جديدا لدعوة جده الناصر لدين الله والمحيي لسنة سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

وعلى وصي الإمام الجامع السيد محمود عز الدين ماضي أبي العزائم السيد أحمد علاء الدين ماضي أبي العزائم الهادي المهدي الذي من توسل به على مغالق أبواب السماء انفتحت، ومضائق أبواب الأرض انفرجــت ، وعلــى العســر تيسرت ، وعلى الأموات انتشرت ، وعلى البأســاء والضــراء انكشــفت . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون **3901030 022 002**

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١ – هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١ – كتاب عقيدة النجاة .

٢ – كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١ – كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.

٢ – صيام أهل المدينة المنورة.

٣ – هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١ – سيرة النبى ﴿ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب أل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخـــر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

من قصائد خاتم الوراث المحمديين الإمام المجدد محمد ماضي أبي العزائم صلوات الله وسلامه عليهم

في أهل الفرقة الناجية:-

وَيَاخُلَّةً بَٱللَّهِ لِلَّهِ وُفِّقُوا
عَلَىٰ مَنْهَجِ ٱلصِّدِّيقِ سَارُوا وَرَافَقُوا
لِرَشْفِ ٱلْمُدَامِ ٱلْحَقِّ حَتَّىٰ تَحَقَّقُوا
وَيَاعُصْبَةَ ٱلْمُخْـتَارِ يَانَجْدَةَ ٱلْهُدَىٰ ... وَمَنْ بِكُمُو فِي مَنْهَجِ ٱلْحَقِّ رَافِقُ
وَيَاأَوْلِيَاءَ ٱللَّهِ يَأَهْلَ وُدِّهِ ... وَمَنْ لَهُمُو ٱلْمُخْـتَارُ قَدْ يَتَشَوَّقُ
وَمَنْ خُصِّصُوا مِنْ سَيِّدِ ٱلرُّسْلِ بِٱلصَّفَا ... وَمَنْ هُمْ بِحَارٌ لِلْهُدَىٰ تَتَدَفَّقُ
أَيَانُخْبَةَ ٱلرَّحْمَـٰـنِ أَهْلَ ٱخْتِصَاصِهِ ... وَمَنْ وَجْدُهُمْ خُلْقٌ بِهِ لَا تَخَلُّقُ
وَمَنْ خُصِّصُوا مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ ... وَمَنْ هُمْ شُمُوسٌ لِلْأَخِلَّاءِ تُرْمَقُ
وَمَنْ شَاهَدُوا ٱلْآيَاتِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ ... بِأَعْيُنِ تَسْلِيمٍ بِهَا ٱلنُّورُ مُشْرِقُ
أَيَارِفْقَتِي يَاخُلَّتِي يَاأَحِبَّتِي ... عَلَى ٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ فَسِيرُوا وَرَافِقُوا
إِلَيْكُمْ إِشَارَاتِي فَذُوقُوا سُلَافَهَا ... تَحَابَبْـتُمُو فِي ٱللَّهِ بِٱللَّهِ صَادِقُوا
أَلَا فَٱجْتِمَاعًا بِٱلْقُلُوبِ وَأُلْفَةً ... وَعَوْنًا عَلَىٰ فِعْلِ ٱلْمَكَارِمِ تُلْحَقُوا
وَإِيَّاكُمُو أَخْلَاقَ إِبْلِيسَ إِنَّهَا ... لَقَدْ أَبْعَدَتْهُ وَهْوَ طَاوُوسُ رَامِقُ
دَعُوا ٱلْكِبْرَ وَٱلْحَسَدَ ٱلْقَبِيحَيْنِ سَادَتِي ... دَعُوا طَمَعًا فِيمَا يَزُولُ وَسَابِقُوا
وَسِتْرًا لِعَوْرَاتِ ٱلْأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ ... وَعَفْوًا عَنِ ٱلزَّلَّاتِ فَٱلْعَفْوُ أَرْفَقُ
وَغُضُّوا عَنِ ٱلْمَكْرُوهِ أَعْيُنَ عِفَّةٍ ... وَجُودُوا بِبِشْرٍ فَٱلسَّمَاحَةُ رَوْنَقُ
وَإِيَّاكُمُو وَعَدُوَّكُمْ خُبْثَ طَبْعِكُمْ ... وَطَمَعًا وَحُبَّ ٱلْجَاهِ فَهْوَ يُفَرِّقُ
تَوَادُّوا بِرُوحِ ٱللَّهِ بِٱللَّهِ وَٱبْذُلُوا ... لِإِخْوَانِكُمْ بِشْرَ ٱللِّقَا وَتَعَانَقُوا
بِصُحْبَتِكُمْ بِٱلرِّفْقِ وَٱلْحُسْنِ فَٱبْذُلُوا ... لِأَحْبَابِكُمْ عِنْدَ ٱللُّزُومِ وَخَالِقُوا
وَكُفُّوا عَنِ ٱلتَّنْفِيرِ وَٱسْعَوْا لِجَمْعِكُمْ ... عَلَى ٱللَّهِ فَٱلدُّنْـيَا مَتَاعٌ مُفَارِقُ
أَلَا مَنْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ بَعْضُ ذَرَّةٍ ... أَلَاطَهِّرِ ... مِنَ ٱلْكِبْرِ وَٱلْأَحْقَادِ مَا هُوَ ذَائِقُ
ٱلْأَخْلَاقَ وَٱلنَّفْسَ زَكِّهَا ... وَإِلَّا فَسَهْمُ ٱلْبُعْدِ يَرْمِي فَيَفْتُقُ
أَلَا يَاأَخِي بِٱلذُّلِّ تَرْقَىٰ وَتُرْفَعَنْ ... وَبِٱلزُّهْدِ تُعْطَىٰ مَالَهُ تَتَشَوَّقُ
وَيَاصَاحِبِي بِٱلْجِدِّ وَٱلْعَزْمِ جَاهِدَنْ ... لِتَشْهَدَ أَسْرَارًا بِهَا ٱلْحَقُّ مُشْرِقُ
وَيَـٰٓأَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ يَامَظْهَرَ ٱلْهُدَىٰ ... بِحَالِكَ ﴿مَاضِي ٱلْعَزْمِ﴾ يُمْحَى ٱلْمُنَافِقُ لِرَيْنِ
وَيَـٰٓأَيُّهَا ٱلْبَابُ ٱلَّذِي نُورُهُ جَلَا ... ٱلْخَفَا وَبِهِ أَضَاءَ مَشَارِقُ
وَيَـٰٓأَيُّهَا ٱلْفَانِي ٱلَّذِي حُبُّهُ مَحَا ... مَعَالِيمَهُ فِي ٱلْحَقِّ وَٱلْقَلْبُ يَخْفُقُ